سلسلة الرسائل الجامعية (٦٢)

جهاد المرأة وهجرتها في السنة

تأليف
د. لطيفة بنت محسن بن محيسن القرشي
أستاذ الحديث المساعد - جامعة الملك عبد العزيز - جدة

دار الفضيلة
دار الهدي النبوي

٢٥٦
ج.لم

سلسلة الرسائل الجامعية (٦٢)

جِهَادُ المَرْأَةِ وَهِجْرَتُهَا فِي السُّنَّةِ

تأليف
د/ لَطِيفَة بِنت مُحسِن بن مُحَيسِن القُرَشِيّ
أستاذ الحديث المساعد - جامعة الملك عبد العزيز - جدة

دار الهدي النبوي
دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الناشر

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الرياض ١١٥٤٣ ـ ص.ب ٥١١٤٢

تليفاكس ٢٣٣٣٠٦٣

توزيع

دار الهدي النبوي للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية ـ المنصورة

تليفون: ٢٣٢٣١٧٥ / ٠٥٠ ـ جوّال: ٧١٤٥٦٨١ / ٠١٢

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدمت بها المؤلفة لنيل درجة الماجستير في الحديث وعلومه من كلية التربية للبنات بجدة، وتكونت لجنة المناقشة من: ١/ فضيلة الدكتور علي عبدالفتاح علي (مشرف). ٢/ فضيلة الأستاذ إبراهيم الدسوقي خميس (عضواً). ٣/ فضيلة الدكتور يحيى إسماعيل (عضوا)، وقد أجيزت الرسالة من اللجنة بتقدير ممتاز.

المقـــدِمَة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١) .﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ (٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد : فليست المرأة فى الإسلام عضواً مهملاً ، قليل الشأن محتقر الجهود ، بل هي عضو معطاء له دوره العظيم فى بناء المجتمع وصلاح الأمة . وهي قادرة بعون الله على النهوض بما كلفت به ، وأهل للعطاء والتضحية والفداء . وللمرأة المسلمة صفحات مجيدة فى تاريخ الإسلام منذ لحظاته الأولى . فقد وقفت وقفات مباركة سجلها لها التاريخ وذلك حين سارعت فى الاستجابة لنداء الإيمان، وثبتت على الابتلاء، وهاجرت فى سبيل الله، وشاركت في شرف الجهاد مع أنه لم يفرض عليها، إعلاء لكلمة الله وذوداً عن الدين الحق . ورغبة مني في تجلية هذا الماضي المشرق للمراة المسلمة بما يظهر مكانتها ويبين قدرها ويبرز جهودها أخترت البحث في هذا الموضوع ، للتعرف على الجهود التي بذلتها المرأة المسلمة من مسارعة إلى الدخول فى الإسلام وثبات عليه وهجرة فى سبيل الله وجهاد لإعلاء كلمة الله .

أ-أسباب اختيار الموضوع: والذي دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع هو الرغبة في معالجة جانبين في حياة المرأة المسلمة اليوم أحدهما سلبي والآخر إيجابي .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢)

(٢) سورة النساء آية (١)

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠-٧١)

أما الجانب السلبي: فهو غفلة كثير من النساء المسلمات اليوم عن أمور دينهم وانشغالهن بمتاع الدنيا وتوافه الأمور عن الغاية التي خلقن من أجلها واستهانتهن بدورهن العظيم فى الحياة ، وضعف من تحاول منهن سلوك طريق الاستقامة أمام أقل ابتلاء تتعرض له وأدنى صعوبات تواجهها . فأردت بهذا البحث أن أضع أمامهن صوراً مشرقة لما كانت عليه المسلمة الأولى من قوة في الإيمان ، والتزام بالإسلام ، وصبر على الإبتلاء ، وتضحية وجهاد ، عن طريق دراسة نماذج واقعية لكفاح وجهاد المرأة المسلمة فيها إبراز لحقيقة الإيمان حين يستقر في القلب فيوجه كل الأعمال إلى رضوان الله ويسخر كل الطاقات لإعزاز دينه .

أما الجانب الإيجابي: فهو تشوق المسلمات اللاتى أستقمن على طريق الحق ، إلى معرفة دورهن في الدعوة إلى الله ، ورغبتهن الصادقة في معرفة الجهود التى يبذلنها ليدخلن فى زمرة المجاهدين فى سبيل الله . فأردت أن أبحث في دور المرأة في الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله ، لتسير المرأة على بينة من أمرها وفق هدى ربها . لا تترك واجباً فتزيغ ، ولا تندفع بغير علم فتضل . وأسال الله تعالى أن يلهمني الصواب فيما أبحث فيه ، ويرزقني الإخلاص فيما أدعو إليه .

ب- **خطة البحث:** جعلت الرسالة في مقدمة وفصلين وخاتمة . المقدمة وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع وخطة البحث ومنهج البحث

الفصل الأول: هجرة المرأة في السنة . وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: دور المرأة قبل الهجرة – وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تأييد المرأة للدعوة .

المطلب الثانى: دور المرأة في الجهر بالدعوة .

المطلب الثالث : ثبات المرأة على الدعوة .

المبحث الثاني: دور المرأة في الهجرة إلى الحبشة . وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الهجرة وحكمها .

المطلب الثاني : الإذن بالهجرة إلى الحبشة .

المطلب الثالث : مشاركة المرأة فى الهجرة الأولى .

المطلب الرابع : مشاركة المرأة في الهجرة الثانية .

المطلب الخامس : أحوال المهاجرين في الحبشة .

المبحث الثالث : دور المرأة في الهجرة إلى المدينة . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : التمهيد للهجرة إلى المدينة .

المطلب الثاني : مشاركة المرأة في بيعة العقبة الثانية .

المطلب الثالث: دور المرأة في هجرة رسول الله ﷺ

المطلب الرابع : مشاركة المرأة في الهجرة إلى المدينة .

المبحث الرابع : أثر صلح الحديبية في هجرة المرأة . وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : نبذة عن الصلح .

المطلب الثاني : الأقوال في دخول النساء في الصلح .

المطلب الثالث : هجرة المرأة بعد الصلح .

المطلب الرابع : امتحان المهاجرات .

المطلب الخامس : أبرز المهاجرات بعد الصلح .

الفصل الثاني : جهاد المرأة في السنة . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مشروعية الجهاد وحكمه . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الجهاد .

المطلب الثاني : مشروعية الجهاد في سبيل الله وفضله .

المطلب الثالث : حكم الجهاد في سبيل الله .

المطلب الرابع : حكم جهاد المرأة .

المبحث الثاني : دور المرأة في الجهاد . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : خدمة المرأة للمجاهدين .

المطلب الثانى : مباشرة المرأة للقتال .

المطلب الثالث : صبر المرأة على فقد الأهل في الجهاد .

المبحث الثالث : تكريم المرأة وقت الجهاد . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مكافأة المجاهدة .

المطلب الثاني : الاهتمام بنساء المجاهدين .

المطلب الثالث : جواز أمان المرأة .

المطلب الرابع : إذن الأم في جهاد ولدها .

الخاتمة : وذكر فيها مجمل ماورد في البحث وأهم الدروس المستفادة منه .

ج- منهج البحث :

١ – اعتمدت فى كتابة البحث على كتب الحديث أستنبط منها المواقف والأدوار التي قامت بها المرأة المسلمة واستنتج الأحكام التي تتعلق بهجرة المرأة وجهادها. واستعنت بالشروح المختلفة لكتب الحديث في توضيح ماأوردته من نصوص .

٢ – رجعت إلى كتب السيرة لتوضيح المواقف التي ذكرت إجمالاً في كتب السنة إضافةإلى

مواقف أخرى جديدة .

٣ – استعنت بكتب التراجم للتعريف بالشخصية التي أتحدث عنها ولإلقاء الضوء على مزيد من المواقف التي قامت بها .

٤ – رجعت إلى أمهات كتب التفسير فى الموضوعات التي بُنيت على آيات قرآنية للإلمام بأهم آراء المفسرين المذكورة فى تفسير تلك الأيات .

٥ – إعتمدت عند ذكر الأحكام التى ترشد إليها الأحاديث على شروح كتب السنة وعلى كتب الفقه لتدعيم الحكم بأقوال الفقهاء في المذاهب الأربعة .

٦- قمت بتخريج الأحاديث التي ذكرتها تخريجاً وافياً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

٧- ختمت كل مبحث بتلخيص إجمالي لما ورد فيه .

٨- حصرت ترجمتى للأعلام في رواة الأحاديث وفيمن ورد ذكرهم في حديث أو موقف دون غيرهم ، تحقيقاً للفائدة المتصلة بالحديث من ناحية ، وتجنباً للإطالة إذا ما ترجمت لأصحاب الأقوال والكتب من ناحية أخرى ، وفضلاً عن ذلك فقد بلغ عدد الأعلام المترجم لهم في الرسالة ستين ومائة ترجمة .

٩- ضمنت الرسالة فهارس شاملة للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية وتراجم الأعلام ، والأماكن الجغرافية مرتبة على حروف المعجم .

وأسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يعلمنا ما جهلنا وينفعنا بما علمنا إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول

هجرة المرأة في السنة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : دور المرأة قبل الهجرة .

المبحث الثاني : دور المرأة في الهجرة إلى الحبشة .

المبحث الثالث : دور المرأة في الهجرة إلى المدينة .

المبحث الرابع : أثر صلح الحديبية في هجرة المرأة .

المبحث الأول

دور المرأة قبل الهجرة

المطلب الأول : تأييد المرأة للدعوة :

وقفت المرأة المسلمة مؤيدة ومناصرة لدعوة محمد ﷺ منذ أول ظهورها، وشاركت بكل ما تملك في كل موطن يتحقق فيه ظهور الإسلام ونصرته. وأدركت حين آمنت أن دورها ومسؤوليتها لا تقل عن دور الرجل ومسؤوليته في الثبات على الدين والتضحية من أجله، فكانت نموذجاً عظيماً للمرأة المؤمنة الصادقة، التي رسمت بجهادها معالم المرأة المسلمة على مر العصور. ودور المرأة في تأييد ما جاء به رسول الله ﷺ، وفي نصرة الحق والثبات عليه دور عظيم مبارك. ويكفي أن أول من تلقى نبأ هذه الدعوة، وآمن بها، وساعد على نشرها امرأة هي خديجة بنت خويلد(١) والتي أخصها بالدراسة كنموذج أعلى للنساء في تأييد دعوة رسول الله ﷺ لأنها تعتبر رائدة النساء المؤمنات في اتباع الحق إلى يوم القيامة،

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية ، أمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي . تزوجت قبل النبي ﷺ رجلين هما أبو هالة بن زرارة بن نباش بن عدى التميمي ، وعتيق بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . واختلف فيمن تزوجها أولاً ، والأكثر أنها تزوجت أبا هالة ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد . قيل إن هذا هو القول الأصح . كانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة . وكانت امرأة موسرة تستأجر الرجال للتجارة في مالها ، ولما بلغها من صدق رسول الله ﷺ وعظم أمانته بعثت إليه وعرضت عليه أن يتاجر لها في مالها ، فقبل وتاجر لها فيه فربحت تجارتها أرباحاً مضاعفة . ولما علمت ما كان من شأن رسول الله ﷺ فى رحلته إلى الشام ، عرضت نفسها عليه ، فوافق على الزواج بها . وتزوجها قبل البعثة بخمس عشرة سنة ، وبنى بها وله من العمر خمس وعشرون سنة . وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة . ولدت لرسول الله أولاده: القاسم ، وعبدالله وكان يكنى بالطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كاثوم ، وفاطمة . توفيت خديجة سنة عشر من البعثة ، قبل الهجرة بثلاث سنين . انظر السيرة النبوية لابن هشام : ١/ ١٨٧-١٩٠ ، الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد البصرى: ٨/ ١٤- ١٩ ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة : ٦/ ٧٨-٨٥ ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ١٠٩-١١٧ ، الإصابة فى تمييز الصحابة : ٤/ ٢٨١-٢٨٣

والمثل الأعلى في تأييد ما جاء به رسول الله ﷺ لكل من جاء بعدها من المؤمنات .

أعظم امرأة أيدت الدعوة :- كانت خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) أول من تلقى نبأ دعوة الحق التى أخرجت الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد . وكانت المؤمنة الأولى التى وقفت بجانب رسول الله ﷺ تؤيده وتشد من أزره فى وقت كان هو فى أشد الحاجة إلى من يقف بجواره . وكان تأييدها له واهتمامها به تأييداً واهتماماً بالدعوة ذاتها ، فكانت عاملاً من عوامل نصر هذه الدعوة على قوى الكفر والشرك . وكان لها عظيم الأثر في دعم كفاح رسول الله ﷺ . وجهادها فى تبليغ دعوته للناس . فكانت له الزوج المثالية ، والصديقة المواسية بالنفس والمال ، فقد بموتها السند والظهير ، فكان عظيم الوفاء لها في حياتها وبعد مماتها .

الزوج المثالية: ضربت السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) منذ زواجها برسول الله ﷺ أروع الأمثلة على مثالية الزوج ، ووقوفها بجوار زوجها الداعية في كل ما يلم به من أحداث ، وما يعترض طريقه من عقبات ، فكانت أعظم امرأة وقفت بجانب أعظم رجل عرفته الإنسانية . وقفت معه قبل البعثة ، وبعدها مؤيدة ومناصرة له بكل ما تملك . فكانت قبل البعثة تلاحظ عليه ميله إلى التحنث والخلوة بغار حراء ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده . وكان يعتكف فى كل سنة شهراً [(١)] ، فكانت خير معين له على ما يحب ، إذ كانت تعد له ما يحتاج من الزاد وهى منشرحة الصدر ، قريرة العين بما تفعل من أجله ، حتى إذا نفد زاده وعاد إليها ، أعدت له مثله . وكان رسول الله ﷺ يجد أنسه وراحته فى تلك الخلوة ، مبتعداً فيها عما كان عليه قومه من كفر وضلال وجاهلية . وكانت تلك الخلوة وذلك التفكر إلهاماً من الله له ، وتمهيداً لتلقى الرسالة العظمى ، رسالة الله عز وجل إلى البشرية كلها . وكان رسول الله ﷺ قبل البعثة ، إذا خرج لحاجته لا يمر على حجرأو شجر إلا قال السلام عليك يارسول الله «فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر

(١) انظر السيرة لابن هشام: ١/ ٢٣٥

والحجارة . فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث»[(١)] .

روى مسلم[(٢)] والترمذي[(٣)] بإسناديهما عن جابر بن سمرة قال[(٤)]: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن» . وكان إذا رجع إلى خديجة استقبلته بكل الحب والرضا ، فيشكو إليها خائفاً وجلاً ما يرى ويسمع ، فتحيطه ببرها وحنانها ، تثبت قلبه ، وتطمئنه بأنه لن ينال مكروهاً ولن يضره ما يراه ويسمعه ، فيغدو ذلك القلب الخائف أكثر أمناً وطمأنينة ، وتعود إلى رسول الله ﷺ سكينة النفس وطمأنينة الفؤاد ، ويشعر ببرد الراحة فتزول مخاوفه مما كان يخشى .

روى الإمام أحمد[(٥)] بسنده عن ابن عباس[(٦)] «أن النبي ﷺ قال لخديجة (رضي الله عنها) إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً وإني أخشى أن يكون بي جنن[(٧)] قالت لم يكن

---

(١) السيرة لابن هشام : ١/ ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) في الصحيح . كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه : ١٥/ ٣٦ (واللفظ له) ط٢ .

(٣) في السنن . أبواب المناقب : ما جاء في نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله به :١٠ / ٩٨ (باختلاف في اللفظ) ، (من تحفة الأحوذي) ، ط٣ (دار الفكر) .

(٤) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير بن رئاب العامري ، ابن أخت سعد بن أبي وقاص . سكن الكوفة ، وابتنى بها داراً . توفي في أيام بشر بن مروان على الكوفة ، وقيل توفي سنة ست وستين أيام المختار . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٣٠٤ ، الأصابة لابن حجر : ١/ ٢١٢ .

(٥) في المسند . كتاب السيرة النبوية : باب ما جاء في بدء الوحي:٢٠/ ٢٠٧ (من الفتح الرباني) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٨/ ٢٥٥ وقال : رواه أحمد متصلاً ومرسلاً والطبراني بنحوه وزاد (واعينه) ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٦) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله . يسمى حبر الأمة . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين . توفي سنة ثمان وستين بالطائف . وهو ابن سبعين سنة . وقيل غير ذلك . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٣/ ١٨٦-١٩٠ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣٣٠-٣٣٤ .

(٧) الجنن بالضم: الجنون ، حذف منه الواو . انظر لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور . ١٣ / ٩٦ (بيروت : دار صادر) .

الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله ، ثم أتت ورقة بن نوفل[(١)] فذكرت ذلك له فقال: إن يك صادقاً فإن هذا ناموس[(٢)] مثل ناموس موسى ، فإن بعث وأنا حى فسأعززه وأنصره وأومن به » .

وفى الشهر الذى أراد الله عز وجل لنبيه ما أراد من الكرامة والنبوة كان رسول الله ﷺ يتعبد كعادته في غار حراء ، فأستبطأته خديجة (رضي الله عنها) وخشيت عليه أن يصيبه أذى ، أو يناله مكروه ، فما إلا كان منها إلا أن أرسلت رسلها تبحث عنه وتطمئن عليه ، ليهدأ بالها وتأمن عليه[(٣)] ، وهو الذى ترجو أن يكون نبي هذه الأمة .

وعندما ابتدأ الوحى على رسول الله ﷺ وهو فى الغار وعاد إلى بيته يرجف فؤاده ، كان لخديجة (رضى الله عنها) موقف فريد ، ودور عظيم سجله لها التاريخ بمداد من ذهب . استقبلت رسول الله ﷺ وهو فى قمة الخوف ، ترتعد فرائصه ويرجف قلبه ، مضطرباً فزعاً من ثقل التكليف وهول الموقف ، فطمأنته ، وهدأت من روعه وبشرته بأن الله لن يخزيه أبداً . وذكرته بلهجة ملؤها الصدق والإكبار ، بما يحمله من سجايا كريمة ، وأخلاق فاضلة ، وأن من أجتمعت له هذه الصفات لن يخذله ربه ولن يلقى إلا ما يسره ، فاطمأن فؤاد رسول الله ﷺ وهدأت نفسه واستبشر خيراً .ولكى تزيد من يقينه بأن مانزل عليه هو الحق ، أسرعت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وعرضت الأمر عليه ، فطمأنه وبشره بأنه رسول الله ، فازداد رسول الله ﷺ طمأنينه إلى صدق رسالته .

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشى . ابن عم خديجة . وهو الذى أخبر خديجة أن رسول الله نبى هذه الأمة ، لما أخبرته بما رأى النبي ﷺ لما أوحى إليه . وخبره معه مشهور . قيل توفى بعد الإسلام وقيل توفى على نصرانيته . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٦٧١-٦٧٢ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٦٣٣-٦٣٥ .

(٢) الناموس : جبريل عليه السلام . وأهل الكتاب يسمون جبريل الناموس . وقيل الناموس : صاحب سر الخير . وأراد به ورقة جبريل عليه السلام لأن الله تعالى خصه بالوحى والغيب اللذين لا يطلع عليهما غيره . لسان العرب لابن منظور : ٦/ ٢٤٤ .

(٣) انظر السيرة لابن هشام :١/ ٢٣٧-٢٣٨ .

روى البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] وأحمد[(٣)] والحاكم[(٤)] بأسانيدهم عن عائشة[(٥)] أم المومنين قالت: « أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق[(٦)] الصبح . ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه –وهو التعبد– الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع[(٧)] إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ . قال: ماأنا بقارىء . قال فأخذنى فغطنى[(٨)] حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ . قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال: «اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم» فرجع بها

---

(١) فى الصحيح . كتاب بد الوحى : باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله عليه السلام :١/ ٢٢ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٢) فى الصحيح .كتاب الإيمان : بابدء الوحى إلى رسول الله عليه السلام : ٢/ ١٩٧-٢٠٤ (باختلاف فى اللفظ) .

(٣) في المسند .كتاب السيرة النبوية : باب بدء الوحى :٢٠/ ٢٠٧-٢٠٩(باختلاف فى اللفظ) (من فتح الرباني) .

(٤) في المستدرك . كتاب معرفة كتاب الصحابة : ذكر خديجة بنت خويلد :٣/ ١٨٣-١٨٤(باختلاف فى اللفظ) .

(٥) عائشة بنت أبى بكر الصديق ،زوج النبى عليه السلام ،وأمها أم رومان ابنة عامرالكنانية . ولدت بعد المبعث بأربع سنين أوخمس . تزوجها رسول الله قبل الهجرة بسنتين .وبنى بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة روت عن النبى علية السلام كثيراً . توفيت سنة سبع وخمسين : وقيل سنة ثمان وخمسين .ولما توفي النبي ﷺ كان عمرها ثمان عشرة سنة .انظر أسد الغابة لابن الأثير :٦/ ١٨٨-١٩٢ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٥٩-٣٦١

(٦) فلق الصبح : ضوؤة وإنارته . والفلق الصبح نفسه .النهاية فى غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير : ٣/ ٤٧١ تحقيق :طاهر الزاوى ، ومحمود الطناحى ، (المكتبة الإسلامية) .

(٧) ينزع :أى يرجع وزناً ومعنى فتح البارى لابن حجر :١/ ٢٣ ونزع الرجل إلى أهله بمعنى حن واشتاق . لسان العرب لابن منظور :٨/ ٣٥٠

(٨) الغط : العصر الشديد والكبس . النهاية لابن الأثير :٣/ ٣٧٣

رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها) فقال: زملونى فزملوه[١] . زملونى حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى: فقالت خديجة كلا والله مايخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل[٢] وتكسب المعدوم[٣] وتقرى الضيف، وتعين على نوئب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى –ابن عم خديجة – وكان امرأً تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيحاً كبيراً قد عمى وفقالت له خديجة : يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقه: يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم ؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب[٤] ورقة أن توفي، وفتر الوحى» .

يصور لنا هذا الحديث تأييد خديجة (رضى الله عنها) للدعوة منذ اللحظة الأولى التى ظهرت فيها، واستعدادها لمعاونة رسول الله ﷺ فى تحمل مسؤولية الدين الجديد ، الذى كان إيذاناً ببدء حياة جديدة ملؤها الكفاح والجهاد . كما يصور شدة اهتمامها بأمر رسول الله ﷺ وما نزل عليه ، حيث ذهبت بمفردهاإلى ورقه لتعرض عليه أمر رسول الله ﷺ فلما طمأنها صحبت رسول الله ﷺ إليه فبشره بأنه سيكون نبى هذه الأمة . ولكي لا تبقى في نفسه أو نفسها أدنى قلق من الذي يأتيه اقترحت عليه طريقة

---

(١) زملوني أى لفوني فى ثيابي . يقال تزمل بثوبه إذا ألتف فيه . انظر النهاية لابن الأثير :٢/ ٣١٣ .
(٢) الكل : بالفتح الثقل من كل ما يتكلف . والكل: العيال . لسان العرب لابن منظور : ١١/ ٥٩٥ .
(٣) أرادت تكسب الناس الشي المعدوم الذى لايجدونه مما يحتاجون إليه . وقيل أرادت بالمعدوم الفقير الذى صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه . لسان العرب لابن منظور :١٢/ ٣٩٣
(٤) لم ينشب :أى لم يلبث . لسان العرب لابن منظور :١/ ٧٥٧

تتثبت بها معه من صدق ما يأتيه . روى الطبراني[١] بإسناده عن أبى هريرة[٢] (رضي الله عنه) عن خديجة (رضى الله عنها): « قالت قلت يارسول الله ياابن عم هل تستطيع إذا جاءك الذى يأتيك أن تخبرني به ؟ فقال لي رسول الله نعم يا خديجة ، قالت خديجة فجاءه جبريل ذات يوم وأنا عنده ، فقال رسول الله : يا خديجة هذا صاحبي الذى يأتيني قد جاء . فقلت له : قم فجلس على فخذى الأيمن فقلت له هل تراه ؟ قال: نعم ، فقلت له تحول فاجلس على فخذي الأيسر فجلس فقلت له هل تراه ؟ قال: نعم ، فقلت له تحول فاجلس في حجرى فجلس فقلت له هل تراه ؟ قال :نعم ، قالت خديجة :فتحسرت وطرحت خمارى وقلت : هل تراه ؟ قال : لا فقلت هذا والله ملك كريم والله ماهو شيطان قالت خديجة فقلت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ذلك مما أخبرنى به محمد ﷺ قال ورقة: حقاً يا خديجة حدثتك » .

قال البيهقي[٣] «وهذا شيء كانت خديجة (رضي الله عنها) تصنعه لتتثبت به لأمره احتياطاً لدينها وتصديقاً ، فأما النبى ﷺ فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات . . . .» . وكما كانت خديجة (رضي الله عنها) أول من تلقى خبر نزول الوحى على رسول الله ﷺ ، وأول من آمن به ، كانت كذلك أول من استجاب له واقتدى به

---

(١) انظر مجمع الزوائد : كتاب علامات النبوة : باب ماجاء فى بعثه ﷺ وعمومها ونزول الوحي: ٨/ ٢٥٦ وقال الهيثمي: رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن . وانظر الكامل فى التاريخ ،أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري ٢/ ٣١-٣٢ علق عليه: نخبة من العلماء ط٤ (بيروت: دار الكتاب العربي) ، البداية والنهاية . أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي :٣/ ١٥-١٦ ، ط١ (بيروت: مكتبة المعارف) .

(٢) أبو هريرة الدوسي ، صاحب رسول الله عليه السلام ، وأكثرهم حديثاً عنه واختلف فى اسمه اختلافاً كثيراً منها أنه كان اسمه فى الجاهلية عبد شمس وفي الإسلام عبد الرحمن . اسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله . ثم لزمه وواظب عليه رغبة فى العلم . سكن المدينه ومات بها سنة سبع وخمسين . وقيل غير ذلك . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٥/ ٣١٨-٣٢١ ، الإصابة لابن حجر:٤/ ٢٠٢-٢١١ .

(٣) دلائل النبوة ، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقى ص ٤٠٧-٤٠٨ تقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، ط ١(القاهرة : دار النصر للطباعة) .

فيما أمره ربه به . فحين فرض الله عليه الصلاة لأول مرة في مكة وعلمه جبريل كيفية الطهور والوضوء للصلاة ، عاد إلى بيته وعلم خديجة الوضوء والصلاة فصلى وصلت معه [(١)] . «ومكث رسول الله ﷺ وخديجة يصليان سراً ماشاء الله [(٢)] » .

روى الحاكم [(٣)] وأحمد [(٤)] بإسناديهما عن عفيف بن عمرو [(٥)] قال «كنت أمرأً تاجراً وكنت صديقاً للعباس بن عبد المطلب [(٦)] في الجاهلية ، فقدمت لتجارة فنزلت على العباس بن عبدالمطلب بمنى ، فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلي [(٧)] ثم

---

(١) انظر السيرة لابن هشام:١/ ٢٤٤ الكامل في التاريخ لابن الأثير :٢/ ٣٢ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٢٤ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد :٨/ ١٧ ، انظر البداية والنهاية لابن كثير :٣/ ٢٤ .

(٣) في المستدرك . كتاب معرفة الصحابة : ذكر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :٣/ ١٨٣(واللفظ له) وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) في المسند . كتاب السيرة النبوية : باب ذكر أول من آمن به قبل إظهار الدعوة :٢/ ٢١٣-٢١٤ (باختلاف في اللفظ) (من الفتح الرباني) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد :٩/ ١٠٣ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والطبراني بأسانيد ورجال أحمد ثقات . وأنظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٥٤٦ ، الإصابةلابن حجر :٢/ ٤٨٧ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٢٥ .

(٥) عفيف الكندي ، ابن عم الأشعث بن قيس وقيل عمه ، وقيل أخوه ، والأكثر على انه ابن عمه وأخوه لأمه . قال ابن حبان له صاحبة ، وقال الطبراني اسمه شراحيل وعفيف لقب . وقيل اسمه شرحبيل ولقب عفيفاً لقوله في أبيات : وقالت لي هلم إلى التصابي فقلت عفيفتُ عما تعلمينا .أنظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٥٤٦ ، الإصابة لابن حجر :٢/ ٤٨٧ .

(٦) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول الله ﷺ كان أسن من رسول الله بسنتين . وكان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش . شهد مع رسول الله بيعة العقبة ليشدد له العقد ، وكان حينئذ مشركاً . أسلم بعد بدر ، ثم هاجر إلى النبي وشهد معه فتح مكة وشهد حنين وثبت مع رسول الله فيمن ثبت . توفي بالمدينة المنورة سنة أثنتين وثلاثين . وهو ابن ثمان وثمانين سنة .انظر أسد الغابة لابن الأثير :٣/ ٦٠-٦٣ ،الإصابة لابن حجر : ٢/ ٢٧١ .

(٧) يعني بعد الزوال إلى جهة الغرب وجاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ صلى بهما حين زالت الشمس فهي تفسر ما هنا ، ولا يعارضه قول كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ فقد قيل العشي ما بين الزوال إلى الغروب . ومنه قيل للظهر والعصر صلاتا العشي ، قال الحافظ : كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً وكذلك أصحابه =

جاءت أمرأة فقامت تصلى ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلي فقلت للعباس: من هذا ؟ فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي يزعم أنه نبى ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام، وهذه المرأة خديجة بنت خويلد أمرأته، وهذا الغلام أبن عمه علي بن أبي طالب[(١)] ، قال عفيف الكندى-وأسلم وحسن إسلامه- لوددت أني كنت أسلمت يومئذ فيكون لي ربع الإسلام» .

هكذا كانت خديجة (رضى الله عنها) تقتدى بزوجها النبى المرسل فيما يتقرب به إلى ربه، دون أن يساورها شك فى صدق ما يخبر به . فقد عرفته قبل البعثة بخمسة عشر عاماً، زوجاً كريماً يحمل من سجايا الخير أسماها ، ومن مكارم الأخلاق أعلاها، فلا يأمر إلا بحق ولا ينهى إلا عن باطل ولا يفعل إلا الخير ولا يترك إلا الشر، فاطمأنت إلى نزاهته وصدقه، واقتدت به فيما يأمره به ربه دون تردد أو اهمال .

الصديقة المواسية :

لم يقف دور خديجة (رضى الله عنها) على قيامها بواجباتها الزوجية، بل أمتد عطاؤها وعونها ليشمل كل صغيرة وكبيرة فى حياة رسول الله ﷺ .

فكما كانت له الزوج المثالية التي عرفت حقوقه فأدتها كاملة، كانت كذلك صديقة مواسية وسنداً قوياً في كل شأن من شئونه. فكانت نموذجاً فريداً من نماذج البدل والتضحية يصغر دونه كل نموذج للعطاء . ذلك أن الداعية إلى الله قد يجد الزوج الصالحة

=ولكن أختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا ؟ فقيل إن الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة فيه قوله تعالى: (وسبح) اى صلِ حال كونك متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾الفتح الرباني ٢٠/ ٢١٣ . وانظر فتح الباري: ١/ ٤٦٥ .

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .ابن عم رسول الله عليه السلام . أول من أسلم من الصبيان . هاجر إلى المدينة . شهد بدراً وأحداً وجميع المشاهد مع رسول الله إلا تبوك . بويع له بالخلافة بعد قتل عثمان في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وتوفي سنة أربعين قيل وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ٥٨٨-٦٢٢ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٥٠٧-٥١٠ .

التي تعينه على أمر دعوته، وتهون عليه المتاعب، لكن يندر أن يتصف عطاء هذه الزوج بالشمولية ليتناول كل صغيرة وكبيرة فى حياة زوجها وفى طريق كفاحه وجهاده. وهذا ما كان من خديجة (رضى الله عنها) التى جمعت الفضائل، فكانت تشارك رسول الله ﷺ همومه ومتاعبه، تفرح لفرحه وتحزن لحزنه، بل إنها تشعر بآلامه قبل أن يفصح عنها فتواسيه دون أن يشتكى إليها. فعندما فتر الوحى عن رسول الله ﷺ ليالى يسيرة[(١)] أغتم لذلك وخشى أن يكون الوحى قد انقطع عنه، ولم تكن زوجه خديجة أقل خشية وقلقاً منه، بل شاركته خوفه وتوجسه من توقف الوحي، وفوات ذلك الشرف الإلهي عليه، وبلغ بها الأمر بعد أن رأت أمارات الحزن تعلو وجه رسول الله ﷺ أن أفصحت له عن مخاوفها وأخبرته بأنها تخشى أن يكون ربه قد تركه، فأنزل الله تعالى ﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[(٢)]: عندها عادت الطمأنينة إلى خديجة وزال ما كانت

---

(١) فترة الوحى هذه ليست الفترة الأولى التي تأخر فيها الوحي عن رسول الله ثم نزلت بعدها المدثر. إنما هي فترة أخرى دامت ليالى يسيرة، بينما الأولى دامت أياماً حزن فيها النبى عليه السلام حزناً شديداً حتى غدا منه مراراً كي يتردى من رءوس شواهق الجبال.
انظر صحيح البخارى: كتاب التعبير: باب أول ما بدىء به رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة: ١٢/ ٣٥٢ (من فتح البارى)، وأنظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ١/ ١٩٦. قال ابن حجر «والحق أن الفترة المذكورة فى سبب نزول الضحى غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحى، فإن تلك دامت أياماً وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً. فأختلطتا على بعض الرواة» فتح البارى:٨/ ٧١٠ وقال ابن كثير: «ومنهم من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحى سورة ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ ﴾ إلى آخرها. قاله محمد ابن إسحق وقال بعض القراء ولهذا كبر رسول الله عليه السلام فى أولها فرحاً، وهو قول بعيد ترده رواية صاحبى الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ① قُمۡ فَأَنذِرۡ ② ﴾ ولكن نزلت سورة والضحى بعد فترة أخرى، كانت ليالى يسيرة كما ثبت فى الصحيحين وغيرها من حديث الأسود بن قيس عن جندب بن عبدالله البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة ما أرى شيطانك إلا تركك فأنزل الله ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾.
البداية والنهاية:٣/ ١٧ وانظر فتح البارى لابن حجر: ١/ ٢٧، ١٢/ ٣٥٩، ٣٦٠، ٨/ ٧١٠.

(٢) جاء فى صحيح البخارى: كتاب التفسير: باب «ماودعك ربك وما قلى»: ٨/ ٧١١ (من فتح البارى) أن سبب نزول هذه الآيه مارواه جندب البجلى «قالت امرأة يارسول الله ما أرى صاحبك إلا أبطاك. فنزلت «ماودعك ربك وماقلى».
ووردت روايه أخرى فى نفس الكتاب والباب :٨/ ٧١٠ عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: =

تخشاه من انقطاع وحي السماء كما اطمأن رسول الله ﷺ وزال غمه وعرف أن الله لم يتركه ولم يبغضبه فقد تولاه ورعاه منذ أن كان صغيراً، حينما كان يتيماً فآواه في كفالة جده وعمه أبي طالب، وكان حائراً فهداه إلى الحق، وكان فقيراً فأغناه تعالى من فضله وإن من أجل نعم الله عليه زوجه خديجة التي كانت له وزير صدق وسكناً وملاذاً، وواسته بنفسها ومالها ولم تدخر عنه شيئاً يحقق له عوناً وللرسالة ذيوعاً وانتشاراً. وما ضاقت على رسول الله السبل إلا وجد عندها من الموساة بالنفس والمال والجاه مالم يجده عند أحد غيرها وهذه المواقف العظيمة لخديجة هى التى جعلت رسول الله ﷺ ينكر على

=«اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فجاءت امرأة فقالت : يامحمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً ، فأنزل الله عز وجل : « والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى » وبين ابن حجر أن المراة فى الحديث الأول غير المرأة فى الحديث الثاني لأن المرأة التي في الحديث الأول عبرت بقولها «صاحبك » والتي في الحديث الثاني عبرت بقولها «شيطانك » والأولى عبرت بقولها «يا رسول الله » والثانيه عبرت بقولها «يا محمد» .وبين أن سياق الأولى يشعر بأنها قالته تأسفاً وتوجعاً ، وسياق الثانية يشعر بأنها قالته تهكماً وشماتة . انظر فتح البارى :٣/ ٩ .

وقال ابن حجر «وقد حكى ابن بطال عن تفسير بقي بن مخلد قال «قالت خديجة : للنبى ﷺ، حين أبطأ عنه الوحي :إن ربك قد قلاك فنزلت والضحى» وقدتعقبه ابن المنير ومن تبعه بالإنكار لأن خديجة قوية الإيمان لايليق نسبة هذا القول إليها ، لكن إسناد ذلك قوي أخرجه إسماعيل القاضي في أحكامه والطبري في تفسيره وأبو داود فى أعلام النبوة له ، كلهم من طريق عبدالله بن شداد بن الهاد= =وهو من صغار الصحابه والإسناد إليه صحيح .وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، لكن ليس عند أحد منهم أنها عبرت بقولها «شيطانك» وهذه هي اللفظة المستنكرة في الخبر . وفي رواية إسماعيل وغيره «ما أرى صاحبك» بدل «ربك» والظاهر أنها عنت بذلك جبريل» . فتح الباري (٣/ ٩) ، والمرأة التي قالت «شيطانك» هي أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهي أخت أبي سفيان بن حرب وامرأة أبي لهب .

قال ابن حجر: «والذي يظهر أن كلاً من أم جميل وخديجة قالتا ذلك . لكن أم جميل عبرت – لكونها كافرة – بلفظ شيطانك ، وخديجة عبرت – لكونها مؤمنة – بلفظ ربك أو صاحبك . وقالت أم جميل شماتة وخديجة توجعاً» . فتح الباري (٨/ ٧١١) .

وانظر: لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي (ص٢٣٠- ٢٣١) ، ط٣ ، بيروت ، دار إحياء العلوم .

عائشه رضى الله عنها مقولتها فى خديجة حين أدركتها الغيرة فأخبرته أن الله أبدله خيراً منها فغضب ، وبين أن لها من المواقف والمزايا مالم يجده عند غيرها من النساء . روى الإمام أحمد[١] بسنده عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «كان النبى (ﷺ) إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق[٢] قد أبدلك الله عز وجل خيراً منها ، قال ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بى إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء» . وفي رواية[٣] قالت: « ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فأطنب في الثناء عليها ، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة فقلت لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين ، قالت فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي[٤] وعند المخيلة[٥] حتى يعلم رحمة أو عذاب» .

وعندما عقدت قريش المعاهدة على مقاطعة المسلمين فى كل شئونهم وانحاز بنو

---

(١) فى المسند . كتاب السيرة النبوية :باب ما ورد في فضل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد :٢٠/ ٢٤٠-٢٤١(من الفتح الرباني) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد :٩/ ٢٢٤وقال: رواه أحمد وإسناده حسن .

(٢) الأشداق جوانب الفم ، ورجل أشدق أى بين الشدق . النهاية لابن الاثير : ٢/ ٤٥٣ ، وقال النووى: معناه عجوز كبيرة جداً حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ، ولم يبق لشدقها بياض شىء من الأسنان ، إنما بقى فيه حمرة لثاتها . شرح مسلم : ١٥/ ٢٠٢ .

(٣) فى المسند . نفس الكتاب والصفحة . وقال ابن كثير : إسناده جيد . البداية والنهاية:٣/ ١٣٨ .

(٤) لما كان يعانيه عليه السلام من شدة وكرب عند نزول الوحى كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها فى قولها '' ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً'' . صحيح البخارى :كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحي : ١/ ١٨ (من فتح الباري) .

(٥) أى السحابة الخليقة بالمطر وإنما كان يتغير وجهه خوفاً من أن يكون ذلك رسول عذاب كما أرسل إلى قوم هود . قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأحقاف آيه٢٤ . انظر الفتح الربانى للساعاتى :٢٠/ ٢٤١ .

هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبى طالب ودخلو معه في شعبه[١]، رافقت خديجة (رضى الله عنها) رسول الله ﷺ فى الخروج إلى الشعب، وذاقت معه آلام الحصار المر التي أقام فيه المسلمون ثلاث سنين[٢]، انقطع فيها عنهم العون والمدد لا يصل إليهم شىء إلا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش .واشتد بهم الجوع والعطش حتى أكلوا أوراق الشجر .

وعاشت خديجة مع رسول الله ﷺ أيام البؤس والشقاء، ولم يمنعها مالها الوفير ولا شرفها القرشي من مصاحبته إلى الشعب، ولم يقعدها كبر سنها-حيث تجاوزت الستين- عن مشاركة زوجها أيام المحنة والبلاء، بل رافقته وتحملت فى سبيل الدعوة كل المشاق . وآثرت قسوة الحياة وشظف العيش مع رسول الله ﷺ والمسلمين على حياة الترف والنعيم والسعة بعيداً عنهم، واستعلت على كل رغائب النفس فى حب الدعة والراحة لتدخل مرحلة جديدة من مراحل الكفاح المضني. فما كانت وهي التي أيدت الدعوة من بدايتها لتتخلى عن رسول الله ﷺ وتنعم بالحياة وحدها وتقعد عن متابعة الدعوة ، بل خاضت مع رسول الله ﷺ وأحاطته والمسلمين برعايتها وبرها . فلما رأت حال المسلمين في الشعب وما يعانون من جوع أرسلت إلى أبن أخيها تطلبه أن يمد المسلمين بالعون فكان يأتى إليها بالزاد وهي في الشعب . روى ابن هشام[٣] «..وقد كان أبو جهل بن هشام لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد[٤]، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب،

---

(١) انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٣٥١ .

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٦٠ .

(٣) فى السيرة : ١/ ٣٥٣-٣٥٤ .

(٤) حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى . ولد فى الكعبة . وهو من مسلمة الفتح كان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام . وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه . عاش مائة وعشرين سنة توفي سنة أربع وخمسين أيام معاوية وقيل : سنة ثمان وخمسين . انظر أسد الغابة لابن الأثير:١/ ٥٢٢-٥٢٣ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٣٤٩-٣٥٠ .

فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد ، فقال مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال له أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ له أبو البخترى لحى بعير فضربه به فشجه ، ووطئه وطأً شديداً . . .».

إن موقف هذه الزوج البرة العظيمة مع زوجها النبي المرسل يظل عبر التاريخ أعظم موقف لأعظم امرأة ، تفردت به خديجة ذات القلب الكبير . . ذلك أن الداعية إلى الله تعالى فى كل زمان ومكان يقابل كثيراً من المشاق في سبيل تبليغ دعوته للناس وتعليمهم دين الله وتغيير الأوضاع الجاهلية في مجتمعه ، فهو أحوج من غيره إلى التأييد المستمر والكلمة الطيبة ، وإذا لم يجد ذلك فى زوج صالحة تعينه على دعوته ، وتدفعه إلى الخير وتحثه عليه ، ازدادت حوله المشاق وأحاطت به المتاعب من كل صوب ، فكيف بنبي مرسل يبعث لهدم معتقدات وثنية و وتغيير عادات جاهلية ، يهدم ما ألفه الناس زمناً طويلاً ويبنى مجتمعاً جديداً ذا كيان فريد ومتميز. إنه بلا شك أحوج الناس إلى زوج صالحة تطيعه إذا أمر ، وتعينه إذا ذكر وتهيء له جواً من الأنس والمحبة يعوضه عما يجد من قومه من إعراض وصدود . . . وكانت خديجة هى تلك الزوج التى أيقنت أن أمر دينها هو أمر الحياة ذاتها ، وأن عليها ألاتترك زوجها وهو فى بداية دعوته غريباً فى مجتمعه وغريباً فى بيته ، بل كانت له الزوج الصالحة التي تؤيده في دعوته وتعينه على تبليغها ، وتشاركه في الطاعة فيأنس بطاعتها ويقوى بتشجيعها ، وما كان يعود إليها مثقلاً بالهموم والمتاعب مما يلقاه من قومه إلا فرج الله عنه بها تؤيده وتشد من أزره .

ويعظم دور خديجة ويتجاوز كل حد للعطاء ، ويفوق كل معنى للتضحية إذا عرفنا ما كان من زوجي نوح ولوط عليهما السلام وموقف كل منهما من دعوة زوجها . . حيث كفرت كل منهما بما جاء به زوجها من الحق ، ولم تصدق برسالته ، بل تعدى الكفر إلى الإيذاء ، فكانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون ، وإذا آمن معه أحد أخبرت الجبابرة

بأمره . وكانت امرأة لوط تدل الذين يفعلون السوء من قومها على أضيافه[١] ، فجعلهما الله مثلاً للذين كفروا يتلى إلى يوم القيامة . قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[٢] . ولا يخفى على كل ذي عقل مدى عظم البلاء واشتداد الأذى على الداعية إذا كان الكفر والإيذاء من أهل بيته ، وهم أعلم الناس به وبدعوته ، وأولاهم بالإيمان بما جاء به . فإذا كفروا به وردوا دعوته كانوا قدوة سوء لغيرهم من الناس يقتدي بهم ذوو القلوب العمياء ويكثر معارضو الدعوة ، فيتضاعف العبء على الداعية وتتواصل جهوده ليل نهار ، ما أن يفرغ من دعوة قومه وجهاده معهم ، حتى يدخل في جهاد آخر مع أهل بيته .

لكن خديجة-بفضل الله-كفت رسول الله ﷺ هذا الأمر . وكانت أول من آمن به وأيد دعوته . فكان يدعو إلى الله تعالى ومن خلفه قلب محب مؤمن بما جاء به ، يعينه على الحق ويبشره بالنصر . وعلم الله تعالى ما كان لها من فضل في مؤازرة نبيه فأكرمها على إيمانها وإخلاصها ببشرى عظيمة حملها جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ .

روى البخاري[٣] ومسلم[٤] والترمذي[٥]

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشيالدمشقي: ٤/ ٣٩٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي أبو عبدالله محمد بن عمر: ٣٠/ ٤٩-٥٠ ، ط٣ (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي: ١٨/ ٢٠٢ (القاهرة : دار الكاتب العربي) .
قال ابن كثير : «(فخانتاهما) أي في الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة . وليس المراد بقوله (فخانتاهما) في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء » تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٣٩٣ .

(٢) سورة التحريم آيه (١٠) .

(٣) في الصحيح: كتاب المناقب: باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها : ١٦/ ٢٨١ (واللفظ له) من عمدة القارىء (دار الفكر) .

(٤) في الصحيح . كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل خديجة : ١٥/ ١٩٩ (بنفس اللفظ) .

(٥) في السنن . أبواب المناقب: فضل خديجة بنت خويلد: ١٠/ ٣٨٧ (بنحوه ، مختصراً) عن عائشة (من تحفة الأحوذي) .

وابن ماجة[١] وأحمد[٢] والحاكم[٣] بأسانيدهم عن أبي هريرة ﷺ قال: «أتى جبريل النبى ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب[٤] لا صخب[٥] فيه ولا نصب[٦] ».

لقد كان جزاؤها من عند الله بيتاً في الجنة لا تعب فيه ولا ضجة ولا إزعاج جزاء موفوراً موافقاً لما قدمته لرسول الله ﷺ ولدعوته. فمن يوم أن جاءها رسول الله ﷺ بالحق سارعت إلى الإيمان به دون أن يحتاج إلى جهد وتعب ورفع صوت في إقناعها بما بعث به. بل استقبلت دعوته بالتصديق والتسليم، أراحته حين تعب ، وهدأته حين قلق، وشاركته تعب الدعوة وتعب التبليغ، وتعب الحصار، فكان جزاؤها من جنس العمل، بيتاً فى الجنة متصفاً بالهدوء والطمأنينة اللتين استقبلت بهما دعوة رسول الله ﷺ وخالياً من التعب والنصب اللذين عاشتهما فى الدنيا ابتغاء مرضاة الله .

يقول السهيلي[٧] فى بيان الحكمة من هذا الجزاء: « لقوله «ببيت» ولم يقل: «بقصر» معنى لائق بصورة الحال، وذلك أنها كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت. وأيضاً فإنها أول من بنى بيتاً في الإسلام بتزويجها

(١) في السنن . كتاب النكاح: باب الغيرة: ١/ ٦٤٣ (باختلاف فى اللفظ) عن عائشة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، (دار الفكر) .

(٢) في المسند . كتاب السيرة النبوية : باب ما جاء في فضل أم المؤمنين خديجة ٢٠/ ٢٣٩ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .

(٣) في المستدرك . كتاب معرفة الصحابة : ذكر خديجة بنت خويلد : ٣/ ١٨٥ (بنحوه) .

(٤) القصب: قال ابن الأثير القصب في هذا الحديث: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف . والقصب من الجواهر ما استطال منه في تجويف . النهاية ٤/ ٦٧ .

(٥) الصخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام . النهاية لابن الأثير: ٣/ ١٤ .

(٦) النصب: التعب . النهاية لابن الأثير: ٥/ ٦٢ .

(٧) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله السهيلى: ١/ ٢٧٨-٢٧٩ ، تقديم وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد ، (بيروت : دار المعرفة) .

رسول الله ﷺ ورغبتها فيه .وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل وإن كان أشرف منه . . فمن ها هنا لقتضت الفصاحة أن يعبر لها عما بشرت به بلفظ البيت ، وإن كان فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . أما قوله «لا صخب فيه ولا نصب» . . لأنه عليه السلام دعاها إلى الإيمان فأجابته عفواً لم تحوجه إلى أن يصخب كما يصخب البعل إذا تعصت عليه حليلته ، ولا أن ينصب بل أزالت عنه كل نصب ، وآنسته من كل وحشة ، وهونت عليه كل مكروه ، وأراحته بمالها من كل كد ونصب ، فوصف منزلها الذي بشرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته» .

وفاء رسول الله ﷺ لخديجة :- كانت خديجة (رضى الله عنها) نموذجاً حياً للمرأة الداعية التى تجاهد بنفسها ومالها تبتغى ما عند الله تعالى . ولما بذلته (رضي الله عنها) من جهود عظيمة للدعوة ومن دعم مادي وبدني ، كان رسول الله ﷺ عظيم الوفاء لها فى حياتها وبعد مماتها . فمن وفائه لها فى حياتها أنه ﷺ لم يتزوج عليها حتى ماتت . روى مسلم[١] والطبراني[٢] بإسناديهما عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « لم يتزوج النبي على خديجة حتى ماتت» .

وذلك لأنها (رضي الله عنها) أغنته بحبها وعطائها عن كل النساء ، وجعلت بيته مقراً للأمن والطمأنينة ومنبعاً للرحمة والمودة . فلم تحوجه ﷺ أن ينشد الراحة ويلتمس العطاء عند غيرها من النساء .

قال القرطبى[٣] : « . . . ومما كافأ النبى ﷺ به خديجة فى الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها ، فروى مسلم . . عن عائشة قالت «لم يتزوج النبى ﷺ على خديجة حتى

---

(١) في الصحيح . كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة رضي الله عنها: ١٥/ ٢٠١ (واللفظ له)

(٢) في مجمع الزوائد . كتاب المناقب : باب فضل خديجة بنت خويلد : ٩/ ٢٢٠ ، وقال الهيثمي: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح . (بنفس اللفظ) ، وانظر السيرة لابن هشام : ١/ ١٩٠ ، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ١١٠ .

(٣) فتح الباري : ٧/ ١٣٧ .

ماتت ‘‘ وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار ، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهى نحو الثلثين من المجموع ، ومع طول المدة صان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك ، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها» .

وقال ابن كثير[١]: « ... لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها ، وتقديراً لإسلامها ، ولكونها من الصديقات ولها مقام صدق فى أول البعثة ، وبذلت نفسها ومالها لرسول الله ﷺ » . وأما وفاؤه لها بعد وفاتها فقد حزن على فقدها حزناً عظيماً ، وكان دائم الذكر لها وأصلاً لصديقاتها لما قدمته له من مؤازرة وللدعوة من جهود ، فلم تمت إلا والدعوة قد ذاع صيتها في الجزيرة العربية ، ووصل أمرها إلى الحبشة مع الذين هاجروا إليها ، ودخل في الإسلام الكثير من الرجال والنساء ووقفوا مع رسول الله ﷺ وأحاطوا به يفدونه بأرواحهم . وقد كانت عائشة (رضى الله عنها) تغار من كثرة ذكر النبي ﷺ لخديجة .

روى البخاري[٢] والترمذي[٣] بإسناديهما عن عائشة قالت : «ما غرت على أحد ، ولكـن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول : إنها كانت وكانت[٤] ، وكان لي منها ولد» .

---

(١) البداية والنهاية : ٣/ ١٢٩ .

(٢) في الصحيح . كتاب المناقب: باب تزويج النبي خديجة وفضلها رضي الله عنها ١٦/ ٢٨٠ (واللفظ لـه) (من عمدة القارىء) .

(٣) في السنن . أبواب المناقب : باب فضل خديجة : ١٠/ ٣٨٦-٣٨٧ (باختلاف في اللفظ) (من تحفةالأحوذي) .

(٤) قال ابن حجر : ‘‘ أي كانت فاضلة وكانت عاقلة وغير ذلك ‘‘ فتح الباري ٧/ ١٣٧ .

ولا عجب أن تحظى (رضي الله عنها) بحب رسول الله ﷺ لها إزاء ما قدمته له من مساعدة ومؤازرة . روى مسلم[١] بسنده عن عائشة (رضي الله عنها) : «ما غـرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجـة وإني لم أدركهـا قالت وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقـول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجـة ، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجـة ، فقال رسول الله ﷺ إني قد رزقت حبها» . ومما يدل على وفائه لها بعد وفاتها ما حدث بعد غزوة بدر ، عندما وقع أبو العاص بن الربيع[٢] زوج زينب بنت رسول الله[٣] ﷺ أسيراً مشركاً في أيدي المسلمين وبعثت قريش لأسراها ، فأرسلت زينب فداء لأبي العاص قلادة لأمها خديجة كانت قد أهدتها إلى زينب يوم عرسها ، وعندما رأى رسول الله ﷺ تلك القلادة عرفها فتذكر خديجة ومواقفها النبيلة المشرفة منذ أول يوم للرسالة ، حينما جاءها يرجف فؤاده مضطرب النفس موحش القلب فإذا هي تتلقاه بكل الحب والحنان تهون عليه الأمر بمقولتها الخالدة «والله ما يخزيك الله أبداً» وتذكر رسول الله ﷺ من آمنت به حين واجه الكفر والصدود من الناس ، ومن صدقته حين اتهمه قومه بالكذب والسحر والجنون ، ومن واسته بمالها حين بخل به البخلاء . تذكر جهودها العظيمة على مدى خمسة وعشرين عاماً كانت فيه السكن والظهير ، وما رأى منها يوماً ضجراً أو نفوراً أو تخاذلاً عن مساعدته في نشر دعوته وتبليغها كما أمره ربه عز وجل . تذكر ذلك كله حين رأى القلادة ، فعز عليه أن تكون مغنماً ضمن أموال الفداء لا يدري أين يستقر بها المقام فرغب أن ترد إلى زينب ويطلق لها أسيرها وفاء لخديجة ،

---

(١) في الصحيح . كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل خديجة : ١٥/ ٢٠١ .

(٢) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس القرشي العبشمي . كان مصاحباً لرسول الله ﷺ مصافياً . أقام بمكة على شركه ، حتى كان قبيل الفتح خرج إلى المدينة مسلماً وقدم على النبي ﷺ ورد عليه رسول الله زوجته زينب ، وكان إسلامه في المحرم سنة سبع وتوفي سنة اثنتي عشرة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٥/ ١٨٥-١٨٦ ،الإصابة لابن حجر : ٤/ ١٢١-١٢٣ .

(٣) زينب بنت رسول الله محمد بن عبد الله القرشية الهاشمية ، أكبر بناته . ولدت وللرسول الله ثلاثون سنة ، تزوجت أبن خالتها ابا العاص بن الربيع ولدت له أمامة وعلي . هاجرت بعد بدر . توفيت بالمدينة سنة ثمان . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٣٠-١٣١ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣١٢-٣١٣ .

وشاور المسلمين في ذلك. وإلا فهو فيء أفاءه عليهم. فرد المسلمون القلادة وأطلقوا الأسير .

روى أحمد[١] والحاكم[٢] بإسناديهما عن عائشة «رضي الله عنها» قالت: « لما بعث أهل مكه في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها ، قالت فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة ، وقال إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا ، فقالوا نعم يارسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها» . وكانت خديجة (رضى الله عنها) جديرة بأن يخبر عنها رسول الله ﷺ بأنها سيدة نساء عصرها. روى البخاري[٣] ومسلم[٤] والترمذي[٥] وأحمد[٦] بأسانيدهما عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» [٧] .

---

(١) في المسند . كتاب الجهاد : باب فداء أبي العاص: ١٤/ ١٠٠-١٠١ (واللفظ له) (من الفتح الربانى) وقال الساعاتي : أخرجه ابن إسحق في سيرته وسنده جيد .

(٢) في المستدرك . كتاب معرفة الصحابة : ذكر زينب بنت خديجة : ٤/ ٤٤-٤٥ ، (بنحوه) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وهو كما قالا فإن ابن إسحق قد صرح بالتحديث : هامش سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٤٦-٢٤٧ .

(٣) في الصحيح . كتاب المناقب : باب تزويج النبى خديجة وفضلها : ١٦/ ٢٧٨ (واللفظ له) (من عمدة القارىء) .

(٤) في الصحيح . كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل خديجة : ١٥/ ١٩٨ (بزيادة يسيرة) .

(٥) في السنن . أبواب المناقب : باب فضل خديجة : ١٠/ ٣٨٨ (بتقديم وتأخير) (من تحفة الأحوذي) .

(٦) في المسند : كتاب أحاديث الأنبياء : باب ما جاء في فضل مريم بنت عمران : ٢٠/ ١٣٣ (باختلاف في اللفظ) (من الفتح الرباني) .

(٧) قال النووى في معنى الحديث : أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض فى عصرها وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه . شرح مسلم : ١٥/ ١٩٨ . وقال ابن حجر : (خير نسائها مريم) أى نساء أهل الدنيا فى زمانها (خير نسائها خديجة) أي نساء هذه الأمة . ونسب إلى القاضى أبى بكر بن العربي قوله : خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً لهذا الحديث . فتح البارى : ٦/ ٤٧١ ، وقال ابن حجر : والذي يظهر لى ان قوله خير نسائها خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نسائها أى نساء

قال صاحب الفتح الرباني[١]: « لأنها آمنت به حين كفر به القوم، وصدقته حين صد عنه المتكبرون وجادت له ﷺ بمالها حين بخل به الباخلون، فسبقها إلى الإسلام وتأثيرها في بدئه وقت أن كان غريباً ومؤازرتها ونصرتها وقيامها في الدين لله تعالى بنفسها ونفيسها لم يشاركها فيه أحد من أمهات المؤمنين ففازت بذلك ، وبه حازت التفضيل على النساء ٠٠ »[٢].

وروى أحمد[٣] والحاكم[٤] بإسناديهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «خط

زمانها وكذا في خديجة وقد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها وأيد ابن حجر ما ذهب إليه بما رواه البزار والطبراني بإسناد حسن قول الرسول ﷺ " لقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين "فتح الباري: ٧/ ١٣٥ .

(١) الفتح الرباني: ٢٠/ ١٣٣ .

(٢) ثم قال: « ويستثنى من هذا العموم بضعته ﷺ فاطمة فإنها أفضل، يرشد إلى ذلك ما رواه مسلم والإمام أحمد وغيرهما (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين) وفي رواية للإمام أحمد (أفضل نساء أهل الجنة) فإذا فضلت عليهن فى خير دار فلأن تكون خيراً منهن فى الدار الأولى بالطريق الأولى والله أعلم » . المرجع السابق . وقال ابن حجر : ((أقوى ما يستدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن ما ذكر من قوله ﷺ إنها سيدة نساء العالمين إلا مريم وأنها رزئت بالنبى ﷺ دون غيرها من بناته فإنهن متن في حياته فكن في صحيفته ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها "وأيد قوله بحديث رسول الله الذي قال لفاطمة فيه « . . . أحسب إني ميت فى عامى هذا وأنه لم تزرأ امرأة من نساء العالمين مثل ما رزئت فلا تكونى دون امرأة منهن صبراً ، فبكيت فقال : أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فضحكت» . وقال: وهب الله لفاطمة من الأحوال السنية والكمال ما لم يشاركها أحد من نساء هذه الأمة مطلقاً .

انظر فتح الباري: ٧/ ١٠٥-١٠٦ . وحكى ابن حجر قول السبكي الكبير «الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة» . انظر فتح البارى :٧/ ١٣٩ والذي يظهر أن لكل منهما فضلاً بحسب ما تميزت به من صفات والله أعلم .

(٣) فى المسند . كتاب السيرة النبوية : باب ما ورد فى فضل أم المؤمنين خديجة : ٣٠/ ٢٤٠(واللفظ له) (من الفتح الرباني) وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٩/ ٢٢٣ ، وقال رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح .

(٤) في المستدرك . كتاب معرفة الصحابة: ذكر خديجة بنت خويلد: ٣/ ١٨٥ (بتقديم وتأخير) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، قال أتدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران» .

كما روى الترمذى[١] وأحمد[٢] والحاكم [٣] بأسانيدهم عن أنس[٤] ﷺ أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية أمرأة فرعون»[٥] .

وهكذا كانت خديجة رضى الله عنها عبر تاريخ الإسلام كله أعظم أمرأة أيدت دعوة الحق التي جاء بها محمد ﷺ .ودخل في الإسلام الكثير من النساء بعدها ، ولكنها كانت وستظل المتفردة بلقب المسلمة الأولى. لقد جاهدت مع رسول الله ﷺ وكافحت معه من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، التي كانت أول من آمن بها . ولم يؤمن بها يومذاك على وجه الأرض إلا اثنان: هي، ومحمد. وماتت وإذا بهذه الكلمة التي طمأنت رسول الله ﷺ يوم أن تلقاها بأن الله لن يخزيه أبداً، إذا بها يرددها العرب

---

(١) فى السنن . أبواب المناقب : باب فضل خديجة رضى الله عنها : ١٠/ ٣٨٩ وقال الترمذى : حديث صحيح (واللفظ له) (من تحفة الأحوذى) .

(٢) في المسند . كتاب أحاديث الأنبياء : باب ما جاء فى فضل مريم بنت عمران : ٢٠/ ١٣٣ (بنفس اللفظ) (من الفتح الرباني) .

(٣) فى المستدرك . كتاب معرفة الصحابة : ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله : ٣/ ١٥٧ (بتقديم وتأخير) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٤) أنس بن مالك بن النضر . خادم رسول الله ﷺ وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله . دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد ، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً . توفى سنة إحدى وتسعين وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ١٥١-١٥٢ . الإصابة لابن حجر : ١/ ٧١-٧٢ .

(٥) قال ابن كثير: «القدر المشترك بين الثلاث نسوة آسية ومريم وخديجة أن كلاً منهن كفلت نبياً مرسلاً وأحسنت الصحبة في كفالتها وصدقته، فآسية ربت موسى وأحسنت إليه وصدقته حين بعث، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل ، وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله ﷺ بها وبذلت فى ذلك أموالها ، وصدقته حين نزل عليه الوحى من الله عز وجل» البداية والنهاية: ٣/ ١٢٩ .

والعجم فى الشرق والغرب، وإذا بجهودها المباركة تثمر أينع الثمار، ويسود الإسلام بقاع الأرض وينتشر فيها النور والحق .

واليوم وقد ضعف المسلمون، وقل العاملون بهذه الكلمة فإن الحاجة ماسة إلى نساء يقتدين بخديجة، يقفن خلف الدعاة إلى الله ، يشجعنهم على نشر دين الله وعلى الصبر على الشدائد والمحن فى سبيل الله، نساء يغرسن فى رجالهن روح البذل والتضحية، ويبذلن جهدهن لتوجيه أزواجهن إلى طريق الحق، ويضعنهم أمام مسؤوليات جسيمة ومهام عظيمة تستأصل من نفوسهم عوامل الضعف والعجز أو الخوف والجبن. نساء كلما رأين الرجل تثاقل إلى الأرض ورضي بالحياة والدنيا بعثن الهمة في قلبه، وأشعلن الحماس في نفسه، وذكرنه بواجبه تجاه دينه، لا نساء يقعدن عن مناصرة أزواجهن ويتملكهن الخوف والهلع وينتابهن السخط والجزع إن غاب عنهن الرجل يوماً في سبيل الله. عسى الله تعالى أن يمن علينا بنساء يجدن فى خديجة مثلهن الأعلى وما ذلك على الله بعزيز .

استمرار تأييد المرأة للدعوة: كما كانت خديجة (رضى الله عنها) الزوج المثالية، والصديقة المواسية لزوجها كانت كذلك الأم الفاضلة التي ربت بناتها على الإيمان ونشأتهن على حب الدعوة، والعمل على مناصرتها ومؤازرة أصحابها. فكانت لهن أسوة خير، سرن على دربها يناصرن الدعوة ، ويدافعن عن رسول الله ﷺ .

فهذه فاطمة بنت رسول الله[١] ﷺ وقفت بجوار أبيها ، عاشت الصراعات العنيفة بين الحق والباطل ثلاث عشرة سنة منذ بدء الوحى حتى هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة. وحينما جهر النبى ﷺ بدعوته ولقي من العداء من قومه ما لقي، كانت فاطمة

---

(١) فاطمة بنت رسول الله ﷺ أمها خديجة بنت خويلد . ولدت وقريش تبنى البيت وذلك قبل النبوة بخمس سنين . كانت تكنى أم أبيها . وكانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ تزوجها علي بن أبي طالب بعد أحد .أنجبت الحسن والحسين .توفيت بعد رسول الله بستة أشهر .وكانت أول أهله لحاقا به، وهي أول من غطى نعشها في الإسلام . كانت وفاتها لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة وكان عمرها تسعاً وعشرين سنة. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد :٨/ ١٩-٣٠ .
انظر: أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٢٢٠-٢٢٦ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٧٧-٣٨٠ .

على صغر سنها تعيش معـه الرسالة بكل تكاليفها وجهادها، تؤيده وتشاركه آلامه وآماله. وشهدت إيذاء المشركين لأبيها فكانت شديدة الحزن لما يلقاه من عداء وإيذاء وكانت تدافع عنه بكل جهدها متوجهة بالدعاء إلى الله تعالى بأن يخذل أعداء دينه وينصر نبيه.

روى البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] وأحمد[(٣)] بأسانيدهم عن عبدالله بن مسعود[(٤)] قال: «بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى[(٥)] جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ، فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع، فقال النبي ﷺ: «اللهم عليك الملأ من قريش: أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف -أو أبى خلف، شعبة الشاك[(٦)] - فرأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر، غير أمية بن خلف أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر».

---

(١) في الصحيح. كتاب مناقب الأنصار: باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة: ٧/ ١٦٥ (واللفظ له)، (من فتح الباري).

(٢) في الصحيح. كتاب الجهاد: باب مالقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين: ١٢/ ١٥٣-١٥٤ (بنحوه).

(٣) في المسند. كتاب السيرة النبوية: أبواب ذكر من تولوا إيذاءه بعد إظهار دعوته: ٢٠/ ٢١٨ (بنحوه)، (من الفتح الرباني).

(٤) عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي حليف بني زهرة. أسلم قديماً أول الإسلام. وهو أول من جهر بالقرآن بمكة. هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة. شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله. شهد له رسول الله بالجنة. توفي سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وعمره بضع وستون سنة. انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ٢٨٠-٢٨٦، الإصابة لابن حجر٢/ ٣٦٨-٣٧٠.

(٥) السلى: الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. وقيل هو في الماشية السلى، وفى الناس المشيمة. النهاية لابن الأثير: ٢/ ٣٩٦.

(٦) ذكر ابن حجر أن الصحيح «أمية» أما «أبى بن خلف» فهو شك من شعبة ووهم منه أو من شيخه واطبق أصحاب المغازى على أن المقتول ببدر أمية، وعلى أن أخاه أبياً قتل بأحد. فتح الباري: ١/ ٣٥١. وذهب إلى ذلك البدر العيني. انظر عمدة القاريء: ٣/ ١٧١-١٧٣.

فحينما رأت فاطمة (رضى الله عنها) وهي جويرية صغيرة ، مافعله الكفار بأبيها النبى المرسل ، أسرعت إليه بشجاعة لتزيل عنه الأذى وفعلت مالم يستطع أن يفعله عبد الله بن مسعود الذي كان واقفاً يرى ما يفعله المشركون برسول الله (ﷺ) ولكنه خشى من المشركين على نفسه فلم يقدر أن يفعل شيئاً لرسول الله (ﷺ) ويصف حاله قائلاً «...وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كانت لى منعه » [١] أي لو كانت لي قوة وعشيرة لطرحت الأذى عن رسول الله(ﷺ) [٢] .أما فاطمة (رضي الله عنها) فقد أقبلت مسرعة تطرح الأذى عن ظهر رسول الله (ﷺ) دون أن تخشى صناديد قريش ورؤسائها ، بل تدعو عليهم بكل جراه وشجاعة فتخرسهم عن الكلام .

يقول ابن حجر [٣] : «وفيه (أي الحديث) قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها لشرفها فى قومها ونفسها ، لكونها صرحت بشتمهم وهم رؤوس قريش فلم يردوا عليها» . لم تكن فاطمة (رضى الله عنها) في سنها المبكرة كبقية أقرانها يشغلها اللهو واللعب، بل كانت تدرك عظم مسؤوليتها تجاه أبيها، وهو يعيش ظروفاً قاسية، ويتعرض لمكائد المشركين . وكانت حذرة يقظة ترى وتسمع مايتآمر عليه المشركون من القضاء على رسول الله (ﷺ) وإحباط دعوته فتسرع إليه تحذره مما قد يناله من الكفار .

اجتمع الملأمن قريش ذات يوم ، وتآمروا على قتله وقالوا «...لوقد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة (رضي الله عنها) تبكى حتى دخلت على رسول الله (ﷺ) فقالت هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من

---

(١) ذكر ابن حجر أن الصحيح «أمية» أبي بن حلف فهو شك من شعبة ووهم منه أو من شيخه وأطبق أصحاب المغازى على أن المقتول ببدر امية، وعلى أن أخاه أبياً قتل بأحد . فتح الباري: ١/ ٣٥١ . وذهب إلى ذلك البدر العينى . انظر عمدة القارىء :٣/ ١٧١-١٧٣ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الوضوء : باب إذا ألقي على ظهر المصلى قذراًأو جيفة لم تفسد صلاته: ١/ ٣٤٩ (من فتح الباري) .

(٣) انظر فتح الباري: ١/ ٣٥٢ .

دمك ، فقال يا بنية أريني وضوءاً فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا ها هو ذا وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وعقروا(١) في مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصراً ولم يقم إليه رجل ، فأقبل رسول الله (ﷺ) حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من ذلك التراب فقال شاهت (٢) الوجوه ثم حصبهم(٣) بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً » (٤) .

وبذا عاشت فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) أحداث الدعوة في مكة ، وشهدت تعذيب المستضعفين من المسلمين ، وصحبت أبويها إلى شعب أبي طالب وعاشت معهم آلام الحصار ثلاث سنوات ، فحظيت عند رسول الله (ﷺ) بمنزلة عظيمة لما رأى منها من مواقف بطولية وفدائية رغم حداثة سنها فقال عنها : «فاطمة بضعة(٥) مني فمن أغضبها أغضبني» (٦) .

---

(١) العقر – بفتحتين – أن تسلم الرجل قوائمه من الخوف . وقيل أن يفجاه الروع فيدهش ولايستطيع أن يتقدم أو يتأخر . النهايةلابن الأثير :٣/ ٢٧٣ .

(٢) شاهت الوجوه : أى قبحت الوجوه . لسان العرب لابن منظور :٥٠٨/١٣ .

(٣) حصبهم : أى رجمهم بالحصباء .النهاية لابن الأثير : ١/ ٣٩٤ .

(٤) مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية : باب ماجاء في تعنت قريش وتآمرهم على قتل سيد العباد : ٢٠/ ٢٢٣ (من الفتح الرباني) وقال الساعاتي : رجاله رجال الصحيح .

(٥) البضعة- بالفتح –القطعةمن اللحم ، وقد تكسر . أى أنها جزء منى كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم . النهاية لابن الأثير :١/ ١٣٣ .

(٦) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب قرابة رسول الله (ﷺ) :٧/ ٧٨ (واللفظ له) ، (من فتح الباري) . صحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل فاطمة : ١٦/ ٢-٣ (باختلاف في اللفظ) . سنن الترمذي . أبواب المناقب: باب مناقب فاطمة عليها السلام: ١٠/ ٣٧٠ - ٣٧١ (باختلاف في اللفظ) ، (من تحفة الأحوذى) . سنن أبي داود . كتاب النكاح : باب مايكره أن يجمع بينهن من النساء ٦/ ٨٠-٨١ (باختلاف في اللفظ) ،(من عون المعبود) تحقيق :عبد الرحمن محمد عثمان ، ط٣ (بيروت : دار الفكر) . مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية: باب ماجاء في ذكر أولاده وآل بيته ٢٢/ ٩٣ (باختلاف في اللفظ) ، (من الفتح الرباني) . مستدرك الحاكم .كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) : ٣/ ١٥٤ (باختلاف في اللفظ) .

المطلب الثاني: دور المرأة في الجهر بالدعوة :

أمر الله تعالى رسوله الكريم (ﷺ) أن يجهر بدعوته وينذر عشيرته الأقربين ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) ﴾ [١] .

روى البخاري بسنده [٢] عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي (ﷺ) على الصفا فجعل ينادى : يا بني فهر يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ماهو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ، ماجربنا عليك إلا صدقاً . قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم . ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) ﴾ .

تصدر أمرالدين الجديد أحاديث قريش في مجالسهم وبيوتهم، وأخذ الناس يدخلون فى الإسلام رجالاً ونساء ، إلا أن المسلمين لم يتمكنوا من ممارسة عبادتهم جهراً أمام المشركين فكانوا يستخفون بها خوفاً من بطش قريش وسلطانها ولم يجرؤوا على المجاهرة بها .

وساهمت المرأة المسلمة في نقل الدعوة من طورها السري على الرغم من علم المشركين بأمر الدين الجديد – إلى مرحلة الجهر بها ومواجهة المشركين دون خوف أو وجل . فكان لإسلام فاطمة بنت الخطاب [٣] وثباتها على ما آمنت به عظيم الأثر فى

---

(١) سورة الشعراء آيه (٢١٤-٢١٦) .

(٢) في الصحيح .كتاب تفسير القرآن: باب "وأنذر عشيرتك الأقربين" ٨/ ٥٠١ . (من فتح البارى) .

(٣) فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية ، أخت عمر بن الخطاب (ﷺ) وهي امرأة سعيد بن زيد بن عمر و بن نفيل العدوي ، أحد العشرة .أسلمت قديماً أول الإسلام مع زوجها سعيد قبل إسلام عمر وكانت سبباً في إسلام أخيها عمر . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٢٦٧ ، أسد الغابة لابن الأثير :٦/ ٢٢٠ ، الإصابة لابن حجر :٤/ ٣٨١ .

إسلام عمر بن الخطاب[١] الذي تحولت الدعوة بإسلامه من السرية إلى العلنية . فقد أسلمت (رضي الله عنها) قديماً ، وكان عمر يعذبها على ذلك .

ويحكي زوجها سعيد بن زيد [٢] توثيق عمر له على الإسلام فيما رواه قيس[٣] قال : «سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم[٤] لو رأيتني [٥] موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم . .» [٦] لقد وقفت فاطمة بإيمانها في وجه الباطل ، واستطاعت وهي المرأة الضعيفة أن تقهر كبرياء عمر وجبروته عندما أراد أن يصرفها عن دينها بالضرب أو الوثاق فما ازدادت إلا تمسكاً وثباتاً على ما آمنت به . فكانت قوة إيمانها ، واعتزازها

---

(١) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي . ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة . كان من أشرف قريش . كان شديداً على المسلمين قبل إسلامه . فأسلم وعز المسلمون بإسلامه ، وهاجر علناً متحدياً المشركين وشهد بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد . عرف بزهده في الدنيا ورغبته في الآخرة وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . وأستخلف على المسلمين بعد أبي بكر . وفتح الفتوح الكثيرة . طعن عمر يوم الإثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ومكث ثلاثاً وتوفي . وقبره مع رسول الله وأبي بكر . توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ٦٤٢-٦٧٨ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٥١٨-٥١٩ .

(٢) سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل بن عبد العزى العدوي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ،أسلم قديماً قبل دخول رسول الله (ﷺ) دار الأرقم وهاجر وشهد أحداً والمشاهد بعدها . ولم يكن بالمدينة زمان بدر ، وضرب له رسول الله (ﷺ) بسهمه لأنه كان غائباًبالشام ، شهد اليرموك وفتح دمشق . توفي سنة خمسين قيل مات بالكوفة . وعاش ثلاثا وسبعين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٢/ ٢٣٥-٢٣٧ ، الإصابة لابن حجر :٢/ ٤٦ .

(٣) هو قيس بن أبي حازم الأحمسي ،جاهلي إسلامي ، لم ير النبي في عهده .وهو من كبار التابعين .شهد أبا بكر وسمع منه وروي عنه أنه قال : أتيت النبي (ﷺ) لأبايعه فوجدته قد قبض وأبو بكر قائم في مقامه ، مات سنة ثمان أو سبع وتسعين . انظر: أسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ١١٧ ، الإصابة لابن حجر: ٣/ ٢٧١ .

(٤) فسر القوم في رواية أخرى للبخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب إسلام سعيد بن زيد: ٧/ ١٧٦وفيه: «عن قيس قال سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في مسجد الكوفة يقول . . الحديث» .

(٥) 'رأيتني 'بضم المثناه': قال ابن حجر: المعنى رأيت نفسي . فتح الباري: ٧/ ١٧٦ . وقال البدر العيني: التقدير لقد رأيت نفسي والحال أن عمر لموثقي على الإسلام . عمدة القارىء: ٤/ ١٧ .

(٦) صحيح البخاري . كتاب مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب: ١٧/ ٩ (من عمدة القارئ) .

بدينها ومجاهرتها بما تؤمن به دون خوف، وتحملها الأذى والإهانة من عمر، عوامل فجرت الإيمان في قلبه.

جاءها ذات يوم مهدداً ومتوعداً ولما اقترب من الباب سمع قرآناً يتلى فدخل عليهما وقال: «.. ما هذه الهينمة[١] التي رأيتها عندكن قالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال: لعلكما صبوتما وتركتما دينكما الذي أنتما عليه؟ فقال له ختنه[٢] سعيد بن زيد: يا عمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك، فأقبل على ختنه فوطئه وطئاً شديداً، قال فدفعته أخته عن زوجها، فضرب وجهها فأدمى وجهها فقالت وهي غضبى: يا عمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قال فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه فقالت أخته: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون قم فاغتسل أو توضأ..»[٣].

وفي رواية [٤] «.. وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى[٥] وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفاً

---

(١) الهينمة: الكلام الخفي الذي لايفهم. لسان العرب لابن منظور: ١٢/ ٦٢٣.

(٢) ختنه: أي زوج أخته. والختن أبو امرأة الرجل وأخو أمرأته وكل من كان من قبل امرأته. لسان العرب لابن منظور: ١٣/ ١٣٨.

(٣) مستدرك الحاكم. كتاب معرفة الصحابة: ذكر فاطمة بنت الخطاب: ٤/ ٥٩سكت عنه الحاكم. وقال الذهبي: قد سقط منه. مجمع الزوائد. كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب: ٩/ ٦٣ (مطولاًمع اختلاف في الألفاظ) وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه أسامة بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. وذكر رواية أخرى نحوها وقال: رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة وهو متروك وقال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به وبقية رجاله ثقات. انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ٦٤٤-٦٤٥، البداية والنهاية لابن كثير: ٣/ ٨٠، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٨١.

(٤) السيرة لابن هشام: ١/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٥) ارعوى: أى رجع، والارعواء: الندم على الشيء والإنصراف عنه والترك له. لسان العرب لابن منظور: ١٤/ ٣٢٨.

أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت فى إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس على شركك، وإنه لايمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة . . . » .

قرأ عمر القرآن وانشرح صدره للإسلام، فأسلم وذهب إلى رسول الله (ﷺ) معلناً إسلامه ومجاهراً به .

لقد كانت فاطمة (رضي الله عنها) المرأة المؤمنة التي لا تخشى إلا الله، والمرأة الحكيمة التى لا تضيع فرصة يمكن بها أن يعز الإسلام وتقوى شوكته. دافعت عن زوجها عندما ضربه عمر، ولما لطمها أعلنت له إسلامها بكل جرأة وتحد والدماء تسيل منها ، فهالت عمر تلك الشجاعة، وراعه ذلك الإصرار فتهاوى كبرياؤه وتلاشت سطوته أمام رسوخ إيمانها وصلابته. ولما رأى الدم على وجه أخته وندم على ما صنع، انتهزت فاطمة فرصة ندمه وهدوئه، ولم تمنعه من الصحيفة عندما طلبها منها طمعاً فى إسلامه، إنما اشترطت عليه أن يغتسل فاغتسل عمر وأخذها وكان ما كان من إسلامه .

فكان لصمودها تأثير عظيم فى بعث روح الإسلام فى أعظم الرجال مهابة وأشدهم على الإسلام والمسلمين ، فلم يستطع عمر بقوته أن ينزع الإيمان من قلبها ، بل استطاعت هي-بفضل الله- أن تجعل قلبه يخشع لذكر الله وما نزل من الحق، فانطلق مجاهراً بإسلامه، وكان أول من أعلن إسلامه، كما قال ابن عباس «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب »(١) . وكان فى جهره بالإسلام قوة للمسلمين وإعزاز لهم كما قال عبدالله بن مسعود « مازلنا أعزة منذ أسلم عمر »(٢) .

وبذا يكون للمرأة دور مبارك فى الجهر بالإسلام وإعزازه في ذلك الوقت المبكر. فعلى يديها هدى الله رجلاً أعز به الدين وأيد به الحق .وقوى به المسلمين. واستجاب

---

(١) مجمع الزوائد : كتاب المناقب: باب مناقب عمر: ٩/ ٦٣ وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن .
(٢) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب إسلام عمر بن الخطاب: ٧/ ١٧٧ (من فتح الباري) .

الله تعالى دعاء نبيه ﷺ، روى ابن عمر[١] أن رسول الله (ﷺ) قال : «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب . قال وكان أحبهما إليه عمر»[٢] . وبإسلام عمر وإعلانه ذلك أمام المشركين قوي جانب المسلمين حتى هابهم المشركون . يقول ابن عباس: «لما أسلم عمر (ﷺ) قال المشركون اليوم انتصف منا القوم»[٣] .

واستطاع المسلمون ممارسة عبادتهم والطواف بالبيت دون خوف من المشركين، كما قال عبدالله بن مسعود « إن كان إسلام عمر لفتحاً وهجرته لنصراً وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر . . »[٤] .

وفي رواية[٥] : « . . . ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه » .

المطلب الثالث: ثبات المرأة على الدعوة :

عندما جهر النبى (ﷺ) بدعوته، وأخذ الناس يدخلون في دينه، خاف المشركون أن ينتشر هذا الدين، فأخذوا يبطشون بالمستضعفين من أتباع محمد (ﷺ) الذين لاسند لهم يحميهم ولا قبيلة تذود عنهم «فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا

---

(١) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى . أسلم مع أبيه وهو صغير . هاجر قبل أبيه ولم يشهد بدراً لصغره .واختلف فى شهوده أحداً . أول مشاهده الخندق ، وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وأفريقية . مات سنة ثلاث وسبعين وهو بن ست وثمانين وقيل أربع وثمانين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٢٣٦-٢٤١ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣٤٧-٣٥٠ .

(٢) سنن الترمذي . أبواب المناقب: باب مناقب عمر: ١٠/ ١٦٧-١٦٨ وقال الترمذي (حسن صحيح غريب)، (من تحفة الأحوذي) .

(٣) مستدرك الحاكم . كتاب معرفة الصحابة : باب مناقب عمر : ٣/ ٨٥، وقال الحاكم صحيح الأسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) مجمع الزوائد . كتاب المناقب : باب مناقب عمر : ٩/ ٦٢-٦٣ وقال الهيثمى : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح إلا أن القاسم لم يدرك جده ابن مسعود .

(٥) السيرة لابن هشام : ١/ ٣٤٢ .

يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والبطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر « من استضعفوا منهم ، يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم « ويعصمه الله منهم »(١) .

ولم يقتصر التعذيب على الرجال من المؤمنين فحسب ، بل شمل المرأة المسلمة التي وقفت وقفة أولئك الأبطال ثابتة على عقيدتها ، مدافعة عن دينها ، محتملة صنوف الأذى والتعذيب في سبيل نصرة الحق الذي آمنت به ، فلم يتحرج الكفار من النيل من النساء المسلمات اللاتي وجدن في الإسلام ما ينقذهن من حياة الذل والهوان إلى حياة العزة والكرامة ، وما يحقق لهن سعادة الدنيا والآخرة ، فأنزلوا بهن ألوان الأذى ، وما وجدوا منهن إلا الصبر على الإيذاء والثبات على العقيدة حتى لو كان الثمن هو الحياة .

ومن النساء اللاتي لقين الأذى والتعذيب من المشركين ، سمية أم عمار أول شهيدة في الإسلام ، وغيرها كثير من النساء المسلمات أمثال زنيرة ، ولبيبة ، والنهدية وابنتها ، وأم عبيس ، وأم بلال بن رباح .

ولنقف عند هؤلاء النسوة المؤمنات لنرى ما لقين فى سبيل الله من الظلم والألم فصبرن واستهن بما أصابهن فى سبيل الله تعالى .

سمية أم عمار(٢) : أسلمت سمية قديماً مع زوجها وابنها ، وكانت من السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام بمكة(٣) . وأدركت هذه الأسرة أنها بإسلامها واتباعها محمداً

---

(١) السيرة لابن هشام : ١/ ٣١٧ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٥٧ .

(٢) سمية بنت خباط- بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة ويقال بمثناة تحتانية- وقيل سمية بنت خبط-بفتح أوله- مولاة أبى حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم . وكان ياسر حليفاً لأبى حذيفة ، فزوجه سمية فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة . وكانت من السابقين إلى الإسلام . كانت سابع سبعة في الإسلام وكانت ممن يعذب في الله عز وجل أشد العذاب . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٢٦٤ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٥٢ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٣٤ .

(٣) السبعة هم « رسول الله (ﷺ) وأبو بكر وعمار وأمه سمية وبلال وصهيب والمقداد » . سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٣٤٧ ، انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٥٢ .

(ﷺ) قد دخلت حياة الاضطهاد والتعذيب من قبل كفار قريش ورؤسائها . فما أن علمت بنو مخزوم بإسلام هؤلاء الثلاثة حتى ثارت ثائرتهم ، فخرجوا بهم إلى الرمضاء ، وجعلوا يسومونهم سوء العذاب ، وألبسوهم دروع الحديد ، وصفدوهم في الشمس[(١)] . ومرت أيام من الشدة والكرب وسمية وزوجها وابنها في بطحاء مكة ، يذوقون فوق رماها المتقدة ألوان الأذى . ومر بهم رسول الله (ﷺ) وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فحثهم على الصبر والثبات .

روى الطبراني[(٢)] بسنده عن عثمان بن عفان[(٣)] قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول لأبي عمار[(٤)] وأم عمار وعمار[(٥)] : «اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة» . ودعا لهم رسول الله (ﷺ) بالمغفرة حين رآهم يعذبون .

روى أحمد[(٦)] بسنده عن عثمان بن عفان قال « . . . أقبلت مع رسول الله (ﷺ)

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٤٠٩ وقال في الهامش: سنده حسن ، السيرة لابن هشام: / ٣١٩-٣٢٠ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٥٨ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٣٥ .

(٢) انظر مجمع الزوائد : كتاب المناقب : باب فضل عمار بن ياسر وأهل بيته : ٩/ ٢٩٣ وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي . ذو النورين . أسلم أول الإسلام وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وهاجر إلى المدينة . تزوج رقية وأم كلثوم بعدها ابنتي رسول الله . بويع بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين . وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٤٨٠-٤٩٢ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٤٦٢-٤٦٣ .

(٤) ياسر بن عامر العنسي والد عمار ، قدم من اليمن فحالف أبا حذيفة بن المغيرة . وزوجه أبو حذيفة أمة اسمها سمية . أسلم ياسر وكان ممن يعذب في الله . ومات في العذاب . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٦٩١-٦٩٢ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٦٤٧-٦٤٨ .

(٥) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك . من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وممن عذب في الله عذاباً شديداً شهد بدراً وأحداً وغيرهما . وشهد قتال مسيلمة وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام قُتل يوم صفين سنة سبع وثلاثين وعمره أربعاً وتسعين سنة ، وقيل ثلاث وتسعون . انظر: أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٦٢٦-٦٣٢ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٥١٢-٥١٣ .

(٦) في المسند . كتاب السيرة النبوية: باب ما جاء في تعذيب المستضعفين: ٢٠/ ٢٢٠ (من الفتح الرباني)

آخذاً بيدى نتمشى بالبطحاء حتى أتى على أبيه وأمه (يعنى عمار) وعليه يعذبون فقال أبو عمار : يا رسول الله الدهر هكذا فقال النبي (ﷺ) له : اصبر . ثم قال : اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » .

وتوالت الأيام وتضاعف العذاب على سمية ، وبلغ منها الألم كل مبلغ ، وهي صابرة محتسبة ، سعيدة ببشرى رسول الله (ﷺ) لأسرتها المسلمة عندما مر بهم وقال: «أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة» [١] .

وشدد الكفار العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع الصخر أحمر على صدره أخرى وبالتغريق ثالثة [٢] . وإذا كانت شدة العذاب بلغت بعمار أنه لا يدري ما يقول وأقر للمشركين - بما أرادوا وقلبه مطمئن بالإيمان [٣] ، فقد أبت سمية أن تنطق بحرف مما يريده المشركون وإن كان ما نزل بزوجها أعظم - . فقد تذرعت بالصبر فى عزة المؤمن الذى يأبى الاستسلام لأعداء الله ، ويرفض النطق بالكفر بعد الإيمان . وهانت عليها الآلام واستصغرت العذاب بعد أن سمعت من رسول الله (ﷺ) ما سمعت . واشتد الغيظ بأبي جهل وهو يرى من صمود هذه المرأة وثباتها ما يحاكى الجبال ، فأخذ يعذبها علها تخضع أو تستسلم وتنهال كلماته كالصواعق عليها من تهديد ووعيد وسب لمحمد ودينه[٤] فلا يرى منها إلا نظرات الاستخفاف والاستعلاء ، فزاد غيظه وجعل يكيل لها الشتائم بأقبح الألفاظ فأغلظت له القول وردت عليه رداً أوجعه [٥] ، فطعنها فى قبلها

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد . ٩/ ٢٩٣ ، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(١) مستدرك الحاكم . كتاب معرفة الصحابة : ذكر مناقب عمار بن ياسر : ٣/ ٣٨٨-٣٨٩ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٤٥ .

(٣) أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي (ﷺ) وذكر آلهتهم بخير ، ثم تركوه ، فلما أتى النبي (ﷺ) قال: ما وراءك ، قال : شر يا رسول الله ما تركت حت نلت منك وذكرت آلهتهم بخير . قال كيف تجد قلبك ؟ قال مطمئن بالإيمان . قال : إن عادوا فعد . مستدرك الحاكم . كتاب التفسير : باب تفسير سورة النحل: ٢/ ٣٥٧ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبى : ١/ ٤٠٩ .

(٥) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٤٥ .

بحربة فى يديه فماتت[١] وقيل طعنها فى فخذها فسرى الرمح إلى فرجها فماتت شهيدة[٢] .

ومرت الأيام وانتقم الله لسمية ولغيرها من المسلمات وقُتل أبو جهل يوم بدر كافراً .

روى ابن سعد[٣]: «أن سمية أول شهيدة في الإسلام وكانت كبيرة وضعيفة ، فلما قُتل أبو جهل يوم بدر قال رسول الله (ﷺ) لعمار بن ياسر : قد قتل الله قاتل أمك» .

وهكذا قدمت سمية حياتها رخيصة فى سبيل الله لتكون لبنة في بناء الإسلام الشامخ ، ولتكون القدوة الصالحة لمن خلفها في الثبات على الدين ، والتضحية بالنفس وفدت دينها بكل غال لديها بالزوج ، والابن ، بل بالحياة التى قدمتها فداء لدينها وطاعة لربها ورغبة فيما عنده ، لتكون بذلك نموذجاً رائعاً من نماذج الجهاد ، وصورة حية من صور الفداء . فما أرخص الأنفس حين تكون ثمناً للجنة .

زنيـــرة[٤] :- من النساء المسلمات اللاتي عذبهن المشركون وجعلوا يسخرون من دينهن: زنيرة الرومية ، التي كانت من السابقات إلى الإسلام ، وممن يعذب في الله تعالى . وكانت إحدى النساء المسلمات اللاتي لم يتحرج الكفار من النيل منهن ، فأذاقوها صنوف الأذى ، وقام بتعذيبها أبو جهل عذاباً شديداً قاسياً حتى ذهب بصرها من شدة

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٦٤-٢٦٥ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٥٢ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٤٥ ، سير أعلام النبلاء للذهبى : ١/ ٤٠٩ .

(٢) انظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر : ٤/ ٣٣١ (مطبوع على هامش الإصابة) ط١ (دار العلوم الحديثة) .

(٣) الطبقات الكبرى : ٨/ ٢٦٤ ، وإسناده صحيح . ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة : ٤/ ٣٣٥ .

(٤) زنيرة - بكسر أولها وتشديد النون المكسورة بعدها تحتانية مثناة ساكنة - . كانت مولاة بني مخزوم ، وقيل كانت مولاة بنى عبدالدار ، وكانت من السابقات إلى الإسلام وممن يعذّب فى الله تعالى . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٢٣ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣١١ ، الاستيعاب لابن عبد البر : ٤/ ٣٢٢ .

العذاب[١] . ولم يتركها المشركون بعد أن أفقدوها بصرها ، بل انتقلوا إلى ضرب آخر من ضروب الإيذاء وهو السخرية والاستهزاء بها وبدينها فجعلوا يقولون بلسان الكفر والجهالة والحماقة «أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما » . ولكنها ردت عليهم رد المؤمنة بقضاء الله وقدره ، الصابرة على ألوان الأذى في سبيله ، الواثقة بأن الله وحده هو النافع والضار ، وأنه وحده القادر على أن يرفع عنها وعن أمثالها ما يلقين من الشدة والمحنة فقالت: «وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ، إنما هذا من السماء وربي قادر على رد بصري» . فأصبحت وقد فرج الله عنها وأعاد إليها بصرها .

ولم يكن هذا الأمر العظيم دافعاً لأولئك الكفار لأن يهتدوا إلى الحق أو يكفوا عن الإيذاء بل زادهم إمعاناً في الضلال وزيادة في الكفر فقالوا: «هذا من سحر محمد »[٢] .

ولم تلق تلك المؤمنة الصابرة العذاب من أبى جهل وحده ، بل توالى عليها العذاب ممن هم على دينه ومنهم عمر بن الخطاب قبل أن يسلم كان يعذبها أشد العذاب .

قال حسان بن ثابت[٣]: «حججت والنبي يدعو الناس إلى الإسلام ، وأصحابه يعذبون ، فوقفت على عمر يعذب جارية بنى عمرو بن المؤمل[٤] ثم ثبت على زنيرة فيفعل بها ذلك »[٥] . واستطاعت زنيرة أن تتغلب على المحنة التى مرت بها فلم تستلم

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢/ ٤٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣١١ .

(٢) أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٢٣ ، وانظر السيرة لابن هشام : ١/ ٣١٨ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٤٧ ، الإصابة : ٤/ ٣١٢ .

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارى الخزرجي ، شاعر رسول الله (ﷺ) .كان رسول الله ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه يفاخر عن رسول الله ، ورسول الله يقول: '' إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله '' جعله رسول الله مع النساء يوم الخندق . توفى قبل الأربعين في خلافة علي وقيل سنة خمسين . وهو ابن مائة وعشرين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٤٨٢-٤٨٤ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٣٢٦ .

(٤) سيأتى الحديث عنها بعد زنيرة .

(٥) الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣١٢ .

للكفار ، ولم تتخل عما آمنت به . وفرج الله عنها واشتراها أبو بكر[١] وأعتقها[٢] وهي إحدى السبعة[٣] الذين أعتقهم أبو بكر ﷺ .

لبيبة[٤]:- جارية بني المؤمل ، أسلمت قديماً أول الإسلام وكانت ممن اشتد عليها العذاب والتنكيل من المشركين فأغاظتهم بقوة إيمانها وثباتها على الحق ، ولم يتركوها حتى بلغ منهم الإعياء مبلغه .

وكان يتولى تعذيبها عمر بن الخطاب قبل أن يسلم . وأنزل بها أشد العذاب لكي يفتنها ويصرفها عن دينها . ولكنه لم يجد منها إلا الصبر والثبات على الإيمان ، فيعود إلى ضربها بالسياط ويوالي ذلك عليها حتى إذا تعب ومل وبلغ به السأم واليأس مبلغاً كبيراً تركها قائلاً لها «إني أعتذر إليك إني لم أتركك إلا ملالة» .

فترد عليه في استعلاء المؤمن وأعتزازه بعقيدته رداً يكافيء كلامه وينذره عقاب الله إن بقي على كفره فتقول «كذلك فعل الله بك»[٥] . امرأة ضعيفة تقهر بصبرها كبرياء رجل شديد ، فيكل ويتعب ولكن صبرها وثباتها لم يهن ولم يضعف ، وعلم أبو بكر

---

(١) عبدالله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي أبو بكر الصديق . أول من أسلم من الرجال . صاحب رسول الله في الغار وفي الهجرة . والخليفة بعده ، أسلم على يده خمسة من المبشرين بالجنة . شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) . كانت بيعته في السقيفة يوم وفاة رسول الله . مات بعد النبي (ﷺ)بستين وأشهر بالمدينة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة . وعمره ثلاث وستون سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٢٠٥-٢٣١ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣٤١-٣٤٤ .

(٢) انظر: أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ١٢٣ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢/ ٤٧ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣١٢ .

(٣) ‘‘وهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة وزنيرة وجارية بنى المؤمل والنهدية وابنتها وأم عبيس ‘‘ . أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٦٥ ، انظر: السيرة لابن هشام : ١/ ٣١٨-٣١٩ .

(٤) جارية بني المؤمل بن حبيب بن تميم بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي ابن كعب . أسلمت قديماً أول الإسلام وكانت ممن يعذب في الله بمكة ، لم يسمها ابن هشام في السيرة ، ولا ابن الأثير في أسد الغابة وسماها في الكامل فى التاريخ ، وسماها ابن حجر في الإصابة لبيبة وقال: ‘‘وردت في غالب الروايات غير مسماه وسماها البلادري عن أبي البحتري ‘‘ الإصابة ٤:٣٩٩ ، انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٣١٩ ، انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٤٣٩ .

(٥) السيرة لابن هشام : ١/ ٣١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٤٧ بلفظ ‘‘ إني لم أدعك إلا سآمة فتقول: كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم ‘‘ .

رضي الله عنه بما تلقاه من الأذى فاشتراها وأعتقها [١] .

النهدية وابنتها:- لم تقتصر محاربة الدعوة والنيل من محمد (ﷺ) وأصحابه والإسراف في تعذيب الضعفاء من المسلمين على رجال المشركين، بل أثارت دعوة محمد (ﷺ) رجال المشركين ونساءهم على السواء، فاشتركوا جميعاً في تعذيب المسلمين وإيذائهم .

فالنهدية وابنتها كانتا من موالي بني نهد فصارتا لامرأة من بني عبد الدار [٢]، واستجابتا للإسلام فأخذت مولاتهما تذيقهما صنوف الأذى من ضرب وسخرية وتكليف بأعمال تشق عليهما . وكانت تقول للنهدية وهي تعذبها «والله لا أقلعت عنك أو يبتاعك بعض أصحاب محمد »[٣] .

ومر بهما أبو بكر ذات يوم وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول لهما متوعدة ومهددة ، «والله لا أعتقكما أبداً » .

فلما سمعها أبو بكر تألم لهم وعز عليه أن يتركهما على تلك الحال فقال لها «حل[٤] يا أم فلان ، فقالت: حل أنت أفسدتهما فأعتقهما ، قال فبكم هما ؟ قالت بكذا وكذا . قال قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها » ، وعلى الرغم من فرحتهما بالخروج من دار العذاب والمحنة وتشوقهما إلى طعم الحياة الحرة الكريمة ، إلا أن أخلاقهما الكريمة دفعتهما إلى إتمام ما أوكل إليهما من عمل قبل عتقهما ، فقالتا لأبي بكر «أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ؟ قال : وذلك إن شئتما »[٥] .

---

(١) انظر: المرجعين السابقين ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٤٣٩ ، الإصابة لابن حجر : ٣٩٩/٤ ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير : ٥٨/٣ .

(٢) انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٣١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٤٧/٢ .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٤٧ .

(٤) حل : أي تحللي من يمينك : النهاية لابن الأثير : ١/ ٤٣٠ .

(٥) السيرة لابن هشام : ٣١٩/١ ، انظر البداية والنهاية لابن كثير : ٥٨/٣ .

أم عبيس[١] :- كانت من السابقات إلى الإسلام . وأنزل بها المشركون ألواناً من العذاب كغيرها من المسلمات ، ومضت عليها أيام من الشدة وهي تعاني من صنوف الإيذاء . ولم يجد المشركون منها إلا الصمود والثبات . وكان يعذبها رجل يقال له الأسود بن عبد يغوث[٢] . ومر بها أبو بكر وهي تعذب فاشتراها وأعتقها[٣] .

حمامة :- وهي أم بلال بن رباح [٤]مؤذن رسول الله (ﷺ) كانت من السابقات إلى الإسلام . وكانت ممن يعذب في الله تعالى . فصبرت على ما أوذيت ، ولم تكن أقل ثباتاً وعزماً من ابنها بلال ، بل صمدت في وجه الباطل ، وتحدت طغيان المشركين حتى أنقذها الله من أيديهم ، فاشتراها أبو بكر وأعتقها[٥] .

ملخص المبحث :

١- استجابت المرأة للدعوة منذ أول ظهورها ، وكان أول من ناصر دعوة محمد (ﷺ) امرأة هي خديجة بنت خويلد التي كانت المثل الأعلى في مؤازرة النبي (ﷺ) ومواساته بنفسها ومالها .

٢- بينت سيرة خديجة (رضي الله عنها) للنساء المسلمات كيفية معاملة المرأة لزوجها

---

(١) أم عبيس – بضم العين المهملة ، وفتح الباء الموحدة وتسكين الياء تحتها نقطتين وآخره سين مهملة- كانت فتاة لبني تيم بن مرة . وقيل كانت أمة لبني زهرة . وهي زوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وولدت له عبيساً فكنيت به . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٦٥ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٧٥ .

(٢) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٤٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٧٥ .

(٣) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٤٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٧٥ .

(٤) بلال بن رباح يكنى : أبا عبد الكريم . أمه حمامة من مولدى مكة . كان من السابقين إلى الإسلام . وممن يعذب في الله تعالى فيصبر على العذاب . آخى رسول الله بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح وكان يؤذن لرسول الله في حياته سفراً وحضراً . شهد بدراً والمشاهد كلها . توفي بلال بدمشق ، سنة عشرين وقيل غير ذلك . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٢٤٣-٢٤٥ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ١٦٥ .

(٥) انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٦٩ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٧٤ .

الداعية ، وكيف تكون عوناً له على مواصلة رسالته ، ولا تكون عائقاً يعوقه عن نشر دعوته .

٣- عظم وفاء النبى (ﷺ) لخديجة لما قدمته للدعوة من دعم مادى وبدني ، ولما بذلته من جهود في مؤازرة النبي (ﷺ) .

٤- دافعت المرأة المسلمة عن الدعوة بقدر استطاعتها وبكل ما تملك ، متأثرة بالتربية الإيمانية ، والتنشئة على مناصرة الدعوة والدفاع عنها .

٥- ساعدت المرأة المسلمة بإيمانها وثباتها على الحق ، على نقل الدعوة من مرحلة استخفاء المسلمين بعبادتهم ، إلى مرحلة الجهر بها دون خوف من الكفار .

٦- أثبتت المرأة حين آمنت استعدادها للثبات على الإيمان والصبر على الإيذاء وتحمل تبعات إسلامها مهما كلفها ذلك . حتى كان أول من استشهد في سبيل الله تعالى امرأة .

٧- أعطت المرأة المسلمة للطغاة درساً بأن ما بناه الإيمان لا يمكن أن تهده معاول التعذيب . وأن النفوس المؤمنة حين تخضع لله تعالى ، تأبى الخضوع لغيره مهما كلفها ذلك من مشقة وعذاب .

٨- رسمت المرأة المسلمة الأولى طريق الإيمان والثبات والصبر لمن خلفها من المسلمات ، وأعطت المثل الأعلى في الثبات على الدين ولو كان الثمن هو الحياة .

المبحث الثاني

دور المرأة في الهجرة إلى الحبشة

المطلب الأول: تعريف الهجرة وحكمها :

تعريف الهجرة لغة :- الهَجْرُ : ضد الوصل هَجَره يَهْجُرُه هَجْراً وهِجْراناً : صَرَمَهَ ، والاسم الهِجْرَةُ . والهِجْرَةُ والهُجْرَةُ : الخروج من أرض إلى أرض . وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدن ، يقال : هاجر الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه ، فقد هاجر قومه . وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها لله . ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة ، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر ، فهو مهاجر ، والاسم منه الهجرة . قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[(١)] .

الهجرة شرعاً :- هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام [(٢)] ، وكانت أول هجرة شرعية بهذا المعنى هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام . فإن إبراهيم عليه السلام لما بالغ فى النصح لقومه ولم يستجيبوا له وأحس منهم بالعداوة الشديدة ، هاجر من بين أهله من بابل بالعراق إلى أرض الشام ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط . ثم هاجر إلى مصر ومكث بها مدة ثم رجع إلى البيت المقدس فبقى بها ، وافترق عنه لوط فى الإقامة عن تراض منهما فذهب لوط إلى سدوم في الأردن[(٣)] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور : ٥/ ٢٥٠-٢٥١ . والآية من سورة النساء (١٠٠)، انظر النهاية لابن الأثير: ٥/ ٢٤٤-٢٤٥ .

(٢) المغني ، أبومحمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة : ٨/ ٤٥٦ . تصحيح محمد خليل هراس (القاهرة: مكتبة ابن تيمية) وانظر أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي: ١/ ٤٨٤ ، تحقيق : على محمد البجاوي (بيروت: دار المعرفة) ، كتاب التعريفات . الشريف علي بن محمد الجرجاني ص ٢٥٦ ، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية) .

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١/ ٥٧-٦٧ ، البداية والنهاية لابن كثير : ١/ ١٤٦-١٥٣ ، قصص الأنبياء عبدالوهاب النجار ص٧٩-٩١ (بيروت: دار الفكر) .

قال تعالى عن ابراهيم: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[١] . قال القرطبي[٢]: «هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة . وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام ، وذلك حين خلصه الله من النار قال (إني ذاهب إلى ربي) أي مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه (سيهدين) فيما نويت إلى الصواب . قال مقاتل: هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة ، إلى الأرض المقدسة وهي أرض الشام» .

وقال الفخر الرازى[٣] : « دلت هذه الآية على أن الموضع الذى تكثر فيه الأعداء تجب مهاجرته وذلك لأن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه مع أن الله سبحانه خصه بأعظم أنواع النصرة ، لما أحس منهم بالعداوة الشديدة هاجر من تلك الديار فلأن يجب ذلك على الغير كان أولى » . وقال تعالى: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٤] يقول الفخر الرازى[٥] : « لما بالغ إبراهيم في الارشاد ولم يهتد قومه ، وحصل اليأس الكلي حيث رأى الآية (ولم يؤمنوا) وجبت المهاجرة» .

حكم الهجرة: ـ ثم كانت الهجرة في الإسلام في عهد محمد (ﷺ) . وقد مرت الهجرة فى الإسلام بعدة مراحل كان لكل مرحلة منها حكمها . فقد ظل المسلمين مستضعفين بمكه زماناً لم يؤذن لهم بالهجرة ثم جعل الله لهم فرجاً مما هم فيه وأذن لهم بالهجرة .فأعلمهم رسول الله (ﷺ) أن الله قد جعل لهم بالهجرة فرجاً .وأمرهم ببلاد الحبشة[٦] . فهاجرت إليها منهم طائفة [٧] . وكانت هذه الهجرة مرخصاً فيها لمن أراد ذلك

(١) سورة الصافات آية (٩٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٥/ ٩٧ .

(٣) التفسير الكبير :٢٦/ ١٥٠ .

(٤) سورة العنكبوت آية (٢٦) .

(٥) التفسير الكبير :٢٥/ ٥٥ .

(٦) أرض الحبشة : هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما البحر . ولأهلها صلات قديمة مع العرب ، ولملكهم موقف يذكر ويشكر مع المسلمين الذين هاجروا إليه . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، عاتق ابن غيث البلادي ص٩١ ط١ (مكة : دار مكة للنشر) .

(٧) انظر أحكام القرآن . أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: ٢/ ١١-١٢ جمعه: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب السنن الكبرى . (بيروت: دار الكتب العلمية) .

من المسلمين . ولما دخل أهل الإسلام أمر رسول الله (ﷺ) طائفة فهاجرت إلى المدينة غير محرم على من بقي ترك الهجرة [١] .

ثم أذن الله لرسوله بالهجرة من مكة إلى المدينة فهاجر رسول الله (ﷺ) ولم يحرم على من بقى بمكه المقام بها وهي دار شرك ، وإن تعرضوا للفتنة فيها[٢] ، ولما فرض الله عز وجل على رسوله(ﷺ) قتال المشركين واشتد إيذاء المشركين للمسلمين بمكه ، فرض الله بعد ذلك الهجرة من مكة دار الشرك إلى المدينة لمن يفتن فى دينه ولايمنع من الهجرة[٣] . وتوعد من فتن فى دينه فلم يهاجر وهو قادر على ذلك فقال سبحانه:
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[٤] .

«فهذا وعيد شديد يدل على الوجوب . ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته ، ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب»[٥] .

يقول القرطبى [٦] فى معنى الآية : «أي ألم تكونوا متمكنين قادرين على الهجرة والتباعد ممن كان يستضعفكم ، وفي هذه الآية دليل على هجران الأرض التي يعمل فيها بالمعاصي» .

وتوعدهم الله تعالى بجهنم لأن الهجرة للقادر عليها كانت شرطاً لصحة الإسلام .

---

(١) انظر احكام القرآن للشافعي:٢/ ١١-١٢ .

(٢) انظرأحكام القرآن للشافعي: ٢/ ١٥-١٦ ، شرح مسلم للنووي :٧/١٣ ، فتح البارى لابـن حجـر : ٧/ ٢٢٩، ٦/ ٣٨ .

(٣) انظرأحكام القرآن للشافعى :٢/ ١٥-١٦ ، شرح مسلم للنووى :٧/١٣ ، فتح الباري لابـن حجـر : ٧/ ٢٢٩، ٦/ ٣٨

(٤) سورة النساء آية (٩٧) .

(٥) المغنى لابن قدامة : ٨/ ٤٥٧ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٥/ ٣٤٦ .

ووجبت عليه ليكون حراً في دينه وآمناً في نفسه، وليتلقى الدين ويتفقه فيه، وليكون ولياً ونصيراً للنبي (ﷺ) وللمؤمنين[١] .

وعذر الله تعالى الذين لايتمكنون من الهجرة من المفتونين فقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[٢] .

ودلت سنة رسول الله (ﷺ) على أن فرض الهجرة - على من يقدر عليها - إنما هو على من فتن في دينه في البلد الذى أسلم به . أما من قدر على إقامة شعائردينه فلا تجب الهجرة عليه . لأن رسول الله (ﷺ) أذن لقوم أن يقيموا بمكه بعد إسلامهم إذا لم يخافوا الفتنة ، منهم عمه العباس بن عبد المطلب[٣] . وأبو العاص بن الربيع[٤] . ولأن النبى (ﷺ) كان يأمر جيوشه بتخيير من أسلم بين الهجرة إلى المدينة وبين الإقامة في ديارهم ولهم حكم أعراب المسلمين، وكان يقول لأمير الجيش «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ... ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين »[٥] .

---

(١) انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا: ٥/ ٣٥٤- ٣٥٦ ، ط ٢ (بيروت: دار المعرفة) .

(٢) سورة النساء آية (٩٨-٩٩) .

(٣) انظر أحكام القرآن للشافعي: ٣/ ١٧ .

(٤) انظر السنن الكبرى للبيهقي: كتاب السير: باب الرخصة في الإقامة بدار الشرك لمن لايخاف الفتنة: ٩/ ١٥ ، وفيه أن أبا العاص بن الربيع رجع إلى مكة بعدما أسلم ولم يشهد مع النبي (ﷺ) مشهداً . ثم قدم المدينة بعد ذلك وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتى عشرة .

(٥) صحيح مسلم . كتاب الجهاد : باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث :١٢/ ٣٧-٣٨ ، معنى ذلك أنهم إن هاجروا إلى المدينة كانوا كالمهاجرين في استحقاق الفيء والغنيمة وإلا فهم أعراب كسائر أعراب المسلمين تجرى عليهم أحكام الإسلام ولاحق لهم في الفيء والغنيمة . انظر شرح مسلم للنووي: ١٢/ ٣٨ .

قال الشافعي[١]: «وليس يخيرهم إلا فيما يحل لهم». يتضح مماسبق أن الناس في الهجرة على ثلاث أضرب :

أولاً: من تجب عليه الهجرة، وهو من يقدر عليها ويفتن في دينه ولايتمكن من إقامة عبادته وإظهار دينه في البلدة التي أسلم فيها .

ثانياً: من لاهجرة عليه وهو من يعجز عنها لمرض أوكبر أوصغر فتجوز له الإقامة ويتكلف الخروج .

ثالثاً : من تستحب له الهجرة ولا تجب عليه ، وهو من يقدر عليها لكنه يتمكن من إقامة شعائر دينه في دار الكفر فيستحب له أن يهاجر لتكثير سواد المسلمين والابتعاد عن رؤية المنكر بين الكفار . ولا تجب الهجرة عليه لأنه يتمكن من إقامة واجب دينه بدون الهجرة [٢] .

بقاء حكم الهجرة : للعلماء في بقاء حكم الهجرة قولان :

القول الأول: إن حكم الهجرة باق لا ينقطع إلى يوم القيامة، نسب ابن قدامة [٣] هذا القول إلى عامة أهل العلم . ومن أدلتهم على ذلك :

١- قوله (ﷺ): « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » [٤] .

٢- سئل النبي (ﷺ) فقيل له: « إن أناساً يقولون إن الهجرة قد انقطعت، فقال رسول

---

(١) أحكام القرآن :٢/ ١٨ .

(٢) انظر المغني لابن قدامة : ٨/ ٤٥٧ .

(٣) انظر المغني : ٨/ ٤٥٧ .

(٤) سنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب في الهجرة هل انقطعت: ٧/ ١٥٦(واللفظ له)، (من عون المعبود) مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية: باب ما جاء في عدم انقطاع الهجرة: ٢٠ / ٢٩٥-٢٩٦ (بنحوه)، (من الفتح الرباني) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٥/ ٢٥١ ، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات .

الله (ﷺ) إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد »[١] .

٣- قوله (ﷺ): «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار »[٢] .

القول الثاني: أن الهجرة قد انقطعت بفتح مكة . ونسب ابن قدامة[٣] هذا القول إلى بعض العلماء . ومن أدلتهم على ذلك :

١- قول رسول الله (ﷺ): «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا »[٤] .

٢- سئلت عائشة رضي الله عنها عن الهجرة فقالت: «لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله (ﷺ) مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام واليوم يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية »[٥] .

٣- عن مجاشع بن مسعود[٦] قال: «انطلقت بأبي معبد[٧] إلى النبي (ﷺ) ليبايعه على

---

(١) مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية : باب ما جاء في عدم انقطاع الهجرة ٢٠/ ٢٩٧ (من الفتح الرباني) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد :٥/ ٢٥١ ، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) سنن النسائي . كتاب البيعة: باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة : ٧/ ١٤٧ (واللفظ له) ، مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية : باب ما جاء في انقطاع الهجرة : ٢٠/ ٢٩٦ (بنحوه) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٥/ ٢٥١ : وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) انظر المغني : ٨/ ٤٥٦ .

(٤) صحيح البخاري . كتاب الجهاد: باب وجوب النفير : ٦/ ٣٧ (واللفظ له) ، (من فتح الباري) صحيح مسلم . كتاب الإمارة : باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد : ١٣/ ٨ (بنفس اللفظ) . سنن النسائي . كتاب البيعة: ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة : ٧/ ١٤٦ (بنفس اللفظ) . سنن الترمذي . أبواب السير: باب ما جاء في الهجرة :٥ / ٢١٤ (بنفس اللفظ) ، (من تحفة الأحوذي) . سنن أبي داود . كتاب الجهاد : باب في الهجرة هل انقطعت: ٧/ ١٥٧ (بنحوه) (من عون المعبود) . مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية : باب قوله(ﷺ) لا هجرة بعد الفتح : ٢٠/ ٢٩٧ ، (بنفس اللفظ) ، (من الفتح الرباني) .

(٥) صحيح البخاري . كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة : ٧/ ٢٢٦ (من فتح الباري) .

(٦) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب . نزل البصرة . قتل يوم الجمل بالبصرة مع عائشة قبل القتال وقيل قتل يوم الجمل يوم الحرب التى حضرها علي وطلحة والزبير . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٢٨٤-٢٨٥ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٣٦٢ .

(٧) هو مجالد بن مسعود السلمى . يكنى أبا معبد . سكن البصرة . كان إسلامه بعد إسلام أخيه =

الهجرة قال: مضت الهجرة لأهلها . أبايعه على الإسلام والجهاد »[١] .

الجمع بين القولين : يجمع بين بقاء حكم الهجرة في قول النبي (ﷺ): «لا تنقطع الهجرة » وبين انقطاعها في قوله «لا هجرة بعد الفتح » بما بينه العلماء بأن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة على المسلم القادر عليها والذي يفتن في دينه ولا يتمكن من عبادة ربه ، فيهاجر حتى يتمكن من إقامة شعائر دينه . أما من كان قادراً على إظهار دينه وإقامته في دار الكفر فتستحب له الهجرة لتكثير سواد المسلمين .

أما قول النبي (ﷺ): «لاهجرة بعد الفتح » أى لاهجرة من مكة إلى المدينة ، بعد أن فتحت مكة ، وبالتالى لاهجرة من بلد قد فتح لأنه إذا فتح لم يبق بلد الكفار فلاتبقى منه هجرة .

يقول ابن حجر [٢] بعد حديث عائشة الذي سئلت فيه عن الهجرة: «أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت . ومن ثم قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين فى بلد من بلاد الكفر فقد صار البلد به دار إسلام فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام» .

وقال البغوي[٣] : في الجمع بينهما: «إن قوله "لاهجرة بعد الفتح " أي من مكة إلى

= مجاشع ، بعد الفتح . قبر بالبصرة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٣٨٧ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٣٦٣ .

(١) صحيح البخاري . كتاب المغازى: باب أحاديث عن الفتح : ٨/ ٢٥ (واللفظ له) ، (من فتح الباري) . صحيح مسلم . كتاب الأمارة : باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد ١٣/ ٧ (بنحوه) . مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية : باب قوله (ﷺ) لاهجرة بعد الفتح ٢٠/ ٢٩٨ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .

(٢) فتح الباري: ٧/ ٢٢٩-٢٣٠ .

(٣) شرح السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي: ١٠/ ٣٧٣ حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط ، ط١ (المكتب الإسلامى) .

المدينة . وقوله " لاتنقطع الهجرة" أراد بها هجرة من أسلم في دار الكفر عليه أن يفارق تلك الدار ويخرج من بينهم إلى دار الإسلام» .

قال ابن حجر: «قد أفصح ابن عمر بالمرادفيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ، "انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله (ﷺ) ولاتنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن في دينه. ومفهومه أنه لو قدر أن لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها والله أعلم» (١) .

وقال ابن العربي(٢): «الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام. وكانت فرضاً في أيام النبي (ﷺ) وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي (ﷺ) حيث كان» .

وقال النووي(٣) : «الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة وتأولوا الحديث (أي الحديث لاهجرة بعد الفتح) تأويلين: أحدهما: لاهجرة بعد الفتح من مكة لأنها صارت دار إسلام فلا تتصور منها الهجرة . والثاني وهو الأصح :أن معناه أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازاً ظاهراً انقطعت بفتح مكة ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة لأن الإسلام قوى وعز بعد فتح مكة عزاً ظاهراً بخلاف ما قبله» .

وقال ابن تيمية(٤) عن حديث «لا هجرة بعد الفتح »، وحديث «لا تنقطع

---

(١) فتح الباري: ٧/ ٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) أحكام القرآن : ١/ ٤٨٤ .

(٣) شرح مسلم : ١٣/ ٨ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية : ١٨/ ٢٨١-٢٨٤ ، جمع وترتيب عبدالله بن محمد بن قاسم (الرباط: مكتبة المعارف) .

الهجرة»: كلاهما حق . فالأول أراد به الهجرة المعهودة في زمانه . وهي الهجرة إلى المدينة من مكة ، وغيرها من أرض العرب ، فإن هذه الهجرة كانت مشروعة لما كانت مكة وغيرها دار كفر وحرب ، وكان الإيمان بالمدينة فكانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة على من قدر عليها . فلما فتحت مكة وصارت دار الإسلام ودخلت العرب في الإسلام صارت هذه الأرض كلها دار الإسلام . فقال «لا هجرة بعد الفتح» ... وهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبة وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة ، هذا أمر باق إلى يوم القيامة » .

حكم هجرة المرأة : حكم الهجرة بالنسبة للمرأة لا يختلف عن حكمها بالنسبة للرجل . فالمؤمن أياً كان رجلاً أم امرأة مطالب بإقامة شعائر دينه كما أمره الله عز وجل . فالمرأة حين تفتن في دينها في بلد الكفر وتقدر على الهجرة وتتوفر لها شروط سفرها من محرم وغيره عندئذ تجب عليها الهجرة ، وإن استطاعت أن تقوم بعبادتها دون خوف أو أذى فيجوز لها البقاء وتستحب لها ، أما إذا كانت من المستضعفين من النساء اللاتى لا حيلة لهن في الخروج ولا يقدرن عليه فهي معذورة في ذلك ولا تجب عليها الهجرة . وقد كانت أم الفضل(١) امرأة العباس بن عبد المطلب من المستضعفين من النساء اللاتي لم يقدرن على الهجرة فعذرها الله في ذلك .

روى البخاري(٢) بسنده عن ابن عباس قال « كنتُ أنا وأمي من المستضعفين» وفي رواية(٣) « كانت أُمي ممن عذر الله » .

---

(١) هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب أخت ميمونة زوج النبي (ﷺ) وخالة خالد بن الوليد . يقال إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة . روت عن النبي (ﷺ) ، وماتت في خلافة عثمان . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٢٥٣-٢٥٤ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٨٣-٤٨٤ .

(٢) في الصحيح . كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله﴾: ٨/ ٢٥٥ (من فتح الباري) .

(٣) في الصحيح . كتاب التفسير : باب قوله: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ : ٨/ ٢٦٣ (من فتح الباري) .

المطلب الثاني: الإذن بالهجرة إلى الحبشة:

استمر المشركون في تعذيب المسلمين لا يفرقون بين الرجال والنساء . فمنهم من مات من شدة ما لقي ، ومنهم من صبر على ما أوذي ومنهم من اضطره العذاب للنطق بما يخالف ما في قلبه من إيمان ويقين .

عن سعيد بن جبير[(١)] قال : «قلت لعبدالله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله (ﷺ) من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له ، ألات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول: نعم ، حتى إن الجعل[(٢)] ليمر بهم ، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول: نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهده »[(٣)] .

وكان رسول الله (ﷺ) يرى أصحابه يعذبون فيتألم لذلك ، ويحثهم على الصبر ويعدهم بنصر الله تعالى لهم .

روى البـــخــــــــاري[(٤)] وأبـــــــــــــــو داود [(٥)]

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام ، الإمام الحافظ المقرىء المفسر الشهيد أبو محمد أحد الأعلام . روى عن ابن عباس فأكثر وجود . وروى عن التابعين . وكان من كبار العلماء ، قرأ القرآن على ابن عباس ، وكان من العباد العلماء . قتله الحجاج . وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين وعمره سبع وخمسين وكانت ولادته في خلافة علي بن أبي طالب . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٤/ ٣٢١-٣٤٢ .

(٢) الجُعَل : دابة سوداء من دواب الأرض وهو حيوان معروف كالخنفساء . لسان العرب لابن منظور : ١١٢/١١ .

(٣) السيرة لابن هشام : ١/ ٣٢٠ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٥٩ . وقال ابن كثير وفى مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان .. الآية ﴾ النحل آية ١٠٦ . فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والضرب البليغ . البداية والنهاية : ٣/ ٥٩ .

(٤) في الصحيح . كتاب مناقب الأنصار: باب ما لقي النبي (ﷺ) وأصحابه من المشركين بمكة : ٧/ ١٦٤-١٦٥ (واللفظ له) ، (من فتح الباري) .

(٥) في السنن . كتاب الجهاد: باب في الأسير يكره على الكفر: ٧/ ٣٠٨-٣٠٩ (باختلاف في اللفظ) ، (من عون المعبود) .

وأحمد[١] بأسانيدهم عن قيس[٢] قال سمعت خباباً[٣] يقول: «أتيت النبي (ﷺ) وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ، ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع الميشار[٤] على مفرق رأسه فيشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه . وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله» .

ولما رأى رسول الله (ﷺ) ما يصيب أصحابه من العذاب والتنكيل وأنه لا يستطيع أن يمنعهم من الأذى ، رأى أن يختار لهم مكاناً مؤقتاً يأمنون فيه على دينهم وأهلهم وأموالهم فأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة . وقال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً [٥] لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً

---

(١) في المسند . كتاب السيرة النبوية: باب ما جاء في تعذيبهم المستضعفين: ٢٠/ ٢٢٢ (باختلاف في اللفظ) ، (من الفتح الرباني) .

(٢) سبقت ترجمته ص٤١ .

(٣) خباب بن الأرت – بتشديد المثناة – بن جندلة بن سعد بن خزيمة سبي في الجاهلية . فبيع بمكة ، وكان من السابقين الأولين أسلم قديماً وكان من المستضعفين وهو أول من أظهر الإسلام وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك . شهد المشاهد كلها . وثبت في الصحيحين أنه مرض مرضاً شديداً حتى كاد أن يتمنى الموت . نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وعاش ثلاثاً وستين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٥٩١-٥٩٤ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤١٦ .

(٤) الميشار : الآلة التي ينشر بها الأخشاب . وهي بالنون «المنشار» أشهر في الاستعمال . انظر لسان العرب لابن منظور : ٥/ ٢٠٩ ، فتح الباري لابن حجر ٧/ ١٦٦ .

(٥) هو النجاشي واسمه أصحمه ملك الحبشة ، معدود في الصحابة . وكان ممن حسن إسلامه ، ولم يهاجر ، ولا له رؤية . فهو تابعي من وجه ، صاحب من وجه . توفي في حياة النبي (ﷺ) ، فصلى عليه بالناس صلاة الغائب ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه . وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى ونقل = =بعض العلماء أن وفاته في شهر رجب سنة تسع من الهجرة . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٤٢٨-٤٤٣ .

مما أنتم فيه» [١] .

تقول أم سلمة[٢]: «لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله (ﷺ) وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله (ﷺ) لا يستطيع دفع ذلك عنهم. وكان رسول الله (ﷺ) في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله (ﷺ) إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه . فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا ونزلنا بخير دار إلى خير جار أمنا على ديننا ولم نخش منه ظلماً » [٣] .

المطلب الثالث :مشاركة المرأة في الهجرة الأولى :

استفاد عدد من المسلمين من إذن رسول الله (ﷺ) بالهجرة فتجهزوا للخروج إلى الحبشة مخافة الفتنة وفراراً بالدين. وكان ذلك في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة . وعندما حان موعد خروجهم أخذوا يتسللون في الخفاء حتى لا تنتبه قريش للأمر فتحبطه. ولما بلغوا ساحل البحر الأحمر منهم الراكب ومنهم الماشي، وجدوا سفينتين للتجار متجهتين إلى الحبشة فحملوهم معهم . وعلمت قريش بالأمر فخرجت في

---

(١) السيرة لابن هشام : ١/ ٣٢١-٣٢٢ ، أنظر البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٦٦ .

(٢) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية . زوج النبي (ﷺ) اسمها هند. وكان أبوها يعرف بزاد الراكب. كانت قبل النبي (ﷺ) عند أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى فولدت له سلمة وعمر ودرة وزينب. كانت من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة . قيل إنها أول ظعينة هاجرت إلى المدينة، توفيت سنة احدى وستين وقيل اثنتين وستين وهى من آخر أمهات المؤمنين موتاً . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٨٦-٩٦ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٤٠-٣٤٣ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٥٨-٤٦٠ .

(٣) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: ٩/ ٩ (من طريق ابن اسحق وقد صرح بالتحديث) (دار الفكر)، البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٧٢ . والحديث أخرج آخره ابن هشام في السيرة مطولاً : ١/ ٣٣٤-٣٣٨ عن ابن اسحق مصرحاً بالتحديث. وأحمد في المسند . كتاب السيرة النبوية: باب هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة: ٢٠/ ٢٢٦-٢٢٩ (من الفتح الربانى) . وأورده الهيثمى في مجمع الزوائد : ٦/ ٢٤-٢٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحق وقد صرح بالتحديث .

آثارهم تبحث عنهم فوجدتهم قد جاوزوا البحر ولم يدركوا منهم أحداً [١] . وكانت هذه أول هجرة في الإسلام[٢] .

وكانت المرأة المسلمة ممن شارك في هذه الهجرة مضحية بكل غال لديها فى سبيل الله تعالى . تاركة وطنها وأهلها طامعة فى عبادة الله تعالى في مكان آمن لا يهان فيه المؤمن ولا يذل . فرسمت بهذه المشاركة صورة مشرقة للمرأة المؤمنة تتجلى فيها قوة الإيمان ، وصدق الاستجابة لله ولرسوله (ﷺ) . وكان عدد المهاجرين فى هذه الهجرة عشرة رجال[٣] وأربع نسوة .

المهاجرات إلى الحبشة الهجرة الأولى: كانت المهاجرات الأربع اللاتي صحبن أزواجهن إلى أرض الحبشة رقية بنت رسول الله (ﷺ)[٤] ، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة [٥] وسهلة بنت سهيل[٦] ، وليلى بنت أبي حثمة [٧] . واكتفي بتفصيل القول عن هجرة رقية

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٢٠٤ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٦٦ .

(٢) انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٣٢٢ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٥١ .

(٣) وهم عثمان بن عفان ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وعامر بن ربيعة ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وأبو سبرة بن أبى رهم ويقال بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسهيل بن وهب بن ربيعة . فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة . انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٣٢٢-٣٢٣ .

(٤) رقية بنت سيد البشر محمد بن عبدالله بن عبد المطلب الهاشمية . أكبر بنات النبي (ﷺ) بعد زينب . تزوجها عتبة بن أبي لهب . فلما بعث النبي (ﷺ) أمر أبو لهب أبنه بطلاقها . فتزوجها عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين . وهاجرت إلى المدينة ، وتخلف عليها عثمان عن بدر وكانت قد أصابها الحصبة فماتت عندما جاء البشير بوقعة بدر . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٣٦-٣٧ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١١٣-١١٥ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٠٤-٣٠٥ .

(٥) سبقت ترجمتها ص ٥٧ .

(٦) سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية العامرية . أسلمت قديماً وهاجرت مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة إلى الحبشة الهجرتين . أمها فاطمة بنت عبد العزى . أرضعت سهلة سالماً مولى أبى حذيفة وهو رجل كبير بعدما شهد بدراً ، فكان يدخل عليها وهو حاسر رخصة من النبى (ﷺ) لسهلة . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٧٠-٢٧١ ، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ١٥٤-١٥٥ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٣٦-٣٣٧ .

(٧) ليلى بنت أبي حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله القرشية العدوية . أسلمت قديماً =

بنت رسول الله (ﷺ)، وليلى بنت أبي حثمة كنماذج للمهاجرات في الهجرة الأولى .

هجرة رقية بنت رسول الله (ﷺ) : ـ ما أن أذن النبي (ﷺ) لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة حتى كانت رقية (رضى الله عنها) وزوجها عثمان بن عفان أول من استجاب لهذا الإذن، وأول من تجهز للخروج . و«لما أراد عثمان بن عفان (ﷺ) الخروج إلى أرض الحبشة قال له رسول الله (ﷺ) أخرج برقية معك . قال : إخال واحداً منكما يصبر[1] على صاحبه . ثم أرسل النبي (ﷺ) أسماء بنت أبى بكر[2] : (رضي الله عنها) فقال ائتيني بخبرهما . فرجعت أسماء إلى النبى (ﷺ) وعنده أبو بكر (ﷺ) فقالت : يارسول الله أخرج حماراً موكفاً[3]: فحملها عليه وأخذ بها نحو البحر فقال رسول الله (ﷺ) ياأبا بكر ، إنهما لأول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام»[4] .

هكذا كانت رقية (رضي الله عنها) في طليعة المهاجرين إلى الحبشة . اختارت الهجرة في سبيل الله تعالى على البقاء في الأرض التى عاشت فيها طفولتها وشبابها ،

= وتزوجت عامر بن ربيعة . هاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة . وصلت القبلتين . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٦٧ ، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٢٥٦ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٠٠ .

(١) كذا فى الأصل ولعل الصواب لايصبر .

(٢) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، القرشية التيمية . زوج الزبير بن العوام . وأم عبد الله ابن الزبير . وهى ذات النطاقين . أمها قيلة ، وقيل : قتيلة بنت عبد العزى . كانت أسن من عائشة ، وهى أختها لأبيها . هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير ، فوضعته بقباء وذلك بعد هجرة رسول الله (ﷺ) بأيام عاشت أسماء وطال عمرها وعميت ، وبقيت إلى أن قتل ابنها عبد الله سنة ثلاث وسبعين وعاشت بعد قتله عشرة أيام وقيل عشرون . وماتت . ولها مائة سنة . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد :٨/ ٢٤٩ -٢٥٥ ، أسد الغابة لابن الأثير :٦/ ٩-١٠ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٢٩-٢٣٠ ..

(٣) آكف الدابة : أي وضع عليها الإكاف وهو الرحال والأقتاب وحماراً موكفاً : أى موضوعاً عليه رحله . انظر لسان العرب لابن منظور : ٩/ ٨-٩ .

(٤) مستدرك الحاكم . كتاب معرفة الصحابة : ذكر رقية (رضى الله عنها) :٤/ ٤٦-٤٧ . وسكت عنه الحاكم والذهبي (واللفظ له) ، مجمع الزوائد . كتاب المناقب باب ماجاء في مناقب عثمان :٩/ ١٨ (مختصراً) وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه الحسن بن زياد البرجمي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

وعلى حياة التواصل والقربى في ظل بيت النبوة ، مضحية بالعيش في كنف والديها ومهاجرة إلى أرض تجهل المصير فيها فراراً بالدين وحماية للعقيدة وشهد لها ولزوجها رسول الله(ﷺ) بالأولوية في الهجرة إلى الله تعالى بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام. فكانت وهي بنت رسول الله (ﷺ) خير قدوة لمن خلفها من النساء المسلمات اللاتي تتابعن بعدها مهاجرات إلى الحبشة، وتحملت (رضى الله عنها) مشاق الهجرة الأولى ومتاعبها التى أنهكت قواها مع ما تكابده من لوعة فراق أبويها . وازدادت حالتها سوءاً باسقاط جنينها الأول، من فرط التعب والإعياء[١]، ولما وصل المهاجرون إلى الحبشة وسمعوا بإسلام قريش وعادوا إلى مكة كانت رقية وزوجها ممن رجع منهم. ولما هاجروا إلى الحبشة الهجرة الثانية كانت رقية مع هؤلاء المهاجرين، فحظيت بشرف الهجرتين معاً[٢] .

هجرة ليلى بنت أبي حثمة: أسلمت ليلى بنت أبي حثمة قديماً ورأت ماأصاب المسلمين من بلاء عظيم وفتنة فى الدين. وما أن أذن النبي ﷺ بالخروج إلى الحبشة حتى سارعت بالإعداد للهجرة والتجهيز للخروج مع زوجها عامر بن ربيعة[٣] مؤثرة طاعة الله ورسوله على البقاء في كنف أهلها وحماية قومها . وعندما كانت تتجهز للهجرة مر بها عمر بن الخطاب وكان من أشد الناس إيذاء للمسلمين قبل إسلامه، وسألها عن خروجها، فأخبرته بأنه وغيره من المشركين كانوا السبب في خروجهم من أرضهم وتركهم أهلهم، فتأثر عمر من ردها، ورأت منه إنكساراً وحزناً عليهم، فاستبشرت بذلك خيراً وطمعت في إسلامه. وكان لإيمانها العظيم وجرأتها التى قابلت بها عمراً،

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد :٨/ ٣٦ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) عامربن ربيعة بن كعب بن مالك . حليف الخطاب بن نفيل العدوي. أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة. ثم هاجر إلى المدينة شهد بدراً وسائر المشاهد مع رسول الله (ﷺ). توفي سنة اثنتين وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفان بأيام. انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ١٧-١ ، الإصابة لابن حجر :٢/ ٢٤٩ .

أثر بالغ في نفسه جعله يدعو لهم، ويمضى يفكر في أمر هذا الدين. روى الحاكم[١] والطبراني[٢] بإسناديهما عن عبد الله بن عامر بن ربيعة[٣] عن أمه أم عبدالله بنت أبي حثمة قالت «والله إنا لنرحل إلى أرض الحبشة فقد ذهب عامر فى بعض حاجتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب (ﷺ) حتى وقف عليّ وهو على شركه وكنا نلقى منه البلاء والشدة علينا فقال إنه الإنطلاق ياأم عبد الله، فقلت: نعم والله لنخرجن في أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً فقال: صحبكم الله. ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم أنصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا. قال فجاء عامر بن ربيعة من حاجته تلك فقلت: ياأبا عبد الله لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا قال: أفتطمعين فى إسلامه ؟ قلت: نعم. قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم جمل الخطاب ، قال يائساً منه مما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام». وإذا كان اليأس قد بلغ بعامر بن ربيعة مبلغاً عظيماً جعله يستبعد إسلام عمر ، فقد صدقت فراسة ليلى، وأسلم عمر وعز المسلمون بإسلامه .

رجوع المهاجرين: أقام المهاجرون رجالاً ونساء بأرض الحبشة شهرى شعبان ورمضان. ثم وصل إليهم الخبر بأن المشركين قد أسلموا وكفوا أذاهم عن المسلمين، فعاد بعضهم إلى مكة في شوال سنة خمس من البعثة[٤]. وعادت النساء اللاتي هاجرن

---

(١) في المستدرك. كتاب معرفة الصحابة: ذكر أم عبد الله ليلى بنت أبي حثمة ٤/ ٥٨-٥٩ (واللفظ له) وسكت عنه الحاكم والذهبي.

(٢) انظر مجمع الزوائد . كتاب المغازى والسير: باب الهجرة إلى الحبشة :٦/ ٢٣-٢٤ . (باختلاف في اللفظ) وقال الهيثمي: رواه الطبراني وقد صرح ابن اسحق بالسماع فهو صحيح، وانظر السيرة لابن هشام: ١/ ٣٤٢- ٣٤٣، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٢٥٦، البداية والنهاية لابن كثير: ٣/ ٧٩، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٠٠ .

(٣) عبد الله بن عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزى . صحب هو وأبوه رسول الله(ﷺ) وله أخ أصغر منه اسمه عبد الله ، له رؤية ، أمهما ليلى بنت أبى حثمة، استشهد عبد الله الأكبر يوم الطائف مع النبى (ﷺ) ، وعبد الله الأصغر سنة خمس وثمانين . ولم تبين ترجمة كل منهما من الذي روى القصة عن أمه . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٣/ ١٨٢، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣٢٩.

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد :١/ ٢٠٦، الكامل في التاريخ لابن الأثير :٢/ ٥٢، البداية والنهاية لابن كثير :٣/ ٦٧، فتح البارى لابن حجر :٨/ ٦١٥ .

مع أزواجهن وهن رقية بنت رسول الله(ﷺ) وأم سلمة، وسهلة بنت سهيل، وليلى بنت أبي حثمة.

ومنشأ ذلك الخبر أن النبي (ﷺ) عندما قرأ سورة النجم سجد وسجد المشركون معه فشاع بسبب سجودهم إسلام قريش وبلغ أمرهم مهاجرة الحبشة فقرروا العودة إلى مكة. وفي سجود المشركين مع رسول الله (ﷺ) روى البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] والنسائي[(٣)] والترمذي[(٤)] والدارمي[(٥)] عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن النبي (ﷺ) سجد بالنجم

---

(١) في الصحيح. كتاب سجود القرآن: باب ما جاء في سجود المسلمين مع المشركين: ٢/ ٥٥٣ (واللفظ له)، (من فتح الباري).

(٢) في الصحيح. كتاب المساجد: باب سجود التلاوة: ٥/ ٧٤-٧٥ (بزيادة في اللفظ).

(٣) في السنن. كتاب الافتتاح: باب سجود القرآن: ٢/ ١٦٠ (باختلاف في اللفظ) ط١ (بيروت: دار الفكر).

(٤) في السنن. أبواب السفر: باب ما جاء في السجدة في النجم: ٣/ ١٦٦ (بنفس اللفظ)، (من تحفة الأحوذي).

(٥) في السنن. كتاب الصلاة: باب السجود في النجم: ١/ ٣٤٢ (بزيادة في اللفظ)، (بيروت: دار الكتب العلمية). وقد ورد في سبب سجود المشركين مع رسول الله(ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) عندما أنزل الله عليه سورة ﴿والنجم إذا هوى﴾ قرأها حتى بلغ قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان على لسانه «تلك الفراتيق العلى منها الشفاعة ترتجى» فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله (ﷺ) في قراءته فقرأ السورة كلها فسجد وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد. فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد سوى الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة بن العاص فإنهما أخذا حفنة من التراب من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما لأنهما كانا شيخين فلم يستطيعا السجود. فتفرقت قريش وقد سرهم ما ذكره محمد عن آلهتهم فلما أمسى رسول الله (ﷺ) آتاه جبريل عليه السلام فقال: ماذا صنعت تلوت على الناس مالم آتك به عن الله وقلت مالم أقل لك فحزن رسول الله(ﷺ) وخاف من الله خوفاً عظيماً حتى نزل قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾.

ذكر بعض المفسرين هذه الراوية عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ سورة الحج آيه (٥٢). وقد أبطل العلماء والمحققون هذه الرواية وبينوا بطلانها سنداً ومتناً وجمع ذلك الشيخ ناصر الدين الألباني في رسالته نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق التي بين فيها بطلان هذه القصة من الوجهة الحديثية. وأثبت فيها نكارة القصة وبطلانها ووجوب رفضها وعدم قبولها. أما سجود المشركين مع رسول الله(ﷺ) فقد بين المفسرون أن سجودهم لم يكن إيماناً بالله ورسوله وذكروا أقوالاً عديدة في سبب سجودهم مع رسول الله (ﷺ).=

وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس» .

المطلب الرابع: مشاركة المرأة في الهجرة الثانية :

عندما اقترب المهاجرون من مكة تبين لهم كذب ما بلغهم من إسلام قريش ، فما زال المشركون على عنادهم وتكذيبهم لمحمد (ﷺ) وتعذيبهم للمسلمين . فلم يدخل أحد من المهاجرين إلا بجوار أو مستخفياً [(١)] .

ومن ثم كان داعي الهجرة لا يزال قائماً . ولم يلبث المهاجرون بمكة إلا زمناً يسيراً ، فأذن لهم رسول الله(ﷺ) بالهجرة للمرة الثانية . فأخذوا يعودون رجالاً ونساء إلى الحبشة للمرة الثانية وشرع في الهجرة آخرون لم يهاجروا من قبل . فجاء جعفر بن أبى طالب [(٢)] إلى رسول الله (ﷺ) فقال : «يا رسول الله ائذن لى أن آتى أرضاً أعبد الله فيها لا أخاف أحداً فأذن له فيها فأتى النجاشي» [(٣)] .

وكان عدد الرجال في هذه الهجرة ثلاثة وثمانين رجلاً [(٤)] . وازداد عدد النساء في هذه الهجرة فبلغ عددهم ثماني عشرة امرأة [(٥)] ، مما يدل على قوة إيمان المرأة المسلمة ، وصدق استجابتها لله ولرسوله ، واستعدادها للكفاح والتضحية لصيانة الكرامة الدينية

=انظر أحكام القرآن لابن العربى : ٣/ ١٢٩٩-١٣٠٣ . التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣-٤٨-٥٥ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبى الفضل شهاب الدين الألوسي: ١٧/ ١٨٣ (بيروت : دار الفكر) .

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٢٠٧ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٥٣ .

(٢) جعفر بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، ابن عم رسول الله (ﷺ) . وأخو على بن أبى طالب لأبويه . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة . بعثه رسول الله (ﷺ) إلى مؤتة فقاتل بها حتى قتل وكان عمره حين استشهد أحدى وأربعين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٣٤١-٣٤٤ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٢٣٧-٢٣٨ .

(٣) مجمع الزوائد . كتاب المغازي والسير : باب الهجرة إلى الحبشة : ٦/ ٢٧-٢٩ (مطولاً) وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار وفيه عمير بن إسحق وثقه ابن حبان وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٤) انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٣٢٣-٣٣٠ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٢٠٧ .

(٥) انظر: المرجع السابق .

فخرجت من بين أهلها ليسلم لها إيمانها ويبقى دينها ، ويرضى عنها الله ورسوله (ﷺ) .

المهاجرات إلى الحبشة الهجرة الثانية:

والمهاجرات إلى الحبشة الهجرة الثانية هن:

رقية بنت رسول الله (ﷺ)(١) وأم سلمة بنت أبي المغيرة (٢)، وسهلة بنت سهيل(٣)، وليلى بنت أبي حثمة (٤) وأم حبيبة بنت أبي سفيان (٥)، وسودة بنت زمعة(٦)، وأسماء بنت عميس(٧)، وفاطمة بنت المجلل(٨)، وفاطمة بنت

---

(١) سبقت ترجمتها .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سبقت ترجمتها .

(٤) سبقت ترجمتها .

(٥) رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية ، زوج النبي (ﷺ) تكنى أم حبيبة ، أمها صفية بنت أبي العاص، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاماً ، تزوجها عبيدالله بن جحش وهاجر معها إلى الحبشة ثم تنصر ومات هناك . تزوجها رسول الله سنة ست من الهجرة وتوفيت سنة أربع وأربعين . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٩٨-١٠٠ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١١٥-١١٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٠٥-٣٠٧ .

(٦) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية، أمها الشموس بنت قيس الأنصارية . تزوجها السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو وهاجرا إلى الحبشة فتوفي عنها وتزوجها رسول الله ﷺ وكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة ؛ توفيت في آخر زمان عمر بن الخطاب ويقال ماتت سنة أربع وخمسين. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٥٢- ٥٧، أسد الغابة: ٦/١٥٧- ١٥٨، الإصابة لابن حجر: ٤/٣٣٨- ٣٣٩ .

(٧) أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك بن قحافة الخثعمية، أمها خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث. وأسماء أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ لأمها، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، وولدت هناك أولاده. فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر ثم تزوجها علي، عاشت إلى ما بعد خلافة علي. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٢٨٠- ٢٨٥، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ١٤- ١٥، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٢٣١ .

(٨) فاطمة بنت المجلل بن عبدالله بن أبي قيس القرشية العامرية ، أسلمت قديماً وهاجرت مع زوجها حاطب بن الحارث . قدمت وأبناها مع أهل السفينتين إلى المدينة على رسول الله (ﷺ) وتوفي زوجها بالحبشة . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٧٢ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٢٣٠-٢٣١ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٨٤ .

صـــــــــــــفوان بن أمية[١]، وأمينة بنت خلف[٢] وبركة بنت يسار[٣] ، وأم حرملـــة بنت عبد الأســـود [٤] ، ورملة بنت أبي عوف[٥] ، وريطـة بنت الحارث [٦] ، وفكيهة بنت يسار[٧] ، وحسنة أم شرحبيل[٨] ، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو [٩] ، وعمرة بنت السعدى [١٠] .

---

(١) فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن رقبة الكناني ، امرأة عمرو بن سعيد بـن العـاص ، أسـلمت قديماً بمكة وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة وماتت بهـا . انظـر الطبقـات الكـبرى : ٨/ ٢٨٧ ، أسـد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٢٢٧-٢٢٨ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٨٢ .

(٢) أمينة بنت خلف بن أسعد بن عـامر الخزاعيـة عمـة طلحـة بـن عبـدالله بـن خلـف المعـروف بطلحـة الطلحات . هاجرت مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص إلى الحيشة وولدت له هناك ابنـه سـعيد . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٨٦ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٤٤ .

(٣) بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة مع زوجهـا قـيس بـن عبدالله الأسدى . وأصلها من كندة . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٤٦ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٥٠ .

(٤) أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة الخزاعية . أسلمت قديماً . وهاجرت مع زوجها جهم بن قـيس . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣١٨ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٤٢ .

(٥) رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم . أسلمت قـديماً بمكـة قبـل دخـول رسـول الله دار الأرقم . وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها المطلب بن أزهـر . أنظـر الطبقـات الكـبرى لابـن سـعد : ٨/ ٢٦٨ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١١٨ .

(٦) ريطة بنت الحارث بن جبيلة بن عامر . أسلمت قديماً بمكة وهـاجرت إلى الحبـشة الهجـرة الثانيـة مـع زوجها الحارث بن خالد بن صخر وماتت وهي راجعة في الطريق . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٢٥٥ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٠٥ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٩٩ .

(٧) فكيهة بنت يسار . أسلمت قديماً وهاجرت الهجرة الثانية مع زوجها حطاب ابـن الحـارث بـن معمـر الجمحي . انظر الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٤٦ ، أسد الغابة : ٦/ ٢٣٨ .

(٨) حسنة أم شرحبيل بن حسنة أسلمت بمكة قديماً وهاجرت إلى الحبشة الهجرة الثانية مـع زوجهـا سـفيان ابن معمر . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٢٧٨ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٦٥ .

(٩) أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، أسلمت قديماً بمكة وهاجرت إلى الحبشة الهجرة الثانيـة مع زوجها أبي سبرة بن أبي رهم . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٧٢ ، أسـد الغابـة لابـن الأثير : ٦/ ٣٨٥ .

(١٠) عمرة بنت السعدي بن وقدان بن عبد شمس . امرأة مالك بن زمعة . أسلمت قديماً ، وهاجرت مـع زوجها إلى الحبشة الهجرة الثانية . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٢٧٣ ، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٢٠٣ .

وسأكتفى بتفصيل القول عن هجرة أم حبيبة وأسماء بنت عميس كنماذج للمهاجرات في الهجرة الثانية .

هجرة أم حبيبة بنت أبي سفيان : أسلمت أم حبيبة بنت أبي سفيان قديماً . وعندما رأت ما حل بالمسلمين من كرب وبلاء ، تجهزت للهجرة إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله ابن جحش وأختارت الخروج معه بدينها على البقاء في مكة موطنها ومرتع شبابها مؤثرة هجر أهلها ومفارقة أبيها ، أبي سفيان[(١)] الذى لاتسقط له كلمة ولا يرد له رأي على البقاء فى مكان يحارب فيه الإسلام ويضطهد فيه المسلمون .

وهناك في أرض الحبشة تعرضت أم حبيبة لمحنة قاسية وبلاء عظيم حيث ارتد زوجها عن الإسلام وأعتنق النصرانية ، ولما راجعته في ذلك أبى الرجوع إلى الإسلام ففارقته . وبقيت وحيدة في أرض الحبشة تعاني من بعد الأهل وفقد الزوج الذي خرج عن الفئة المؤمنة ، وفارق الجماعة المسلمة المهاجرة .

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أم حبيبة قالت: « . . . رأيت في المنام زوجي عبيد الله بن جحش بأسوأ صورة . ففزعت فقلت: تغيرت والله حاله فإذا هو يقول حين أصبح إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من دين النصرانية . وكنت قد دنت بها ثم دخلت فى دين محمد ، وقد رجعت إلى النصرانية . فقلت: والله ما خير لك ، وأخبرته بالرؤيا التي رأيت فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات . . »[(٢)] .

ولكن أم حبيبة استطاعت أن تصمد أمام هذه المحنة وأن تواجهها بالصبر على

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموى . كان من أشراف قريش . وهو الذى قاد قريشاً يوم أحد . أسلم ليلة الفتح وشهد حنينا ، والطائف ، واليرموك ، كان من المؤلفة وحسن إسلامه . توفى فى خلافة عثمان سنة أثنتين وثلاثين ، وقيل غير ذلك . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٥/١٤٨-١٤٩ ، الإصابة لابن حجر : ٢/١٧٨-١٧٩ .

(٢) مستدرك الحاكم . كتاب معرفة الصحابة: ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان : ٤/ ٢٠-٢١ (مطولاً) وسكت عنه الحاكم والذهبي ، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٩٧، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٠٥، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٢١ وقال الذهبي: هي منكرة .

المصيبة والثبات على الدين. ولم تتردد في مفارقة زوجها حين فارق دينه وهو الذى فضلت صحبته حينما كان مسلماً مهاجراً، على جوار أهلها لأن الإسلام عند أم حبيبة هو الصلة العظمى التي تربط بينها وبين زوجها والتي إذا انتفت، انتفى كل ما عداها من العلاقات والوشائج، فآثرت أن تعيش بمفردها على أن تبقى مع رجل مرتد عن دينه مفارق لجماعة المسلمين .

وعلم رسول الله (ﷺ) بأمر أم حبيبة، وما آل إليه حالها . فأراد أن يكرمها على صبرها وثباتها ويعوضها في مصيبتها خيراً. ورأى أن خير ما يكافئها به أن يضمها لبيت النبوة زوجة له وأماً للمؤمنين فأرسل إلى النجاشي يخطبها له، ففعل، وزوجه أم حبيبة[(١)] .

وهكذا قادتها هجرتها إلى أكرم الخلق، وأشرف البيوت، زوجاً كريمة لرسول الله (ﷺ) وأماً للمؤمنين، جزاء تركها وطنها والهجرة بدينها إلى أرض بعيدة. وجزاء ثباتها على دينها وصبرها على مصيبتها في فقد زوجها وموته متنصراً .

وكان زواجها بالنبى (ﷺ) في السنة السادسة للهجرة[(٢)] . وقدمت المدينة في السنة السابعة [(٣)] . بعثها النجاشي مع شرحبيل بن حسنة[(٤)] .

روت أم حبيبة «أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش فمات بأرض الحبشة فزوجها

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٢٠٨ .

(٢) انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١١٦ ، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٢٠ ، الاستيعاب لابن عبد البر : ٤/ ٣٠٦ .

(٣) انظر الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٠٦ .

(٤) شرحبيل بن حسنة . وهي أمه واسم أبيه عبدالله بن المطاع . قيل أنه كندى وقيل تميمي . كان شرحبيل حليفاً لبني زهرة . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة . سيره أبو بكر وعمر على جيش إلى الشام . ولم يزل والياً على بعض نواحي الشام لعمر إلى أن هلك في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وله سبع وستون سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢/ ٣٦٠-٣٦١ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ١٤٣ .

النجاشي النبي (ﷺ) وأمهرها عنه أربعة آلاف درهم وبعث بها إلى رسول الله (ﷺ) مع شرحبيل بن حسنة »[1].

لقد كان إيمان أم حبيبة عميقاً ، جعلها تؤثر طاعة الله ورسوله على ما سواها ، وتجعل الإسلام هو ميزان علاقتها بالناس فلا تعرف إلا صلة الإيمان ولا تقيم وزناً إلا لرابطة الإسلام التي هي أقوى من رابطة الدم والنسب. وكان هذا شأن أم حبيبة منذ أسلمت . وقد وقفت موقفاً آخر شبيهاً بموقفها مع زوجها يدل على صدق ولائها لله ورسوله ، وذلك حين قدم أبوها أبو سفيان المدينة بعد صلح الحديبية يطلب من رسول الله (ﷺ) أن يزيد فى مدة الهدنة فدخل عليها ، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله طوته عنه ، فقال : ما أدري أرغبت به عني أم رغبت بي عنه ؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله (ﷺ) وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه فقال : لقد أصابك يا بنية بعدي شر فقالت : بل هداني الله للإسلام»[2].

هكذا كانت أم حبيبة في قوة إيمانها وعظمة شخصيتها ، مسلمة واعية عرفت الإسلام عقيدة وعملاً ، فجعلت ولاءها لله ولرسوله ونبذت كل التقاليد والأعراف التي تتعارض مع مبادئ هذا الدين لتكون الشخصية المسلمة التى تهتدى فى حياتها بنور القرآن .

---

(١) سنن أبي داود . كتاب النكاح: باب الصداق: ٦/ ١٣٦-١٣٧ (واللفظ له) وإسناده صحيح . انظر هامش سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٢١ . سنن النسائي . كتاب النكاح: باب القسط في الأصدقة: ٦/ ١١٩ (بزيادة في اللفظ) . مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية: باب أم حبيبة : ٢٢/ ١٣٣ (باختلاف في اللفظ) ، (من الفتح الرباني) . مستدرك الحاكم . كتاب معرفة الصحابة: ذكر أم حبيبة : ٤/ ٢٢ ، (بإختلاف في اللفظ) ، وسكت عنه الحاكم والذهبي . وانظر سيرأعلام النبلاء: ٢/ ٢٢١ ، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ١١٦ ، الاستيعاب لابن عبد البر: ٤/ ٣٠٥ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ١٦٢-١٦٣ ، وانظر السيرة لابن هشام :٢/ ٣٩٦ ، الطبقات الكبرى لابن سعد :٨/ ١٠٠ ، أسد الغابة لابن الأثير :٦/ ١١٦ ، البداية والنهاية لابن كثير :٤/ ٢٨٠ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٠٦ .

هجرة أسماء بنت عميس: أسلمت أسماء قديماً، ولما اشتد الأذى على المسلمين وعظم مانزل بهم من اضطهاد وإهانة، واستاذن زوجها جعفر بن أبي طالب رسول الله(ﷺ) في الخروج من مكة، تجهزت أسماء للخروج معه يدفعها الإيمان بالله ورسوله ويحدوها الأمل في عبادة الله بمأمن من الخوف والفتنة. وصحبت ركب المهاجرين الهجرة الثانية إلى الحبشة.

وهناك في أرض الحبشة عاشت أسماء مع زوجها أعواماً عديدة عانت فيها كبقية المهاجرين من البعد عن جوار رسول الله (ﷺ) وعن سماع ما يتنزل من الوحي وشق عليها كغيرها فراق الأهل والوطن والعيش في مجتمع جديد مختلف في الدين واللغة والعادات وزاد في ألمها ما جد في الحبشة من أحداث خاف المسلمون من عواقبها وهم غرباء وسط مجتمع اضطربت فيه الأوضاع[١] .

وعلى الرغم من هذه المعاناة التي عاشتها أسماء في تلك الأرض النائية إلا أنها كانت بعد عودتها إلى المدينة[٢] تعتز بهجرتها إلى الحبشة أيما اعتزاز وتفخر بتلك الأيام التي قضتها هناك في سبيل الله تعالى.

وكان لها مع عمر بن الخطاب حوار يبرز اعتزازها بأيام الحبشة، وفخرها بالهجرة في سبيل الله تعالى. روى البخاري[٣] ومسلم[٤] وأحمد[٥] بأسانيدهم عن أبي موسى الأشعري[٦] قال: « ... دخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج

---

(١) انظر أحوال المهاجرين في الحبشة ص٧٢ من الرسالة.

(٢) عادت مع مهاجري الحبشة إلى المدينة سنة سبع من الهجرة.

(٣) في الصحيح. كتاب المغازي: باب غزوة خيبر: ١٧/ ٢٥١-٢٥٢ (واللفظ له)، (من عمدة القارىء).

(٤) في الصحيح. كتاب الفضائل: باب فضائل جعفر وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم: ١٦/ ٦٥ (باختلاف في اللفظ).

(٥) في المسند. كتاب المناقب: باب ما جاء في أسماء بنت عميس: ٢٢/ ٤١٩، (مختصراً)، (من الفتح الرباني).

(٦) عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. أبو موسى الأشعري، صاحب رسول الله. قدم مكة ثم ذهب إلى بلاد قومه ثم قدم إلى المدينة وقت خيبر وكان عامل رسول الله على زبيد وعون. واستعمله عمر على البصرة. مات بالكوفة قيل سنة اثنتين وأربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة. انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ٢٦٣-٢٦٥، الإصابة لابن حجر: ٢/ ٣٥٩-٣٦٠.

النبى (ﷺ) زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجرن فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء من هذه ؟ قالت أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه البحرية هذه[١]؟ . قالت أسماء: نعم . قال : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله (ﷺ) منكم . فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله (ﷺ) يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا فى دار أو فى أرض البعداء البغضاء[٢] بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله (ﷺ) وآيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله (ﷺ) ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك للنبي (ﷺ) وأسأله والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه فلما جاء النبى (ﷺ) قالت : يا نبى الله إن عمر قال كذا وكذا . قال : فما قلت له ؟ قالت : قلت له كذا وكذا . قال : ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان[٣] قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولاأعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبى (ﷺ) . . .» .

بهذه القوة وبهذا الفخر ترد أسماء على عمر بن الخطاب وتخبره بأنه ليس بأولى برسول الله (ﷺ) منها ومن مهاجري الحبشة وتدلل على ذلك بما حدث لهم هناك من متاعب . ثم يدفعها الإيمان والحرص على معرفة منزلتها ومنزلة مهاجري الحبشة عند الله ورسوله إلى أن تمكث لاتأكل ولاتشرب حتى يأتى رسول الله (ﷺ) وتخبره بما دار بينها وبين عمر بكل صدق ودقة دون أن تندفع وراء عواطفها الثائرة فتزيد أو تبالغ . ولما بشرهارسول الله(ﷺ) بأن لها ولأصحاب السفينة الذين قدموا معها هجرتين ولعمر وأصحابه هجرة واحدة، سعدت أسماء بهذه البشرى واطمأن قلبها وزال خوفها مما

---

(١) نسبها إلى الحبشة لسكناها فيهم وإلى البحر لركوبها إياه . انظر فتح البارى لابن حجر : ٧/ ٤٨٦ ، عمدة القارىء للعيني : ١٧/ ٢٥٣ .

(٢) قال النووي: `` قال العلماء : البعداء في النسب البغضاء في الدين لأنهم كفار إلا النجاشي وكان يستخفي بإسلامه `` شرح مسلم : ١٦/ ٦٥ .

(٣) قال ابن حجر `` ظاهره تفضيلهم على غيرهم من المهاجرين . لكن لا يلزم منه تفضيلهم على الاطلاق ، بل من الحيثية المذكورة ``فتح الباري: ٧/ ٤٨٦ .

أخبرها به عمر . وأنتشرت هذه البشرى فى المدينة حتى أخذ أصحاب السفينة يأتون إلى أسماء جماعة بعد أخرى يسألونها عن هذا الحديث فيرجعون وقد سرتهم شهادة رسول الله (ﷺ) لهم أعظم السرور .

إن حرص أسماء رضى الله عنها على معرفة ثمرة هجرتها وقيمتها عند الله ورسوله، واهتمامها بذلك، وانتظارها رسول الله (ﷺ) لتعرف منه ذلك، يصور لنا الأمور التي كانت تشغل فكر المرأة المسلمة وهي أمور عظيمة ترتبط بالآخرة، وبما ترجوه المسلمة من نتائج خيرة لجهدها وعملها في الحياة ، حتى تصل إلى مرضاة الله وتفوز بجنته . إنه تفكير المؤمنة التي اختارت الله ورسوله والدار الآخرة وآثرت الاشتغال بما يرضي الله تعالى على سائر الاهتمامات التافهة التي يؤدي كثير منها إلى إفساد المرأة وضياعها . وقد شهد رسول الله (ﷺ) لأسماء بهذا الإيمان فيما رواه ابن عباس عن رسول الله (ﷺ) قال: «الأخوات المؤمنات ميمونة زوج النبي (ﷺ)[١] وأم الفضل امرأة العباس[٢] وأسماء بنت عميس امرأة جعفر وامرأة حمزة[٣] وهي أختهن لأمهن»[٤] .

المطلب الخامس : أحوال المهاجرين فى الحبشة :

مكث المهاجرون في أرض الحبشة في خير جوار عند النجاشي آمنين على دينهم لاينالهم ظلم ولا تنتهك لهم حرمة ، يعبدون الله لا يشركون به شيئاً غير أن قريشاً لم يهدأ

---

(١) ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية زوج النبي (ﷺ) كانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى تزوجها رسول الله سنة سبع في عمرة القضاء في ذي القعدة . توفيت سنة احدى وخمسين . وقيل سنة ثلاث وستين عام الحرة . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ١٣٢-١٤٠ ، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٢٧٢-٢٧٤ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤١١-٤١٣ .

(٢) سبقت ترجمتها ص٥٥ من الرسالة .

(٣) هي سلمى بنت عميس الخثعمية . أسلمت قديماً مع أختها أسماء تزوجت حمزة بن عبد المطلب . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٤٨-١٤٩ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٣٢ .

(٤) مجمع الزوائد: كتاب المناقب: باب مناقب أسماء بنت عميس : ٩/ ٢٦٠ وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

لها بال منذ خروجهم من مكة ، فبعثت إلى النجاشي رسولين هما عمرو بن العاص[١] وعبدالله بن أبي ربيعة المخزومي[٢] ، يحملان إليه الهدايا ويتفاوضان معه على رد المهاجرين إلى أهلهم إذ أنهم ناصبوا قومهم العداء وعابوا آلهتهم ونبذوا دين آبائهم . ولما قدما على النجاشي وكلماه في ذلك ، باءت محاولتهما بالفشل ورفض النجاشي تسليم المهاجرين قائلاً : «لاها الله أيم الله إذا لا أسلمهم إليهما ولا أُكاد [٣] ، قوم جاورونى ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا غير ذلك منعتهم وأحسنت جوارهم ما جاروني» . ولما سمع المسلمون بذلك اجتمعوا وتشاوروا فيما يردون به على النجاشي . واختاروا جعفر بن أبي طالب لهذا الأمر ولما سألهم النجاشي عن الدين الجديد الذي اعتنقوه قال له جعفر بن أبي طالب «أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه . . . فصدقناه وآمنا به واتبعناه . . . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله . . . فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي . أسلم عام خيبر . وقيل كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر . أستعمله رسول الله على عمان فلم يزل عليها حتى توفي رسول الله . شهد فتوح الشام . كان من شجعان العرب ودهاتهم . توفي سنة ثلاث وأربعين . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ١٣/ ٧٤١-٧٤٥ ، الإصابة لابن حجر: ٣/ ٣٠٢ .

(٢) عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة القرشي المخزومي . أسلم يوم الفتح . وكان من أحسن الناس وجهاً . ولما حُصر عثمان جاء لينصره فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ١٢٨-١٢٩ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣٠٥ .

(٣) (أُكاد) بضم الهمزة فعل مبنى للمجهول . والكيد هو الاحتيال والمعنى أنه لا يسلمهم إلى أحد أبداً . ولا يخشى أن يلقى في ذلك كيداً . النهاية لابن الأثير : ٤/ ٢١٧ ، وانظر الفتح الرباني للساعاتي: ٢٠/ ٢٢٧ .

ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك» .

واسمع جعفر النجاشي آيات من القرآن ، فبكى النجاشي وقال: «إن هذا والله ، والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً» .

وعاد عمرو بن العاص في اليوم التالي للنجاشي وزعم أنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيماً . فسأل النجاشي جعفر بن أبي طالب عما يقولون فى عيسى فأجاب «نقول فيه الذي جاء به نبينا (ﷺ) هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » .

فعرف النجاشي صدق كلامهم ورد رسولي قريش ومعهما الهدايا . تقول أم سلمة «فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار» .

ثم حدث تنازع حول السلطة بين النجاشي وخصومه وخشي المهاجرون أن تتأثر بذلك إقامتهم في الحبشة . ولكن الأمر تم للنجاشي ، واستقر له الملك على الحبشة تقول أم سلمة «فوالله إنا على ذلك إذ نزل به من ينازعه في ملكه ، فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه . . . ودعونا الله للنجاشي بالظهور والتمكين له في بلاده وأستوسق [١] عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله (ﷺ) وهو بمكة » [٢] .

---

(١) أستوسق: أى اجتمعوا على طاعته واستقر الملك فيه . النهاية لابن الأثير : ٥/ ١٨٥ .

(٢) مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية: باب هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة : ٢/ ٢٢٦-٢٢٩ (من الفتح الرباني) وقال صاحب الفتح: الحديث صحيح ورواه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٦/ ٢٤-٢٧ وقال: رواه أحمد ورجاله الصحيح غير ابن إسحق وقد صرح بالسماع . انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٣٣٤-٣٣٨ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٧٢-٧٥ .

رجوع مهاجرة الحبشة :- لما سمع المهاجرون بهجرة بعض المسلمين إلى المدينة عاد منهم إلى مكة ثلاثة وثلاثون رجلاً وثمان نسوة[١] ثم هاجروا إلى المدينة . ولما كانت سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله (ﷺ) إلى النجاشي أن يبعث إليه بمن بقي عنده من أصحابه ففعل وحملهم في سفينتين وقدموا على رسول الله (ﷺ) فوجدوه قد فتح خيبر . روى البخاري[٢] في حديث قدوم أبي موسى الأشعري المدينة من اليمن مروره بالحبشة وفيه « . . . فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه ، حتى قدمنا جميعاً فوافقنا النبي (ﷺ) حين افتتح خيبر . . .» .

وهكذا شاركت المرأة في الهجرة إلى الحبشة يدفعها الإيمان الذي دفع الرجل إلى ترك أهله ووطنه . وتحملت متاعب الهجرة وقاست آلامها ولقيت من المشاق مثلما لقي الرجل . فمن المهاجرات من عادت إلى مكة لتستأنف الهجرة إلى المدينة كرقية بنت رسول الله (ﷺ) ، ومنهن من كانت عودتها إلى المدينة كأسماء بنت عميس ، ومنهن من فقدت زوجها وهي بالحبشة وبقيت وحيدة هناك وعادت كذلك فاطمة بنت المجلل القرشية العامرية ، ومنهن من ماتت بالحبشة وهى مهاجرة فى سبيل الله فلم تنعم بالعودة إلى أهلها ووطنها بعد هجرتها كفاطمة بنت صفوان بن أمية ، ومنهن من ماتت وهي في طريق عودتها إلى وطنها كريطة بنت الحارث .

ملخص المبحث: مما سبق استخلص النتائج الآتية:

١ - أن حكم الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام باق لاينقطع إلى يوم القيامة .

٢- لافرق بين المرأة والرجل في حكم الهجرة . فالمرأة حين تفتن في دينها في أرض الكفر وتقدر على الهجرة ، فإنها تجب عليها ، ويجوز لها البقاء في دار الكفر إن آمنت على دينها وتستحب لها الهجرة ، وتسقط الهجرة الواجبة عنها إذا كانت من المستضعفين

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٢٠٧ ، فتح الباري لابن حجر : ٧/ ٢٣٤ .

(٢) في الصحيح . كتاب المغازي: باب غزوة خيبر: ١٧/ ٢٥١ (من عمدة القاري) . وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ١/ ٢٠٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٢٠٥-٢٠٧ .

الذين لاحيلة لهم ولا قدرة لهم على الخروج

٣- لم تتأخر المرأة المسلمة عن مرافقة الرجل في الهجرة ، حماية للعقيدة وفراراً بالدين ، وتحملت مشاق الهجرة وآلامها النفسية والجسدية ، بل وعدت ذلك مصدر اعتزازها ما دام ذلك في الله وفي رسوله .

٤- لم تنعزل المرأة المسلمة عن معايشة الأحداث التي جرت في الحبشة فقد روت لنا أم سلمة أحداث الحبشة ، وأحوال المسلمين هناك .

والله أعلم ؛؛؛

المبحث الثالث

دور المرأة في الهجرة إلى المدينة

المطلب الأول : التمهيد للهجرة إلى المدينة :

اشتداد الأذى على المسلمين: اشتد إيذاء المشركين للمسلمين لما رأوا أن أصحاب محمد (ﷺ) قد وجدوا بلداً آمناً يعبدون الله فيه، وقد أحسن النجاشي وفادتهم وأن المسلمين قد قويت شوكتهم بإسلام عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب[١]، واجتمعوا على عقد معاهدة ظالمة اتفقوا فيها على مقاطعة المسلمين في كل شئونهم. وكتبوا في ذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم: «وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه وأجتمعوا إليه»[٢] .

وعاش المسلمون فترة الحصار المر في شعب أبي طالب وانقطع عنهم العون والمدد وأقاموا فيه ثلاث سنين[٣] لا يصل إليهم شيء إلا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش .

وبعد نقض الصحيفة وفك الحصار ، خرج المسلمون من الشعب بعد أيام بؤس وشقاء . ثم أصيب رسول الله (ﷺ) بعدها بوفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة بنت خويلد[٤] فحزن حزناً عظيماً ، ونال منه المشركون من الأذى ما لم يقدروا عليه في حياة

---

(١) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي شقيق صفية بنت عبد المطللب أم الزبير . عم رسول الله وأخوه من الرضاعة . أسلم في السنة الثانية من المبعث . وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وأبلى فيها بلاء عظيماً وشهد أحداً فقتل بها ومثل به المشركون . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٥٢٨/١-٥٣٠ ، الإصابة لابن حجر : ٣٥٣/١-٣٥٤ .

(٢) السيرة لابن هشام : ٣٥١/١ ، انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٥٩/٢ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : ٨٤/٣ ، انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٦٠/٢ .

(٤) كانت وفاتهما في العام العاشر من البعثة بعد الخروج من الحصار وقبل هجرة النبي إلى المدينة بثلاث سنين . توفي أبو طالب ثم خديجة ، وقيل توفيت قبله . وقال ابن كثير: المشهور الأول . انظر البداية والنهاية لابن كثير: ٩٨/٣ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦٣/٢ ، السيرة لابن هشام: ٤١٦/١ .

عمه حتى اعترضه سفيه من سفهاء قومه فنثر على رأسه التراب و«دخل رسول الله (ﷺ) بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله (ﷺ) يقول لها : لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك . ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبوطالب»(١) .

ثم مضى رسول الله (ﷺ) يبحث عن مكان جديد تنتشر فيه الدعوة خارج مكة فخرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ولكنهم ردوه رداً قبيحاً وأغروا بهم صبيانهم وسفهاءهم . بل لقد لقي منهم أشد مما لقي من المشركين يوم أحد .

روى البخاري(٢): ومسلم(٣): بإسناديهما عن عروة بن الزبير(٤): "أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي (ﷺ) حدثته أنها قالت للنبي (ﷺ): هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال: لقد لقيت من قومك مالقيت ، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال(٥): فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت ، وأنا مهموم ، على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب(٦): فرفعت رأسي ، فإذا أنا

---

(١) السيرة لابن هشام :١/ ٤١٦ ، البداية والنهاية لابن كثير :٣/ ١٢٢ .

(٢) في الصحيح . كتاب بدء الخلق : باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه : ٦/ ٣١٢-٣١٣ ، (واللفظ له) ، (من فتح الباري) .

(٣) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب ما لقي النبي (ﷺ) من أذى المشركين والمنافقين : ١٢/ ١٥٤-١٥٥ (بإختلاف في اللفظ) .

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن عبد العزى بن قصي . الإمام عالم المدينة المدني ، الفقيه ، أحد الفقهاء السبعة ، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق . حدّث عن خالته عائشة أم المؤمنين ولازمها وتفقه بها . ولد سنة ثلاث وعشرين ، تابعي ثقة . لم يدخل في شيء من الفتن توفي سنة ثلاث وتسعين وعمره سبع وستون سنة . انظر أعلام النبلاء للذهبي : ٤/ ٤٢١-٤٣٧ .

(٥) قال ابن حجر: كان ابن عبدياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف . واختلف في إسلامه . انظر فتح الباري: ٦/ ٣١٥ ذكر ابن سعد أن ذلك كان في شوال سنة عشر من المبعث وأنه كان بعد موت أبي طالب وخديجة . انظر الطبقات الكبرى : ١/ ٢١١-٢١٢ .

(٦) قرن الثعالب : اسم موضع يحرم منه أهل نجد ويسمى قرن المنازل . النهاية لابن الأثير :٤/ ٥٤ . وقال ابن حجر : وهو على يوم وليلة من مكة وقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير . فتح الباري: ٦/ ٣١٦ .

بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يامحمد ، فقال: ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [١] . فقال النبى (ﷺ) : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئاً ».

عرض النبى (ﷺ) نفسه على القبائل: لما أعرضت ثقيف عن رسول الله (ﷺ) رجع إلى مكة وأخذ يعرض نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم إلى الله تعالى .وشاء الله أن يتلقى في العام الحادى عشر من البعثة بنفر من أهل المدينة فعرض عليهم الإسلام ودعاهم إلى الإيمان بالله تعالى . فأجابوه إلى طلبه وآمنوا به وانصرفوا راجعين إلى المدينة ، فلما قدموها ذكروا لقومهم أمر رسول الله (ﷺ) ، ودعوهم إلى الإسلام فأثمرت جهودهم وفشا أمر الإسلام في المدينة[٢] .

ولما كان العام الثانى عشر من البعثة قدم إلى مكة في موسم الحج اثنا عشر رجلاً من المدينة ممن هداهم الله إلى الإسلام والتقوا برسول الله(ﷺ) عند العقبة فقرأ عليهم القرآن وحدثهم عن الإسلام ، فبايعوه على السمع والطاعة .

يروي لنا هذه البيعة عبادة بن الصامت [٣] فيقول: «بايعنارسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لاننازع الأمر[٤] أهله ، وأن نقوم ـ أو نقول ـ

---

(١) الأخشبان : الجبلان المطيفان بمكة . وهما أبو قبيس والأحمر . والأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة . النهاية لبن الأثير : ٢/ ٣٢ .

(٢) انظر السيرة لابن هشام :١/ ٤٢٨-٤٣٠ .

(٣) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، شهد العقبة الأولى والثانية ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله(ﷺ) استعمله النبي على بعض الصدقات توفى سنة أربع وثلاثين بالرملة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٣/ ٥٦-٥٧ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٢٦٨-٢٦٩ .

(٤) أي الملك والإمارة . فتح الباري لابن حجر: ١٣/ ٨ .

بالحق حيثما كنا ولانخاف في الله لومة لائم [١] .

ثم عادوا إلى المدينة ونشروا الإسلام فيها . وكان لهذه البيعة[٢] ثمارها الطيبة المباركة في نفوس أهل المدينة رجالاً ونساء . وكان للمرأة المسلمة دور في الهجرة إلى المدينة يتجلى فى نواح ثلاث :ـ

الأولى: في حضورها بيعة العقبة الثانية التي كانت تمهيداً للهجرة إلى المدينة ، واستعداداً لاستقبال المهاجرين ، وعهداً بنصرة رسول الله (ﷺ) وحماية المهاجرين .

الثانية: في الإعداد لهجرة رسول الله(ﷺ) والمساهمة في إتمامها . وكتم سر الهجرة عن المشركين حتى تمت هجرة رسول الله (ﷺ) .

الثالثة: في إستجابة المرأة نفسها للهجرة .وإيثارها للخروج من ديارها وترك أهلها فراراً بالدين رغبة فيما عند الله تعالى .

وهذا ماسأتعرض له في المطالب الآتية :ـ

المطلب الثاني : مشاركة المرأة في بيعة العقبة الثانية :

لم يمض عام على بيعة العقبة الأولى ، حتى انتشر الإسلام في المدينة . ودخل فيه عدد كبير من الرجال والنساء . ولما كان موسم الحج خرج من مسلمي أهل المدينة ثلاثة

---

(١) صحيح البخاري .كتاب الأحكام:باب كيف يبايع الإمام الناس:١٣/ ١٩٢ .(واللفظ له) ، (من فتح الباري) . صحيح مسلم . كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية: ١٢/ ٢٢٨ (بزيادة في اللفظ) . سنن النسائى . كتاب البيعة . باب البيعة على السمع والطاعة: ٧/ ١٣٧-١٣٨ ، (بزيادة في اللفظ) . سنن ابن ماجة .كتاب الجهاد : باب البيعة :٢/ ٩٥٧ (بزيادة في اللفظ) .

(٢) ذكر ابن حجر أن البيعة ليلة العقبة الأولى كانت على السمع والطاعة وليست على بيعة النساء كما صرحت بذلك بعض الرويات ، والبيعة الثانية كانت على الحرب وعدم الفرار ، ووقعت بيعة ثالثة بعد الفتح وهي بيعة النساء أي أنها وقعت على نظير بيعة النساء . وذكر أن التصريح بأن بيعة العقبة الأولى كانت على بيعة النساء وهم من الرواة ، وأن البيعة التي وقعت على مثل بيعة النساء كانت بعد ذلك . انظر فتح البارى :١/ ٦٦-٦٧ .

وسبعون رجلاً وامرأتان ، وقدموا مكة وواعدوا رسول الله (ﷺ) العقبة من أوسط أيام التشريق واجتمعوا إليه وبايعوه بيعة العقبة الثانية .

وهكذا لم يقتصر حضورهذه البيعة على رجال الأنصار وحدهم بل كان لنسائهم شرف حضورها والمشاركة فيها ، وكانت المرأتان اللتان شهدتا هذه البيعة هما نسيبة بنت كعب[١]: وأسماء بنت عمرو[٢] اللتان عرفتا بعد إسلامهما وهما في المدينة حقيقة الدعوة في مكة وما تواجهه من محاربة ، ومايلقاه رسول الله (ﷺ) من أذى ، وما يناله المسلمون من تعذيب وفتنة وأدركتا ما يترتب على هذه المبايعة من مشاق ومخاطر ، ومع ذلك عقدتاالعزم على صحبة رجالهن إلى مكة ، ومن ثم لقاء رسول الله (ﷺ) ومبايعته ، شعوراً منهما بدورهما ومسؤليتهما في الدعوة إلى الله ونصرة دينه ومؤازرة رسوله (ﷺ) ويصور لنا كعب بن مالك[٣] ﷺ استعداد الأنصار وتأهبهم لملاقاة رسول الله (ﷺ) ومبايعتهم له فيقول: «فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله (ﷺ) نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا إمرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب

---

(١) نسيبة بنت كعب بن عمروبن عوف بن غنم بن مازن بن النجار الأنصارية . تزوجت زيد بن عاصم فولدت له عبد الله وحبيباً ثم خلف عليها غزية بن عمرو فولدت له تميماً وخولة ، شهدت العقبة وأحداً وبيعة الرضوان والحديبية وخيبر والقضية والفتح وحنين . ثم شهدت قتال مسيلمة باليمامة وجرحت اثني عشرجرحاً وقطعت يدها وقتل ولدها حبيب . روت عن النبي (ﷺ) أحاديث . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤١٢-٤١٦ ، أسد الغابة لابن الأثير :٦/ ٢٨٠-٢٨١ ، الإصابة لابن حجر :٤ / ٤٧٩ . .

(٢) أسماء بنت عمرو بن عدي بن ياسر بن سواد بن غنم بن كعب الأنصارية السلمية أم معاذ بن جبل وقيل ابنة عمته . وشهدت العقبة وشهدت خيبر . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٦/ ١٤ ، الإصابة لابن حجر :٤/ ٢٣٠-٥٠١ .

(٣) كعب بن مالك بن أبي كعب أبو عبد الله الأنصارى السلمى . شهد العقبة وبايع بها . وتخلف عن بدر وشهد أحداً وما بعدها . وتخلف في تبوك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم . مات أيام قتل علي بن أبي طالب وقيل أنه مات بالشام في خلافة معاوية . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٤/ ١٨٧-١٨٩ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٣٠٢ .

أم عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع. قال فأجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله (ﷺ) حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال :

يا معشر الخزرج - قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها : إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعه فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعه من قومه وبلده. قال: فقلنا له :قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . قال: فتكلم رسول الله (ﷺ)، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال : فأخذ البراء بن معرور[1] بيده ، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعنك مماتمنع منه أزرنا[2] ، فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة [3] ورثناها كابراً عن كابر. قال : فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله (ﷺ)، أبو الهيثم بن التيهان[4] ، فقال:

---

(١) البراء بن معرور بن صخر بن سابق بن سنان الأنصاري الخزرجي كان ممن شهد بيعة العقبة، وهوأحد النقباء وكان أول من استقبل الكعبة حياًفبلغ ذلك رسول الله (ﷺ) فأمره أن يستقبل بيت المقدس فلما كان عند موته أمر أهله أن يوجهوه قبل الكعبة. مات البراء قبل قدوم النبي المدينة بشهر. انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٢٠٧-٢٠٨ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ١٤٤-١٤٥ .

(٢) أزرنا أى نساءنا وأهلناكني عنهن بالأزر ، وقيل أراد أنفسنا وقد يكنى عن النفس بالأزار . النهاية لابن الأثير: ١/ ٤٥ .

(٣) الحلقة بسكون اللام ـ السلاح عاماً وقيل الدروع خاصة . النهاية لابن الأثير : ١/ ٤٢٧

(٤) أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك بن عمرو الأنصاري الأوسي، شهد بيعة العقبة وكان نقيب بني عبد الأشهل أسيد بن حضير وأبو الهيثم بن التيهان شهد المشاهد كلها . قيل مات سنة إحدى وعشرين وقيل شهد صفين مع علي وقتل بها. انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٥/ ٣٢٣-٣٢٤ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢١٢-٢١٣ .

يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها ـ يعنى اليهود ـ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن تخرج إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله (ﷺ) ثم قال: بل الدم الدم ، والهدم الهدم[١] ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم[٢] وقال رسول الله (ﷺ) أخرجوا إلى اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم فأخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وقال لهم العباس بن عبادة بن فضلة الأنصارى[٣]:

يا معشر الخزرج هل تدعون علام تبايعون هذا الرجل ؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي الدنيا والآخرة .

وإن كنتم ترون أنكم وافون له ، فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فمالنا بذلك يا رسول الله ؟ قال: الجنة . قالوا: أبسط يدك ، فبايعوه»[٤] .

---

(١) المعنى: إن طلب دمكم فقد طلب دمى ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي لاستحكام الألفة بيننا ، والعرب تقول دمي دمك وهدمى هدمك ، وذلك عند المعاهدة والنصرة . انظر لسان العرب لابن منظور : ١٢/ ٦٠٤ .

(٢) السيرة لابن هشام : ١/ ٤٤٢-٤٤٣ (واللفظ له) وقال الساعاتى: أورده ابن هشام فى السيرة عن ابن اسحق ورجاله كلهم ثقات . انظر الفتح الرباني: ١٠/ ٢٧٥ . والحديث أخرجه أحمد في المسند: كتاب السيرة النبوية: باب قدوم سبعين رجلاً وامرأتين من الأنصار وبيعة العقبة: ٢٠/ ٢٧١-٢٧٤ ، (بنحو لفظ ابن هشام) (من الفتح الرباني) . وانظر البداية والنهاية لابن كثير: ٣/ ١٦٠-١٦١ .

(٣) العباس بن عبادة بن فضلة الأنصارى الخزرجى من أصحاب العقبة . قال قولته السابقة فى البيعة ليشد لرسول الله العقد . وقيل قال ذلك لحضر عبدالله بن أبي سلول . وأقام العباس بمكة حتى هاجر مع رسول الله إلى المدينة فهاجر وكان أنصارياً مهاجراً واستشهد بأحد . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٥٩-٦٠ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٢٧١ .

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٦٩ ، انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٤٤٦ .

وروى جابر بن عبدالله [١] هذه البيعة فقال: « . . . فقلنا يا رسول الله نبايعك، قال تبايعونى على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة، قال فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة [٢] وهو من أصغرهم فقال: رويداً يا أهل يثرب فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله (ﷺ) وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله . وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبنة [٣] فبينوا ذلك فهو عذر لكم عند الله قالوا : أمط عنا يا أسعد ، فو الله لا ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبدا قال: فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا وشرط يعطينا على ذلك الجنة» [٤] .

وذكرت أم عمارة مبايعتها وأم منيع لرسول الله (ﷺ) فقالت : «كانت الرجال

---

(١) جابر بن عبدالله بن رئاب بن النعمان الأنصاري السلمي . شهد بدراً واحداً والخندق . وسائر المشاهد مع رسول الله (ﷺ) وهو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٣٠٦-٣٠٧ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٢١٢-٢١٣ .

(٢) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد الأنصارى الخزرجي، قديم الإسلام شهد العقبتين . وكان نقيباً على قبيلته ولم يكن في النقباء أصغر سناً منه ويقال إنه أول من بايع ليلة العقبة . اتفق أهل المغازى أنه مات في حياة النبي (ﷺ) قبل بدر . أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٨٦-٨٧ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٣٤-٣٥ .

(٣) جبنة : أي جبناً . انظر لسان العرب لابن منظور : ١٣/ ٨٤ .

(٤) مسند أحمد : كتاب السيرة النبوية : باب قدوم سبعين رجلاً وامرأتين من الأنصار وبيعة العقبة الثانية : ٢٠/ ٢٧٠ (واللفظ له) ، (من الفتح الرباني) . وقال ابن كثير : هذا إسناد جيد على شرط مسلم . البداية والنهاية: ٣/ ١٦٠ ، مستدرك الحاكم . كتاب التاريخ : ذكر بيعة العقبة : ٢/ ٦٢٤-٦٢٥ (باختلاف في اللفظ) وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . سنن البيهقي . كتاب السير: باب الإذن بالهجرة : ٩/٩ (باختلاف في اللفظ) .

تصفق على يدي رسول الله (ﷺ) ليلة العقبة والعباس آخذ بيد رسول الله (ﷺ) فلما بقيت أنا وأم منيع نادى زوجي غزية بن عمرو[١] يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعنك فقال : قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه إني لا أصافح النساء »[٢] .

وفى رواية أخرى لأم عمارة تقول: «شهدت عقد النبي (ﷺ)، والبيعة له ليلة العقبة وبايعت تلك الليلة مع القوم »[٣] . تلك هي الأمور التي بايع عليها رسول الله (ﷺ) من شهد البيعة ، والعهود والمواثيق التي أعطاها الأنصار لرسول الله (ﷺ) .

وسمعت أم عمارة وأم منيع ما دار في هذه البيعة وعلام بايع رسول الله القوم . وسمعتا ما كان من تذكير الأنصار بعضهم بعضاً بما تعنيه هذه البيعة من التزامات وما تفرضه من تبعات ، وإصرارهم على المبايعة وعزمهم على الوفاء بها ، وبشرى رسول الله (ﷺ) لهم بأنه معهم ولن يتخلى عنهم إن هم وفوا بما بايعوا عليه .

وبكل الفهم والوعي لما جاء في هذه البيعة ، أدركت أم عمارة وأم منيع أن الوفاء

---

(١) غزية بن عمرو بن عطية الأنصارى الخزرجي النجاري . شهد بيعة العقبة . وشهد أحداً مع رسول الله (ﷺ) وهو أخو سراقه بن عمرو ، ووالد ضمرة بن غزية . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٣٩ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ١٨٦ .

(٢) الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٧٩ ، ٥٠١ . ذكر كل من ابن هشام وابن الأثير وابن حجر أن زيد بن عاصم (وهو زوج أم عمارة الأول) وغزية بن عمرو (وهو زوجها الثاني) قد حضرا بيعة العقبة . السيرة : ١/ ٤٦٦ ، ٤٥٨ ، أسد الغابة : ٢/ ١٤٠ ، ٤/ ٣٩ ، الإصابة : ١/ ٥٦٨ ، ٣/ ١٨٦ . والنص السابق صرحت فيه أم عمارة أن زوجها غزية بن عمرو قدمها لرسول الله هي وأسماء ليلة العقبة . بينما ذكر ابن الأثير أن أم عمارة شهدت العقبة مع زوجها زيد بن عاصم . أسد الغابة : ٦/ ٢٨١ . وإذا ثبت أن كلاً من زيد بن عاصم وغزية بن عمرو شهدا العقبة ، فإنه يمكن الجمع بين القولين بأن زيداً حضر العقبة زوجاً لأم عمارة ، ولم تكن تزوجت غزية بعد . أما ما ذكرته أم عمارة من أن زوجها غزية قدمها ليلة العقبة لرسول الله (ﷺ) فهو لا يعني أنه كان زوجها ليلة العقبة . وإنما أخبرت أم عمارة عن هذه الحادثة بعد العقبة بعد أن تزوجها غزية . فذكرت أنه زوجها باعتبار ما آل إليه أمره بعد ذلك وليس إخباراً بأنه كان زوجها ليلة العقبة . وفي هذا جمع بين النصوص جميعها . والله أعلم .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤١٢ .

بهذه البيعة يقابله شيء من مغانم الدنيا ، إنما يقابله الجنة لمن صدق في الوفاء بها . فبايعتا على تلك البنود من السمع والطاعة في كل ما يأمر به الله ورسوله ، والبذل والتضحية في سبيل الله تعالى ، وعدم التقاعس عن تغيير المنكر والجرأة في قول الحق ، والعمل على نصرة دين الله وبذل الأموال والأرواح رخيصة لله . بايعتا على ذلك إيماناً منهما بعظم دور المرأة ومسئووليتها فى الدعوة إلى الله ، وقياماً منهما بواجب النصرة لدين الله وتأكيداً على أهمية مساهمة المرأة فى نشر الدعوة .

فمثلت أم عمارة وأم منيع النساء فى هذا اللقاء التاريخي العظيم الذى كان حداً فاصلاً بين عهدين من عهود الإسلام ، عهد تأسيس الدعوة وما صاحبه من أذى واضطهاد ، وعهد البناء وما صاحبه من قوة وجهاد . فحازتا على هذا الشرف العظيم . وكانتا مثلاً للنساء المسلمات اللاتي لم تشغلهن الدنيا عن الشعور بثقل الأمانة . ولم تقعدهن الراحة عن تجشم الصعاب واقتحام مواطن الفداء وقد ظهرت ثمار هذا اللقاء في مجتمع الأنصار . وفي بناء دولة الإسلام فى المدينة وكلما صدق الرجال في الوفاء بالبيعة صدقت المرأة ووفت مثلما وفي الرجل ، فقامت بما يجب عليها تجاه دينها وأسرتها ومجتمعها . فهذه أم عمارة كانت المرأة المجاهده التي تدافع عن رسول الله (ﷺ) وتفتديه بنفسها وتحمل السلاح وتواجه الأعداء ، وكان لها مواقفها البطوليه الدالة على قوة إيمانها وصدقها في مواجهة الباطل في القضاء عليه أو الهلاك دونه ، وكانت الأم المسلمة التي ربت أبناءها على الإيمان بالله وغرست فيهم حب الجهاد في سبيل الله فكانوا رجالاً لايخافون إلا الله ولا يهابون مواجهة الباطل بل يتسابقون في التصدي له ونيل الشهادة[1] .

كذلك كانت أم منيع تعرف لهذه البيعة قدرها . وتحافظ على ما تضمنته من بنود . ولم تكن أقل من أم عمارة في الالتزام بها ، والوفاء بعهودها ومواثيقها ، بل شاركت في بناء مجتمعها المسلم بكل ما تملك ، وحرصت على شهود مواقف الفداء والتضحية مع المسلمين ، فكانت ممن شهد خيبررغبة منها في مشاركة المسلمين في مواطن الجهاد

(١) انظر مواقفها ص ٢٧٧ من الرسالة .

العظيمة، ووفاء بما بايعت عليه من مؤازرة المسلمين والعمل على نصرة الدين. وهكذا استجاب أهل المدينة رجالاً ونساء لدعوة محمد (ﷺ) واستعدوا لحمايته واستقباله في ديارهم. وتجلى دور المـرأة في وجودها في أهم وأدق المواقف التي مهدت لهجرة المسلمين إلى المدينة.

المطلب الثالث: دور المرأة في هجرة رسول الله (ﷺ):

كما شاركت المرأة في التمهيد لهجرة رسول الله (ﷺ) إلى المدينة من مبايعة وأخذ العهد بنصرة المهاجرين، ونشر الإسلام في المدينة، شاركت أيضاً في الإعداد لهجرة رسول الله (ﷺ) حيث كان لأسماء[١] وعائشة[٢] ابنتي أبي بكر دور مشرف في هجرة رسول الله (ﷺ)؛ فحينما أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة[٣] ذهب إلى أبي بكر ليخبره بذلك فوجد عنده أسماء وعائشة، فطلب منه أن يخرجهما، ولكن أبو بكر طمأنه بأمانة ابنتيه، وأنهما جديرتان بتحمل المسؤولية وكتم السر. فلما أخبره رسول الله (ﷺ) بأمر الهجرة بكى أبو بكر فرحاً لمرافقة رسول الله(ﷺ).

وعندما حان موعد خروجهما استأجرا رجلاً مشتركاً وهو عبدالله بن أريقط يدلهما على الطريق حتى وصلا إلى غار ثور، جبل بأسفل مكة فدخلاه. وكان لابنتي أبي بكر دور مبارك في إتمام هجرة رسول الله (ﷺ) حيث كانتا تصنعان الزاد لرسول الله (ﷺ) وصاحبه وتذهب به أسماء إليهما [٤]. وتحدثت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن قدوم رسول الله (ﷺ) على أبيها وقت هجرته، وعن دورها وأختها أسماء في هذه الهجرة فقالت: «... فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل

---

(١) سبقت ترجمتها ص٥٩ من الرسالة.

(٢) سبقت ترجمتهاص١٣ من الرسالة.

(٣) كان خروج النبي (ﷺ) يوم الإثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول. وقدم المدينة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وقيل لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ١/ ٢٣٢-٢٣٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٣/ ١٧٧-٢٠٨

(٤) انظر السيرة لابن هشام :١/ ٤٨٤-٤٨٧، الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٢٢٧-٢٢٩، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ١٧٧-١٧٩.

لأبى بكر هذا رسول الله (ﷺ) متقنعاً[١] – في ساعة لم يكن يأتينا فيها – فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت: فجاء رسول الله (ﷺ) فاستأذن ، فأذن له ، فدخل . فقال النبى(ﷺ) لأبي بكر : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يارسول الله ، قال: فإني قد أذن لى في الخروج . فقال أبو بكر: الصحابة بأبى أنت يارسول الله قال رسول الله(ﷺ): نعم . قال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يارسول الله إحدى راحلتي هاتين . قال رسول الله (ﷺ): بالثمن . قالت عائشة : فجهزناهما أحث[٢] الجهاز ، وصنعنا لها سفرة [٣] فى جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاق[٤][٥] .

وبينت أسماء دورها في الهجرة فقالت: «صنعت سفرة رسول الله (ﷺ) في بيت أبى بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة . قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به . فقلت لأبى بكر: والله ما أجد شيئاً أربط به إلا نطاقي قال: فشقيه باثنين فاربطيه: بواحد السقاء ، وبالآخر السفرة ، ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين»[٦] .

---

(١) متقنعاً: أي مغطياً رأسه . انظر النهاية لابن الأثير : ٤/ ١١٤ ، فتح الباري لابن حجر : ٧/ ٢٣٥

(٢) أحث الجهاز : من الحث وهو الإسراع وفي رواية "أحب الجهاز" والأول أصح . انظر فتح الباري لابن حجر : ٧/ ٢٣٥ .

(٣) سفرة : أي طعاماً . النهاية لابن الأثير : ٢/ ٣٧٣ وقال ابن حجر أصل السفرة فى اللغة الزاد الذي يصنع للمسافر ثم استعمل في وعاء الزاد ، فتح الباري :٧/ ٢٣٦ .

(٤) النطاق: شبه إزار فيه تكة ، كانت المرأة تنتطق به . المنطق : هو كل ما شددت به وسطك . وقيل أن أسماء كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل في الأخر الزاد لرسول الله ولأبي بكر وهما في الغار . وقيل أنها شقت نطاقها نصفين فاستعملت أحدهما وجعلت الآ خر سداداً لزادهما . لسان العرب لابن منظور : ١٠/ ٣٥٥ . وقال ابن حجر أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر فمن ثم قيل لها ذات النطاق ، وذات النطاقين ، فالتثنية والإفراد بهذين الإعتبارين" فتح الباري: ٧/ ٢٣٦ .

(٥) صحيح البخاري . كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة : ٧/ ٢٣٠-٢٣٢ (واللفظ له) (من فتح الباري) . مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية . باب هجرة الرسول (ﷺ): ٢٠/ ٢٨٠-٢٨١ (باختلاف في اللفظ) ، (من الفتح الرباني) .

(٦) صحيح البخاري . كتاب الجهاد : باب حمل الزاد في الغزو : ٦/ ١٢٩ (من فتح الباري) .

كان هو دور المرأة فى هجرة رسول الله (ﷺ) وهو دور عظيم يتجلى في الثقة التي أولاها رسول الله (ﷺ) لابنتي أبي بكر في التحدث أمامها عن أخطر عملية في تاريخ الدعوة وعن خطة الهجرة ، دون أن يخشى منهما إفشاء للسر . وفي ذلك شرف للمرأة وإعلان أنها أهل لتحمل المسؤلية وكتمان السر .

ثم قيام أسماء بالمهمة التي أوكلت إليها ، بكل الجرأة والشجاعة . حيث كانت تعد الزاد وتوصله إلى رسول الله (ﷺ) وصاحبه في الغار عبر جبال مكة الموحشة المظلمة ، وفي وقت انتشرت فيه رسل قريش في أنحاء مكة للبحث عن محمد (ﷺ) وصاحبه . فكانت تقوم بعملها بشجاعة المؤمنة التي تعلم أنها في كنف الله ورعايته ، وأنها تعمل لمرضاته ، ونصرة نبيه (ﷺ) فصغرت فى عينها المخاوف ، وهانت عليها الصعاب ، ولم تقعدها عن القيام بواجبها ومواصلة العون لرسول الله (ﷺ) حتى خرج آمناً إلى المدينة حيث أمره ربه عزوجل .

ولم يقف دور أسماء عند ذلك ، وإنما كانت المرأة الأمينة ، الجديرة بثقة رسول (ﷺ) ، والحريصة على عدم إفشاء أمر رسول الله (ﷺ) مهما كلفها ذلك . فمنذ غياب رسول الله (ﷺ) وأبي بكر عن مكة لم يتوقف المشركون عن البحث عنهما ، واتجه أبو جهل إلى بيت أبي بكر والشر يتطاير من عينيه ولما فتحت أسماء له الباب سألها بكل عنف وجبروت عن أبيها ظناً منه أنه سيرهبها بقوته ، فتفشي سر رسول الله (ﷺ) . ولكن أسماء لم تنطق بكلمة واحدة عن وجهة رسول الله(ﷺ) وأبيها ، وإنما ردت على أبي جهل بكل شجاعة وصدق بأنها لاتعرف مكان أبيها ، فاشتد غضب الطاغية ، وماكان منه إلا أن صفعها صفعة قوية طرحت قرطها .

وتحكي أسماء ذلك فتقول: «لما خرج رسول الله (ﷺ) وأبو بكر (ﷺ) أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يابنت أبي بكر؟ قالت: قلت لا أدرى والله أين أبي . فقالت: فرفع أبو جهل يده

وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي»[١] .

ثم كان لأسماء موقف ثالث مع جدها أبي قحافة [٢] الذى جاءها غاضباً وحانقاً على الصديق الذي ذهب وترك أهله بدون مورد يعيشون منه . وسألها عن أبيها سؤال من يقرر فجيعتهم به في نفسه وماله . فأرادت تسكين نفس الشيخ وتهدئة غضبه بأن والدها قد ترك خيراً كثيراً فألهمها الله حيلة طمأنت بها جدها فهدأت نفسه . ورضي عن ابنه .

تقول أسماء: « لما توجه رسول الله من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر ، حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم ، فأتاني جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال إن هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه . فقلت: كلا يا أبت قد ترك لنا خيراً كثيراً فعمدت إلى أحجار فجعلتهن في كوة البيت وكان أبو بكر يجعل أمواله فيها وغطيت على الأحجار بثوب ثم جئت فأخذت بيده فوضعتها على الثوب . فقال : أما إذا ترك هذا فنعم . قالت : ووالله ماترك قليلاً ولاكثيراً »[٣] .

وهكذا ساهمت أسماء (رضى الله عنها) في إتمام هجرة رسول الله (ﷺ) من إمداده بالزاد ، وكتم سر الهجرة عن أعدائه ، ونجحت في إزالة غضب جدها أبي قحافة على أبي بكر الصديق . فكانت المجاهدة التى تبذل ما في وسعها لنصرة دين الله . وكانت

---

(١) السيرة لابن هشام : ١/ ٤٨٧ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ١٧٩ .

(٢) عثمان بن عامر بن عمر بن كعب القرشى . والد أبي بكر الصديق . أسلم يوم الفتح . وأتى به أبو بكر النبي (ﷺ) ليبايعه . عاش بعد ابنه أبي بكر وورثه . وتوفي سنة أربع عشرة و له سبع وتسعون سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٤٧٧-٤٧٨ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٤٦٠-٤٦١ .

(٣) مستدرك الحاكم : كتاب الهجرة : باب هجرة أبي بكر إلى المدينة مع جميع أمواله ٣/ ٥-٦ وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (واللفظ له) . مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية: باب هجرة النبي (ﷺ) واختياره أبي بكر ليكون رفيقه في الهجرة : ٢٠/ ٢٨٢-٢٨٣ (بنحوه) (من الفتح الرباني) . السيرة لابن هشام : ١/ ٤٨٨ وقال الساعاتي: أورده ابن هشام عن ابن اسحق ورجاله ثقات . (الفتح الرباني) : ٢٠/ ٢٨٢ .

الشجاعة التي لاتخاف إلا من الله وحده ولاتهاب مواجهة الطغاة . وكانت الفطنة التي تحسن التصرف في المواقف الحرجة . وللحديث مع المجاهدة أسماء بقية تأتى في فصل الجهاد إن شاء الله[١] .

المطلب الرابع: مشاركة المرأة فى الهجرة إلى المدينة :

ما إن أذن النبى (ﷺ) لأصحابه بالهجرة إلى المدينة بقوله: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان[٢] »[٣] ، حتى بادر المسلمون رجالاً ونساء بالتجهز للهجرة . وتوالت هجرة النساء إلى المدينة قبل وبعد هجرة النبي (ﷺ) . رغبة منهن في الخروج من دار الكفر وموطن المشركين . ومشاركة منهن في بناء المجتمع المسلم في المدينة ، وتكوين دولة الإسلام هناك .

وقد كانت هجرة المرأة إلى المدينة عن طواعية ورغبة ذاتية في الهجرة ، دون إكراه من أحد . ولم ينقل أن مهاجرة مسلمة خرجت مكرهة إلى المدينة ، بل الذى ثبت فعلاً هو الرغبة الأكيدة من المرأة في الإلحاق بركب المهاجرين ، حتى لو أدى ذلك إلى أن تستأنف المرأة هجرتها إلى المدينة وحدها ليس معها أحد إلا الله تعالى كما سيتضح من خلال البحث . وعلى الرغم مما في الهجرة من مشاق تتمثل في الشتات بعد الاجتماع ، والفقر بعد الغنى ، والذل بعد العز ، وعلى الرغم مما جبلت عليه المرأة من حب للراحة والتنعم والإستقرار ، إلا أن هذه الأمور لم تقعد المرأة عن الرغبة في الهجرة . بل أيقنت أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن طاعة الله ورسوله مقدمة على هوى النفس ورغائب الأهل ، فلم

---

(١) ص ٣٢٠ من الرسالة .

(٢) الحرة : هي الأرض ذات الحجارة السود . النهاية لابن الأثير : ١/ ٣٦٥ .

(٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة : ٧/ ٢٣١ (واللفظ له) ، (من فتح البارى) . مسند أحمد . كتاب السيرة النبوية : باب إذنه لأصحابه بالهجرة : ٢٠/ ٢٧٩-٢٨٠ (بزيادة في اللفظ) (من الفتح الربانى) . سنن البيهقى . كتاب السير: باب الإذن بالهجرة : ٩/ ٩ (بزيادة في اللفظ) . مستدرك الحاكم . كتاب الهجرة : باب رؤيارسول الله دار الهجرة : ٣/ ٣-٤ (بزيادة في اللفظ) .

تتأخر عن مرافقة الرجل ومشاركته في أجر الهجرة . وكان من أبرز المهاجرات إلى المدينة أم سلمة بنت أبي المغيرة ، وزينب بنت رسول الله (ﷺ) اللتين أكتفي بالحديث عنهما وعما اكتنف هجرتهما من مشاق وما اعترض طريقهما من صعاب

هجرة أم سلمة[١] : كان أول من تجهز للخروج إلى المدينة أم سلمة وزوجها أبو سلمة[٢] وابنهما الصغير سلمة[٣] . ولكن الأمر لم يتم لهذه الأسرة على ماتريد ، حيث تعرضت لمحنة عظيمة ، فما أن وصل خبر خروجها إلى الكفار ، حتى لحقوا بها على مشارف مكة .وتعرضت أم سلمة لموقف عسير ، حيث فرق بينهما وبين ابنها وزوجها في آن واحد . ورجع بها قومها إلى ديارها وحيدة حزينة ، وأخذ بنو عبد الأسد ابنها سلمة ، أما زوجها فقد مضى مهاجراً إلى ربه .

وبقيت أم سلمة عند أهلها قرابة عام حتى أذن لها أهلها بالخروج ورد إليها ابنها . فأسرعت بالهجرة إلى المدينة . وتروى أم سلمة مالقيت في هجرتها ، وما كان من المشركين الذين منعوها من الخروج ، ثم تمكنها بعد ذلك من الهجرة إلى المدينة فتقول: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة[٤] رحل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحمل معي إبنى سلمة بن أبي سلمة في حجرى ، ثم خرج بي يقود بي بعيره ، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله

(١) سبقت ترجمتهما ص٥٧ من الرسالة

(٢) عبد الله بن عبد الأسد بن هلال القرشي المخزومي ، ابن عمة رسول الله (ﷺ) ، أمه برة بنت عبد المطلب . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ، وكان أول من هاجر إلى المدينة من قريش شهد بدراً وأحداً ، وتوفي بعد أحد سنة أربع من الهجرة . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ١٩٠- ١٩٢ ، الإصابة لابن حجر: ٢/ ٢٣٥ .

(٣) سلمة بن أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد القرشي المخزومي ، ربيب النبي (ﷺ) هاجر به أبوه أبو سلمة وأمه وهو صغير . قيل هو الذي عقد النكاح لرسول الله (ﷺ) على أمه أم سلمة . زوجه رسول الله أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب . عاش إلى أيام عبد الملك بن مروان . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢/ ٢٧٧ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٦٦ .

(٤) كانت هجرة أبي سلمة قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش ، مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها . البداية والنهاية لابن كثير :٣/ ١٦٩ ، انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٤/ ٧١ .

بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت: فنزعوا خطام البعير[١] من يده ، فأخذوني منه . قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبى سلمة ، فقالوا: لاوالله ، لانترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا قالت: فتجاذبوا بُنَيَّ سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت:

فَفُرِّقَ بينى وبين زوجي وبين ابني: قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسي سنة أو قريباً منها حتى مر بى رجل من بني عمى ، أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ، قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت . قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني . قالت :

فارتحلت بعيرى ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت: وما معى أحد من خلق الله . قالت :

فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم[٢] لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة[٣] ، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت : فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال :

أو ما معك أحد ؟ قالت: فقلت: لا والله ، إلا الله وبني هذا . قال:

---

(١) خطام البعير: أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ، ثم يقاد البعير . النهاية لابن الأثير : ٢/ ٥٠ .

(٢) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة . معجم البلدان ، شهاب الدين ياقوت الحموي: ٢/ ٤٩ (بيروت: دار صادر) .

(٣) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي ، كان يوم هجرته بأم سلمة مشركاً وأسلم في هدنة الحديبية . وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد . وقد قتل أبوه طلحة يوم بدر كافراً . دفع إليه رسول الله مفاتيح الكعبة يوم الفتح . مات سنة اثنتين وأربعين بمكة وقيل أستشهد يوم أجنادين . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٤٧٤-٤٧٥ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٤٦٠ .

والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوي بي ، فو الله ما صحبت رجلاً من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم أستأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ، فحط عنه ، ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى عني إلى شجرة ، فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح ، قام إلى بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني وقال : أركبي فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه ، فقاده حتى ينزل بي .

فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال: زوجك في هذه القرية – وكان أبو سلمة بها نازلاً – فادخليها على بركة الله، ثم أنصرف راجعاً إلى مكة .

فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة »[(١)] .

هذه هي قصة أم سلمة في هجرتها إلى المدينة ، قصة امرأة مسلمة ملأ الإيمان قلبها فأخلصت لربها . تستأنف هجرتها إلى المدينة بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة . ولكنها تتعرض لإمتحان عسير ، ويحال بينها وبين ابنها وزوجها . ويرجع بها قومها المشركون إلى ديارهم . . ويمر عليها عام من الإبتلاء والإمتحان وهي بعيدة عن فلذة كبدها وعن زوجها فصمدت أمام الإبتلاء العظيم وأيقنت أن طريق الإيمان محفوفة بالمشاق ، وأن الله لن يخذلها ولن يضيع إيمانها وصبرها . . وسرعان ما فرج الله عنها فهيأ لها من قومها من رق لحالها . ورد إليها ابنها ، فاستعدت للهجرة . . لتحقيق الأمل العظيم الذي كابدت وجاهدت من أجله وهو الفرار بدينها والعيش في مجتمع موحد مؤمن بالله ورسوله ، بعيد عن الشرك والوثنية . وسخر الله لها من يصحبها في هجرتها فهاجرت إلى المدينة ، وتحملت مشاق الهجرة ومتاعب الطريق عبر صحراء قاحلة خالية وبصحبة رجل مشرك

---

(١) السيرة لابن هشام: ١/ ٤٦٩-٤٧٠ ، وقد صرح ابن إسحق بالتحديث ، وانظر أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٣٤١-٣٤٢ ، البداية والنهاية لابن كثير: ٤/ ١٦٩-١٧٠ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٥٨-٤٥٩ .

تتوجس منه في كل لحظة أمراً، ولكن رعاية الله كانت تحوطها ، وعين الله تحرسها، فكان ذلك الرجل خير رجل صحبته أم سلمة .

وهناك في المدينة عاشت أم سلمة أعواماً عديدة نعمت فيها بالقرب من المسلمين ، توفي بعدها زوجها أبو سلمة. وقد علم رسول الله (ﷺ) سبق أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة ، وما تحملته فى سبيل الله تعالى ، فأراد أن يكافئها على إيمانها وصبرها ويجازيها على إيثارها الهجرة إلى الله ورسوله على البقاء بجوار أهلها ، وأن يختم المتاعب والشدائد التي واجهتها بأحسن ختام ، وأن يرعى أولادها الذين أصبحوا بلا عائل بعد وفاة والدهم المهاجر المجاهد .

فأرسل إليها خاطباً لها، فاعتذرت بكبر سنها، وكثرة أولادها، وشدة غيرتها فطمأنها رسول الله (ﷺ) وأزال مخاوفها مما تخشى فقبلت به زوجاً كريماً لها، وكافلاً رحيماً لأولادها .

تقول أم سلمة: «سمعت رسول الله (ﷺ) يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها. قالت: فلما مات أبو سلمة قلت أى المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله (ﷺ) ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله (ﷺ).

وقالت أرسل إلى رسول الله (ﷺ) حاطب بن أبي بلتعة[1] يخطبنى له فقلت إن لي بنتاً وأنا غيور[2]. فقال أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب

---

(١) حاطب بن أبي بلتعة. واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة حليف بني أسد. شهد بدراً وشهد الحديبية. فيه نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ...﴾ توفي سنة ثلاثين وكان عمره خمساً وستين سنة. انظر أسد الغابة: ١/ ٤٣١-٤٣٣، الإصابة لابن حجر: ١/ ٣٠٠.

(٢) تقصد أن لها بنتاً تخشى أن يتأذى بها رسول الله (ﷺ) أو أن تنشغل بها عن أداء حقوقه وأنها شديدة الغيرة من نساء النبي (ﷺ) .

بالغيرة»[١] .

وفي رواية قالت: قال «رسول الله (ﷺ) إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون قالت فلما مات أبو سلمة أتيت النبي (ﷺ) فقلت يارسول الله: إن أبا سلمة قد مات قال : قولى اللهم اغفر لى وله وأعقبنى منه عقبى حسنة قالت فقلت فأعقبني الله من هو خير منه محمداً (ﷺ) »[٢] .

وهكذا منحت أم سلمة (رضي الله عنها) هذا الشرف العظيم إذ أصبحت إحدى أمهات المؤمنين تنعم بالعيش فى بيت النبوة زوجاً لرسول الله (ﷺ) جزاء موافقاً لما بذلته من تضحيات لايقوم بها إلا أولو العزم من الرجال وأعطت درساً لكل مسلمة بأن الحياة فى مكان ناء، ومجتمع جديد يجمع أفراده إخوة الإيمان، وتربطهم رابطة الإسلام خير من أن يعيش المرء بين الكفار وإن كانوا أهله وذووه .

هجرة زينب بنت رسول الله (ﷺ)[٣] : تزوجت زينب بنت رسول الله (ﷺ) أبا العاص بن الربيع قبل البعثة[٤] . ولما بعث النبي (ﷺ) أسلمت وبقي أبو العاص على شركه . ولم يفرق بينهما النبي (ﷺ) فبقيت زينب مع زوجها ولم تهاجر حين هاجر رسول

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الجنائز : باب مايقال عند المريض ٦/ ٢٢٠ -٢٢١ (واللفظ له) . سنن ابن ماجة . كتاب الجنائز : باب ما جاء في الصبر على المصية: ١/ ٥٠٩-٥١٠ ، (بإختلاف في اللفظ) .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الجنائز : باب مايقال عند المريض ٦/ ٢٢٢ (واللفظ له) . سنن النسائى . كتاب الجنائز : باب تمنى الموت :٤/ ٤-٥ (باختلاف فى اللفظ) . سنن الترمذي . أبواب الجنائز: باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له : ٤/ ٥٣ (باختلاف في اللفظ) (من تحفة الأحوذي) . سنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب ما يقال عند الميت من الكلام : ٨/ ٣٨٤-٣٨٥ (بأختلاف فى اللفظ) (من عون المعبود) . سنن ابن ماجة . كتاب الجنائز: باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر : ١/ ٤٦٥ (بنفس اللفظ) .

(٣) سبقت ترجمتها ص ٢٦ من الرسالة .

(٤) انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٦٥١ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٣٠-٣١ ، فتح الباري لابن حجر : ٧/ ٨٥ .

الله (ﷺ)[١] . وبعد غزوة بدر ، لما وقع أبو العاص أسيراً في يد المسلمين ، وبعثت زينب فداء له فأطلقه المسلمون ، وجد رسول الله (ﷺ) في ذلك فرصة للتفريق بين زينب وزوجها المشرك ، فأخذ العهد على أبي العاص أن يبعث إليه بابنته زينب[٢] .

ولما رجع أبو العاص إلى مكة ، أمر زينب بالتجهز للخروج إلى أبيها وذلك بعد بدر بشهر أو قريبه[٣] وخرج معها حموها كنانة بن عدي[٤] .

ولقيت زينب فى هجرتها من المشاق والآلام شيئاً عظيماً . فحينما خرجت تتجهز للهجرة رأتها هند بنت عتبة [٥]التي روعها مصابها في بدر ، وعرضت عليها المساعدة فيما تحتاج إليه لإتمام هجرتها إلى أبيها ، ولكن زينب توجست منها خوفاً فكتمت سر الهجرة عنها ، ولم تظهر لها أنها تريد الذهاب إلى المدينة ، وأخذت تتجهز سراً للخروج من مكة .

فلما حان موعد خروجها لقيها رهط من قريش معهم أبو سفيان وحالوا بينها وبين الهجرة ، وروعها أحد المشركين بالرمح فسقطت من هودجها ، وكانت حاملاً فسقط

---

(١) انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٦٥٢ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٩٤ ، مجمع الزوائد : ٩/ ٢١٤ وقال الهيثمي رواه الطبراني وإسناده منقطع .

(٢) انظر الإصابة لابن حجر : ٤/ ١٢٢ ، سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢/ ٢٤٦ .

(٣) انظر السيرة لابن هشام : ١/ ٦٥٣ .

(٤) كنانة بن عدى بن ربيعة بن عبد العزي بن عبد شمس قيل إنه ابن أخي أبي العاص . وقال ابن حجر أنه ابن عمه وهو الذى بعث معه أبو العاص بن الربيع زوجته زينب بنت رسول الله . أنظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٢٠١ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٣٠٧-٣٠٨ ، أما ما ذكرته بعض الروايات من أن اسمه كنانة ابن الربيع وأنه أخو زوجها . فإنى لم أقف على ترجمة بهذا الإسم . فلعله غلط من بعض الرواة . والله أعلم .

(٥) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية الهاشمية ، امرأة أبي سفيان ابن حرب أسلمت بعد الفتح . وشهدت أحداً كافرة . ومثلت بحمزة بن عبد المطلب . شهدت اليرموك . وحرضت على قتال الروم . توفيت في خلافة عمر بن الخطاب . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٢٩٢-٢٩٣ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٢٥-٤٢٦ .

جنينها ونزفت دماؤها .

فطلب أبو سفيان من حموها كنانة أن يرجع بها حتى لا يسمع الناس أن ابنة محمد خرجت علانية مهاجرة إلى أبيها فيظنون أن ذلك عن ضعف أصاب قريشاً بعد بدر . فرجع بها كنانة ، وتشاجر فيها بنو هاشم وبنو أمية كل يرى أنه أولى بها .

وتحدثت زينب رضي الله عنها عما لقيته في هجرتها فقالت: بينما أنا أتجهز بمكة إلى أبي تبعتنى هند بنت عتبة بن ربيعة فقالت: يا بنت محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك . فقالت: أي ابنة عم لا تفعلي ، إن كانت لك حاجة في متاع مما يرفق بك في سفرك وتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك . قالت زينب: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

فتجهزت ، فلما فرغت من جهازى قدم حموي كنانة بن الربيع . . . فقدم لي بعيراً فركبته . وأخذ قوسه وكنانته فخرج بي نهاراً . . «قال الراوى» : يقودها وهي في هودج لها فتحدث بذلك رجال قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذي طوى[(١)] فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى[(٢)] ونافع بن عبد قيس الفهرى[(٣)] يروعها هبار بالرمح وهى فى هودجها .

---

(١) (ذي طوى) : موضع عند باب مكة : النهاية لابن الأثير : ٣/ ١٤٧ ، وقال ياقوت : واد بمكة . معجم البلدان : ٤/ ٤٥ .

(٢) هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي . الذي عرض لزينب في نفر من سفهاء قريش فأهوى إليها وضرب هودجها فأسقطت جنينها . وعندما أمر رسول الله (ﷺ) المسلمين بقتله لم يلقوه ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه . وصحب النبي (ﷺ) وعفا عنه . وكان هبار يهجو النبي (ﷺ) أيام كفره . فلما أسلم محا كل ذلك بمدحه . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٦٠٨- ٦٠٩ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٥٩٧ - ٥٩٩ ، جمهرة أنساب العرب ، أبو محمد على بن أحمد حزم الأندلس ص ١١٩ ، ط ١ (بيروت دار الكتب العلمية) .

(٣) قال ابن حجر : لم أقف له على ذكر في الصحابة فلعله مات قبل أن يسلم فتح الباري: ٦/ ١٥٠ .

وكانت المرأة حاملاً – فيما يزعمون – فلما ريعت طرحت ذا بطنها . فبرك حموها ونثل[١] كنانته ، ثم قال : لايدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً فتلكأ الناس عنه .

وأتى أبوسفيان في جلة من قريش فقال: أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس وقد أخرج بابنته علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وان ذلك ضعف بنا ووهن ، ولعمري مالنا بحبسها عن أ بيها حاجة ، ولكن أرجع بالمرأة حتى إذا هدأ الصوت وتحدث الناس أنا قد رددناها ، فسر بها سراً فألحقها بأبيها ، قال ففعل فرجع ، فأقامت ليالي حتى إذا هدأ الصوت خرج بها ليلاً ، حتى سلمها إلى زيد بن حارثة[٢] وصاحبه فقدما بها على رسول الله(ﷺ)[٣] .

وكان رسول الله (ﷺ) قد أرسل زيد بن حارثة إلى مكة ليأتى له بابنته زينب .

«عن عائشة (رضى الله عنها) زوج النبي (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) لما قدم المدينة[٤] خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة .. فخرجوا في طلبها فأدركها هبار بن الأسود فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها، فتحملت ،

---

(١) في سيرة ابن هشام نثر .

(٢) زيد بن حارثة بن شرحيل بن كعب بن عبد العزى . مولى رسول الله (ﷺ) . وهبته خديجة لرسول الله بمكة قبل النبوة . قديم الإسلام شهد بدراً . واستشهد يوم مؤتة فى جمادى من سنة ثمان من الهجرة . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٢/ ١٢٩-١٣٢ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٥٦٣-٥٦٤ .

(٣) مستدرك الحاكم . كتاب معرفة الصحابة : ذكر زينب بنت خديجة : ٤/ ٤٢-٤٣ (واللفظ له) وقال الحاكم : هذا حديث فيه إرسال بين عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمر بن حزم وزينب (رضى الله عنها) ولولاه لحكمت بصحته على شرط مسلم « وقد روى بإسناد صحيح على شرط الشيخين مختصراً . مجمع الزوائد . كتاب المناقب : باب ماجاء في فضل زينب : ٩/ ٢١٤-٢١٥ (بنحوه) وقال الهيثمي رواه الطبراني وإسناده منقطع وانظر السيرة لابن هشام: ١/ ٦٥٣-٦٥٥ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٣٣٠ .

(٤) في مجمع الزوائد "لما قدم مكة" وهو خطأ والصواب ما أثبته في الصلب .

واشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية فقال بنو أمية نحن أحق بها وكانت تحت ابن عمهم أبى العاص وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة . وكانت تقول هذا فى سبب أبيك .

فقال رسول الله (ﷺ) لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجيء بزينب ؟ قال بلى يارسول الله . قال فخذ خاتمى فأعطها إياه فانطلق زيد فلم يزل يتلطف . فلقي راعياً فقال لمن ترعى؟ فقال لأبي العاص فقال لمن هذه الغنم ؟ فقال لزينب بنت محمد (ﷺ) فسار معه شيئاً . ثم قال هل لك أن أعطيك شيئاً تعطيها إياه ولا تذكره لأحد ؟ قال نعم فأعطاه الخاتم ، فعرفته فقالت :

من أعطاك هذا ؟ قال رجل . قالت: فأين تركته ؟ قال: بمكان كذا وكذا . فسكت حتى إذا كان الليل خرجت إليه فلما جاءته . قال لها اركبي بين يدى ، على بعيره ، قالت: لا ولكن اركب أنت بين يدى ، فركب وركبت وراءه . حتى إذا أتت .فكان رسول الله (ﷺ) يقول : هي خير بناتى أصيبت فيَّ »[(١)] .

يتضح من النصين السابقين مالقيته زينب بنت رسول الله (ﷺ) من معاناة ومكابدة ، وماكان منها من صبر على الأذى وعزم على الهجرة .

وعلى الرغم مما كان يختلج في صدرها من ألم عميق بسبب مفارقة زوجها الذي أحبته ، إلا أنها لم تتردد في مفارقته عندما حان الوقت لذلك وفرق بينهما الإسلام . ولم تعد رابطة الزوجية مهما قويت ذات قيمة أمام رابطة العقيدة التى تربط بين أفئدة المؤمنين . فتجهزت للهجرة دون أن تطلب معونة من أحد إلا من الله وحده الذى ماخرجت إلا في سبيله ، رافضة مساعدة هند بنت عتبة والتي كانت – بحكم وحدتها – في أمس الحاجة إليها ، لكنها لم تسترح لعروض هند ، وإن لم ترمنها شيئاً تنكره إلا أنها خشيت أن ينتشر خبر هجرتها على لسان هند فيحبطه الكفار ، وقد صدق ظنها في هند

---

(١) مجمع الزوائد . كتاب المناقب: باب ما جاء في فضل زينب بنت رسول الله ٩/ ٢١٢-٢١٣ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني فى الكبير والأوسط بعضه ، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

حيث أظهرت هند الشماتة بها ، حين رجع بها المشركون قائلة لها: هذا في سبب أبيك . وصبرت زينب على ما لقيته من المشركين من ترويع لها ، وإسقاط لجنينها ، ومنعها من إكمال مسيرتها .

ثم خرجت ثانية دون أن تخضع للألم الذي تعانى منه ، أو تستسلم للحزن الذي اشتد بها فخرجت مهاجرة يغذيها الإيمان وترويها العزيمة ، حتى تم لها ما أرادت .

ووصلت زينب إلى المدينة ، وهي تشكو من الآلام التي أصابتها عند خروجها . وحزن رسول الله (ﷺ) عندما رآها ، وغضب غضباً شديداً بسبب ما فعله المشركون بابنته المهاجرة ، فأمر أن يعاقب من فعل ذلك عقاباً أليماً ، ولا عقوبة أشد من التحريق بالنار ، فأمر أصحابه بتحريق الرجلين الذين نخسا بعيرها . ولما أراد أصحابه الخروج عدل عن ذلك ، واستبدل عقوبة الإحراق بالقتل ، حياء من الله أن يعذب بعذابه أحداً .

روى البخاري[١] والترمذي[٢] بإسناديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله (ﷺ) في بعث فقال: إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار . ثم قال رسول الله (ﷺ) حين أردنا الخروج: إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما .

وصرح ابن هشام[٣] بإسميهما فيما رواه عن أبى هريرة قال: «بعث رسول الله (ﷺ) سرية أنا فيها ، فقال لنا : إن ظفرتم بهبار بن الأسود أو الرجل الذي سبق معه إلى زينب – قال ابن هشام وقد سمى ابن اسحق الرجل فى حديثه (وقال: هو نافع بن عبد قيس) – فحرقوهما بالنار . قال: فلما كان الغد بعث إلينا ، فقال: إنى كنت أمرتكم

---

(١) في الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب لا يعذب بعذاب الله : ٦/ ١٤٩ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٢) في السنن . أبواب السير : ٥/ ١٩٣ (بزيادة في اللفظ) (من تحفة الأحوذي) .

(٣) السيرة : ١/ ٦٥٧ ، انظر الإصابة لابن حجر : ٣/ ٥٩٧ ، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٤٧ وقال في الهامش: إسناده قوي .

بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما» .

وظلت زينب مدة إقامتها بالمدينة تشكو من الآلام التي أصابتها يوم هجرتها ، حتى ماتت متأثرة بتلك الجراح ، فعدوها شهيدة لذلك .

«عن عروة بن الزبير أن رجلاً أقبل بزينب بنت رسول الله (ﷺ) فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها ، فدفعاها فوقعت على صخرة فأسقطت ، وهريقت دماً ، فذهبوا بها إلى أبي سفيان فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن . ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة ،فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع ، فكانوا يرون أنها شهيدة»(١) .

وكانت وفاتها (رضى الله عنها) فى أول سنة ثمان من الهجرة (٢) . دفنها رسول الله (ﷺ) وحزن يوم وفاتها حزناً عظيماً بسبب ما كانت تعانيه من آلام شديدة كانت سبباً في وفاتها . روى الحاكم(٣) بسنده عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: توفيت زينب بنت رسول الله (ﷺ) فخرج بجنازتها ، وخرجنا معه ، فرأيناه كئيباً حزيناً ، فلما دخل النبى (ﷺ)قبرها ، خرج ملتمع (٤)اللون ، وسألناه عن ذلك فقال إنها كانت امرأة مسقامة(٥) ، فذكرت شدة الموت ، وضمة القبر ، فدعوت الله أن يخفف عنها .

ملخص المبحث :

١- كانت الهجرة إلى المدينة بعد اشتداد الأذى على المسلمين في مكة ، وانتشار الإسلام

---

(١) مجمع الزوائد . كتاب المناقب : باب فضل زينب بنت رسول الله (ﷺ) : ٢١٦/٩ ، وقال الهيثمى رواه الطبرانى وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح .

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣٤/٨ ، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٥٠/٢ ، الإصابة لابن حجر: ٣١٢/٤ .

(٣) في المستدرك . كتاب معرفة الصحابة : ٤٦/٤ وسكت عنه الحاكم والذهبي .

(٤) لمع الشيء لمعاً ولمعاناً : برق وأضاء ، ولمع البرق إذا أضاء . لسان العرب لابن منظور : ٣٢٤/٨ .

(٥) السقم والسقم : المرض . النهاية لابن الأثير : ٣٨٠/٢ . وقال ابن منظور: المسقام : كالسقيم وهو الكثير السقم . انظر لسان العرب: ٢٨٨/١٢-٢٨٩ .

في المدينة بعد بيعة العقبةالأولى .

٢- سارعت المرأة إلى الإستجابة إلى الإسلام وهي في المدينة على يد الذين التقوا برسول الله (ﷺ) في مكة .

٣- تشرفت المرأة المسلمة بحضور بيعة العقبة الثانية ، التي بايع فيها الأنصار رسول الله (ﷺ) على نصرته إذا قدم إليهم وحماية المهاجرين وبايعت مع الرجل على ذلك .

٤- كان للمرأة دور مشرف في إتمام هجرة رسول الله (ﷺ) إلى المدينة وكتم سر الهجرة عن المشركين .

٥- شاركت المرأة المسلمة في الهجرة إلى المدينة ، مؤثرة طاعة الله ورسوله على البقاء بجوار أهلها ولم يثنها عن الهجرة ما واجهته من مشاق وعوائق .

والله أعلم . . .

المبحث الرابع

أثر صلح الحديبية في هجرة المرأة

المطلب الأول: نبـــذة عن الصلح :

كان لصلح الحديبية بين رسول الله (ﷺ) وقريش أثر كبير فى مسيرة الهجرة من مكة إلى المدينة ، حيث مثل طوراً جديداً تأثرت به هجرة المسلمين بناء على ما ورد فى هذا الصلح من شروط . لذا أعرض فيما يأتي أحداث صلح الحديبية بإيجاز مبينة الشروط التي أبرمها رسول الله (ﷺ) مع قريش في هذا الصلح .

خرج رسول الله (ﷺ) إلى مكة فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة معتمراً ومعه ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار ، وساق الهدي دلالة على أنه لا يريد حرباً [١] .

فلما وصل إلى عسفان[٢] أتاه الخبر أن قريشاً سمعت بقدومه فاجتمعت بذى طوى بقيادة خالد بن الوليد[٣] وحلفت ألا يدخل مكة عليهم . فرأى رسول الله (ﷺ) أن يختار للمسلمين طريقاً غير طريق قريش فسلك بهم طريقاً وعراً ، اجتازه المسلمون بصعوبة ، حتى وصل بهم إلى الحديبية[٤] أسفل مكة . وبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن

---

(١) انظر السيرة لابن هشام : ٢/ ٣٠٨ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٢/ ١٣٥ .

(٢) عسفان : قرية جامعة بين مكة والمدينة . النهاية لابن الأثير :٣/ ٢٣٧ . وقال ياقوت الحموى هى بين الجحفة ومكة . وقيل هي على مرحلتين من مكة على طريق المدينة والجحفة على ثلاث مراحل . معجم البلدن : ٤/ ١٢١-١٢٢ .

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، أسلم وهاجر بعد الحديبية وقبل الفتح . كان مع رسول الله يوم حنين . قاتل الفرس والروم وافتتح دمشق . توفي بحمص من الشام وقيل توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٥٨٦-٥٨٩ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٤١٣-٤١٥ .

(٤) الحديبية . بضم الحاء وفتح الدال . هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة . سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله (ﷺ) تحتها ، وبين الحديبية ومكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل . معجم البلدان لياقوت :٢/ ٢٢٩

ورقاءالخزاعي[١] ومعه رجال من خزاعة فسأل رسول الله (ﷺ) وأصحابه عن سبب مجيئهم فبين لهم رسول الله (ﷺ) أنه ما جاء لحرب وإنما جاء معتمراً وزائراً لبيت الله .

ورجع بديل إلى قريش وأخبرهم الخبر ، فرفضت أن يدخل رسول الله (ﷺ) مكة عليهم . وتوالت رسلها إلى المسلمين . وفي كل مرة ترجع رسل قريش مطالبة بالسماح للمسلمين بدخول مكة ، فترفض قريش ذلك إلى أن أرسلت سهيل بن عمرو[٢] للتفاوض مع رسول الله (ﷺ) . فعقد رسول الله (ﷺ) مع ممثل قريش صلح الحديبية وفق الشروط الآتية :

١- أن يرجع المسلمون عن مكة ذلك العام ويأتوا إليها فى العام المقبل يمكثون بها ثلاثاً وليس معهم إلا سلاح الراكب .

٢- أن من لحق من الكفار برسول الله (ﷺ) دون إذن وليه رده رسول الله إليهم .

٣- أن من جاء قريشاً ممن هومع رسول الله (ﷺ) لم ترده قريش .

٤- أن توضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن الناس فيها .

٥- أن من أحب أن يدخل في عهد رسول الله (ﷺ) دخل ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل . فدخلت خزاعة في عهد محمد ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش .

٦- أن يأمن بعضهم بعضاً في نفوسهم وأموالهم سراً وجهراً فلا سرقة ولا خيانة [٣] .

---

(١) بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى الخزاعى ، له صحبة . كان إسلامه قبل الفتح وقيل يوم الفتح سكن مكة . توفى قبل النبي (ﷺ) . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/٢٠٣-٢٠٤ ، الإصابة لابن حجر : ١/١٤١ .

(٢) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود القرشى العامري . أحد أشراف قريش وعقلائهم . أسلم يوم الفتح . خرج سهيل إلى الشام مجاهداً فمات هناك . وكان كثير البكاء ، رقيقاً عند قراءة القرآن . استشهد باليرموك وقيل بل أستشهد يوم الصفر وقيل مات في طاعون عمواس . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢/٣٢٨-٣٢٩ ، الإصابة لابن حجر : ٢/٩٣-٩٤ .

(٣) انظر السيرة لابن هشام : ٢/٣١٧-٣١٨ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/١٣٨-١٣٩ .

وبينما رسول الله (ﷺ) يكتب كتاب الصلح مع سهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو[١] مسلماً فاراً من المشركين وقاصداً الالتحاق بالمسلمين . فقام سهيل إلى ابنه فضربه على وجهه وجذبه بشدة ليرده إلى قريش بموجب ما جاء في الصلح . فطلب رسول الله (ﷺ) من سهيل أن يستثنى أبا جندل من القضية ، فرفض فرده رسول الله (ﷺ) قائلاً: «يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم »[٢] . ولم يسترح المسلمون لما جاء في هذا الصلح ، وزاد من ألمهم ما رأوا من رد أبي جندل إلى الكفار . ولما فرغ رسول الله (ﷺ) من الكتاب وأمرهم بنحر هديهم وحلق رؤسهم ترددوا في الاستجابة لأمره ، حتى خرج إليهم بعد مشاورته أم سلمة (رضى الله عنها) فنحر بدنه وحلق رأسه فتسابقوا في الاقتداء به حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً من الازدحام .

وما أن قدم النبي (ﷺ) المدينة حتى لحق به أبو بصير عتبة بن أسيد[٣] وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة . فرده رسول الله (ﷺ) وأعلمه أنه قد أعطى القوم عهداً بذلك . فهرب أبو بصير ولم يرجع إلى مكة وإنما اتخذ له مكاناً على ساحل البحر ، وأجتمع إليه أبو جندل . ولحق بهما من حبس بمكة من المسلمين . فجعلوا يعترضون لقوافل قريش ، يقتلون الرجال ، ويسلبون الأموال . حتى أرسلت قريش إلى رسول الله (ﷺ) تطلب منه إيواء المهاجرين وتنقض الشرط بشأنهم .

---

(١) أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامرى . قيل اسمه العاصي . أسلم بمكة فسجنه أبوه وقيده . ولم يشهد بدراً ولا شيئاً من المشاهد قبل الفتح لأن أباه كان قد منعه . ولم يزل أبو جندل وأبوه مجاهدين بالشام حتى ماتا فى خلافة عمر . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٥/ ٥٤-٥٦ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٤ .

(٢) السيرة لابن هشام : ٢/ ٣١٨ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ١٣٩ .

(٣) أبو بصير ، اسمه عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي ، وهو الذى جاء إلى رسول الله بعد صلح الحديبية فرده رسول الله . ولما كتب رسول الله له ولمن معه بالقدوم إلى المدينة ، كان أبو بصير مريضاً ولما وصل كتاب رسول الله إليهم مات أبو بصير فدفنه أبو جندل وصلى عليه . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٥/ ٣٥-٣٦ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٤٥٢-٤٥٣ .

وتتضح لنا صورة هذا الصلح وما جاء فيه فيما رواه البخارى[١] وأحمد[٢] بإسناديهما عن المسور بن مخزمة[٣] ومروان بن الحكم[٤] – يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه – قالا: «خرج رسول الله (ﷺ) زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي (ﷺ) :

إن خالد بن الوليد بالغميم [٥] في خيل لقريش طليعة[٦]، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة[٧] الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي (ﷺ)، حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل[٨]. فألحت[٩]. فقالوا : خلأت القصواء[١٠]. فقال النبي (ﷺ): ما

---

(١) في الصحيح . كتاب الشروط: باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب: ٥/ ٣٢٩-٣٣٣ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٢) في المسند . كتاب السيرة النبوية: باب عمرة الحديبية: ٢١/ ٩٥-١٠٢ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .

(٣) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشى الزهرى . له صحبه . ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين . وكان فقيهاً من أهل العلم والدين . أقام بالمدينة إلى أن قتل عثمان . ثم ذهب إلى مكة مع ابن الزبير . وقتل بها على يد جيش الشام بعد وقعة الحرة سنة أربع وستين . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٣٩٩-٤٠٠ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٤١٩ -٤٢٠ .

(٤) مروان بن الحكم بن العاص بن أمية القرشى الأموى ، قيل ولد سنة اثنتين من الهجرة . ولم يرى النبي ولما مات معاوية بن يزيد ، بويع لمروان بالخلافة . وكانت خلافته تسعة أشهر . مات سنة خمس وستين . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٣٦٨-٣٦٩ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٤٧٧-٤٧٨ .

(٥) الغميم : موضع بين رابغ والجحفة . انظر معجم البلدان لياقوت : ٤/ ٢١٤ . قال ابن حجر : سياق الحديث ظاهر فى أنه كان قريباً من الحديبية فهو غير كراع الغميم الذى هو بين مكة والمدينة . فتح الباري: ٥/ ٣٣٥ .

(٦) الطليعة : مقدمة الجيش ، فتح البارى : ٥/ ٣٣٥ .

(٧) القترة – بفتح القاف والمثناه – غبرة الجيش ، النهاية لابن الأثير : ٤/ ١٢ .

(٨) حل : زجر للناقة ، إذا حثثتها على السير ، النهاية لابن الأثير : ١/ ٤٣٣ .

(٩) ألحت الناقة : إذا بركت فلم تبرح مكانها . من ألح على الشيء إذا لزمه وأصر عليه . لسان العرب لابن منظور : ٢/ ٥٧٨ .

(١٠) خلأت: بركت أو حرنت من غير علة . وقيل إذا لم تبرح مكانها . لسان العرب لابن منظور: ١/ ٦٨ .

خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل . ثم قال: والذي نفسي بيده ، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت . قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد [١] قليل الماء يتبرضه [٢] الناس تبرضاً ، فلم يلبثه [٣] الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله (ﷺ) العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش [٤] لهم بالري حتى صدروا عنه[٥] . فبينما هم كذلك ، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصح [٦]رسول الله (ﷺ) من أهل تهامة- فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ، ومعهم العوذ المطافيل[٧] ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال رسول الله (ﷺ): إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاؤا ماددتهم مدة[٨] ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاؤا[٩] أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ،

---

(١) ثمد : الماء القليل . النهاية لابن الأثير: ١/ ٢٢١ . وقال ابن حجر: قوله قليل الماء تأكيداً لدفع توهم أن يراد لغة من يقول أن الثمد الماء الكثير . وقيل الثمد ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف ، فتح الباري : ٥/ ٣٣٦-٣٣٧ .

(٢) يتبرضه : أي يأخذونه قليلاً قليلاً ، والبرض الشيء القليل . النهاية لابن الأثير : ١/ ١١٩ .

(٣) لبث بالمكان وتلبث: أقام . والمعنى لم يتركوه يقيم . لسان العرب لابن منظور : ٢/ ١٨٢ .

(٤) يجيش : أي يتدفق ويجرى بالماء أو يفور ويرتفع ، لسان العرب لابن منظور : ٦/ ٢٧٧ .

(٥) الصدر: رجوع المسافر من مقصده ، والشاربة من الورد ، النهاية لابن الأثير : ٣/ ١٥ . والمراد رجعوا رواء بعد صدورهم . فتح الباري لابن حجر : ٥/ ٣٣٧ .

(٦) عيبة نصح . قال ابن الأثير: العرب تكنى عن القلوب والصدور بالعيا ب لأنها مستودع السرائر كما أن العياب مستودع الثياب ، النهاية : ٣/ ٣٢٧ . وقال ابن حجر: أي أنهم موضع النصح له والأمانة على سره . كأنه شبه الصدر الذى هو مستودع السر بالعيبة التي هي مستودع الثياب . فتح الباري: ٥/ ٣٣٧ ، وانظر عمدة القارىء للعيني: ١٤/ ٨ .

(٧) العوذ المطافيل : يريد النساء والصبيان . أنظر النهاية لابن الأثير : ٣/ ٣١٨ .

(٨) المدة : طائفة من الزمان تقع على القليل والكثير . النهاية لابن الأثير : ٤/ ٣٠٩ ، والمراد جعلت بيني وبينهم مدة يترك الحرب بيننا وبينهم فيها ، فتح الباري لابن حجر : ٥/ ٣٣٨ .

(٩) معنى قوله «فإن أظهر فإن شاؤا » هو شرط بعد الشرط والتقدير فإن ظهر غيرهم على كفاهم المؤنة ، وإن أظهر أنا على غيرهم فإن شاؤا أطاعوني وإلا فلا تنقضى مدة الصلح إلا وقد جموا أى استراحوا ، فتح الباري لابن حجر : ٥/ ٣٣٨ .

وإلا فقد جموا [١] .

وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي [٢] ولينفذن الله أمره . فقال بديل: سأبلغهم ما تقول .

قال فانطلق حتى أتى قريشاً قال: إنا جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرونا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول . قال سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال النبى (ﷺ) .

فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات أكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي (ﷺ) الكاتب ، فقال النبى(ﷺ)« بسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال سهيل : أما «الرحمن» فوالله ما أدرى ما هي ، ولكن اكتب «باسمك اللهم» كما كنت تكتب ، فقال المسلمون: والله لا نكتب إلا «بسم الله الرحمن الرحيم» ، فقال النبى (ﷺ) : اكتب «باسمك اللهم» . ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب « محمد بن عبد الله » ، فقال النبي (ﷺ): والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب «محمد بن عبد الله » .

قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها » فقال له النبي (ﷺ) : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به: فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة [٣] . ولكن ذلك من العام المقبل .

فكتب ، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتينك منا رجل- وإن كان على دينك – إلا رددته إلينا . قال المسلمون: سبحان الله . كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟

---

(١) "جموا" أى استرخوا وكثروا ، النهاية لابن الأثير : ١/ ٣٠١ .

(٢) السالفة : صفحة العنق وكنى بانفرادها عن الموت لأنها لاتنفرد عما يليها إلا بالموت . وقيل أراد حتى يفرق بين رأسي وجسدي . انظر النهاية لابن الأثير: ٢/ ٣٩٠ ، لسان العرب لابن منظور: ٩/ ١٥٩ .

(٣) ضغطة : أي قهراً ، لسان العرب لابن منظور : ٧/ ٣٤٢ .

فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف[١] في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي .

فقال النبي (ﷺ) إنا لم نقض الكتاب بعد . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي (ﷺ) : فأجزه[٢] لي ، قال: ما أنا بمجيزه لك ، قال: بلى فافعل . قال: ما أنا بفاعل . . . قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله . قال:

فقال عمر بن الخطاب : فأتيت نبي الله (ﷺ) فقلت: ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى . قلت : فلم نعطي الدنية[٣] في ديننا إذاً ؟ قال : إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به: قال: بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال قلت: لا .

قال فإنك آتيه ومطوف به . قال :

فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال: بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى . قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل إنه لرسول الله (ﷺ) ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه[٤] فوالله إنه على الحق . قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال: بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت: لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به .

---

(١) يرسف: الرسف والرسيف: مشى المقيد إذا جاء يتحامل برجله مع القيد ، النهاية لابن الأثير : ٢/ ٢٢٢ .

(٢) أجاز أمره يجيزه إذا أمضاه وجعله جائزاً ، انظر لسان العرب لابن منظور: ٥/ ٣٢٧ والمعنى كما قال ابن حجر : أي أمض لي فعلي فيه فلا أرده إليك ، أو استثنيه من القضية ، فتح الباري: ٥/ ٣٤٥ .

(٣) الدنية : أي الخطة المذمومة . النهاية لابن الأثير : ٢/ ١٣٧ .

(٤) استمسك بغرزه : أي اعتلق به وامسكه ، واتبع قوله وفعله ولا تخالفه ، فاستعار له الغرز كالذى يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره . النهاية لابن الأثير : ٣/ ٣٥٩ .

قال الزهرى قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً . قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك ؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك[١] ، وتدعو حالقك فيحلقك .

فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً[٢] . . .

ثم رجع النبي (ﷺ) إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذى جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين . فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة[٣] ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً ، فاستله[٤] الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت به ثم جربت .

فقال أبو بصير : أرنى أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه حتى برد[٥] .

وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله (ﷺ) حين

---

(١) البدنة : تقع على الجمل والناقة والبقرة ، وهي بالإبل أشبه . وسميت بدنة لعظمها وسمنها . النهاية لابن الأثير : ١/١٠٨ .

(٢) الغم : الستر والتغطية . وغممته أى غطيته فانغم والمراد غطى بعضهم بعضاً من شدة الازدحام . انظر لسان العرب لابن منظور : ١٢/٤٤١-٤٤٣ .

(٣) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة ومن مربه من غيرهم . يبعد عن المدينة على طريق مكة ، تسعة أكيال جنوباً . معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي ص ١٠٣-١٠٤ .

(٤) السل : انتزاع الشيء وإخراجه في رفق . لسان العرب لابن منظور : ١١/٣٨٨ .

(٥) حتى برد قال ابن حجر : أي خمدت حواسه وهو كناية عن الموت لأن الميت تسكن حركته . فتح الباري: ٥/٣٤٩ .

رآه: لقد رأى هذا ذعراً، فلما انتهى إلى النبي (ﷺ) قال : قتل والله صاحبى وإنى لمقتول . فجاء أبو بصير فقال: يا نبى الله، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى إليهم، ثم أنجاني الله منهم .

قال النبى (ﷺ): ويل أمه[١] مسعر[٢] حرب لو كان له أحد ، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر .

قال وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها . فقتلوهم وأخذوا أموالهم .

فأرسلت قريش إلى النبى (ﷺ) تناشده الله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي (ﷺ) إليهم . فأنزل الله تعالى (٢٤) الفتح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ﴾ حتى بلغ -﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾) وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت » .

المطلب الثاني: الأقوال في دخول النساء في الصلح:

على الرغم مما ورد في الصلح من شرط يمنع من هجرة المسلمين إلى المدينة بدون إذن أوليائهم إلا أن الهجرة لم تتوقف . حيث أخذ المسلمون من الرجال يخرجون من مكة إلى المدينة ، واتضح كيف ردهم رسول الله (ﷺ) ومنعهم من دخول المدينة بناء على ما ورد في الصلح . أما بالنسبة لهجرة المرأة في هذه الفترة – وهي ما يعنينا بالبحث والدراسة – فقد ظلت هجرتها مستمرة. فهاجرت نساء مسلمات إلى رسول الله (ﷺ) بعد

---

(١) الويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب وهو هنا بمعنى التعجب قاله النبي (ﷺ) لأبي بصير تعجباً من شجاعته وجرأته وإقدامه . النهاية لابن الأثير :٥/ ٢٣٦ .

(٢) مسعر : يقال سعرت النار والحرب إذا أوقدتهما النهاية لابن الأثير : ٢/ ٣٦٧ .

الصلح ، إلا أن رسول الله لم يرد النساء كما رد الرجال ، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾[١].

ولكن هل كان عدم رد النساء لأنهن لم يدخلن أصلاً في شرط الصلح الذي نص على أن من أتى محمداً (ﷺ) من عند قريش بدون إذن وليه رده إليهم ، أم أن النساء كن داخلات في الشرط ولكن نزول الآية منع من إرجاعهن ؟ للإجابة عن هذا أفصل القول في كلام العلماء في دخول النساء في شرط الصلح . تعددت الأقوال في دخول النساء في شرط الصلح مع الرجال وكيفية ذلك . وسبب هذا التعدد يرجع إلى الأختلاف في روايات الصلح . وسأعرض لهذه الأقوال أولاً ثم أناقشها لبيان القول الراجح منها .

أولاً : **القول بعموم الشرط** : أي أن الشرط وقع بلفظ عام يشمل الرجال والنساء . وتأيد هذا القول بالروايات الآتية :

١- رواية البخاري[٢] التي نصت على أن الشرط كان بلفظ العموم وهي: «أن لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا» فلفظة «أحد» عامة تشمل الرجال والنساء . وأورد ابن كثير[٣] هذه الرواية عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ... الآية﴾ ، ثم قال: «وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي . فعلى هذه

---

(١) سورة الممتحنة ، آية (١٠ - ١١) .

(٢) في الصحيح . كتاب الشروط: باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة : ٥/ ٣١٢ (من فتح الباري) .

(٣) تفسير القرآن : ٤/ ٣٥٠ .

الرواية تكون الآية مخصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك، وعلى طريقة بعض السلف ناسخة» .

٢- روايات الصلح التي نقلها كل من ابن هشام[١]، والطبري[٢]، وابن الجوزى[٣]، وابن حيان[٤]، وابن كثير[٥]، والجصاص [٦]، والقرطبي[٧] وغيرهم والمشتملة على لفظة (من) التي تفيد العموم وهي: «على أنه من أتى رسول الله (ﷺ) من قريش بغير إذن وليه رده عليهم » ورواية أخرى «على أنه من جاء محمداً من قريش فهو إليهم رد ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم» .

وحكى القرطبي [٨] دخول النساء في الشرط عموماً عن طائفة من أهل العلم فقال: «قالت طائفة من أهل العلم لم يشترط ردهن في العقد لفظاً ، وإنما أطلق العقد فى رد من أسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لأمرين: أحدهما أنهن ذوات فروج يحرمن عليهن .

الثاني: أنهن أرق قلوباً وأسرع تقلباً منهم .

---

(١) السيرة : ٢/ ٣١٧ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: ٢٦/ ٦٠-٦١ ، ط٢ (بيروت دار المعرفة) . تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: ٢/ ٦٣٤ / ٦٣٥ ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ط٢ (دار المعارف بمصر) .

(٣) زاد المسير فى علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي : ٨/ ٢٣٨-٣/ ٤٠٠ ، ط١(بيروت : المكتب الاسلامي) .

(٤) تفسير البحر المحيط ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن حيان وبهامشه النهر المارد لابى حيان ، والدر اللقيط لتاج الدين الحنفي: ٨/ ٢٥٦ (الرياض مكتبة النصر الحديثة) .

(٥) تفسير القرآن :٤/ ١٩٦، ٢٠٠ .

(٦) أحكام القرآن ، أبو بكر أحمد الرازي الجصاص : ٣/ ٤٣٧ (بيروت دار الفكر) .

(٧) الجامع لاحكام القرآن : ١٨/ ٦٢ .

(٨) الجامع لاحكام القرآن : ١٨/ ٦٢ ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي : ٨/ ٢٣٩ .

وذهب ابن العربي[(١)] إلى أن الشرط كان عاماً وجاءت الآية مخصصة لهذا العموم . فقال: «خروج النساء من عهد الرد كان تخصيصاً للعموم لا ناسخاً للعهد كما توهمه بعض الغافلين » .

ومن الذين ذهبوا إلى القول بعموم الشرط الجصاص غير أنه قال بأن قبول النبي (ﷺ) للمهاجرات كان نسخاً للشرط لاتخصيصاً له . فقال[(٢)]: «لايخلو الصلح أن يكون كان خاصاً في الرجال دون النساء أو أن يكون وقع عاماً ثم نسخ عن النساء وهذا أظهر الوجهين وذلك جائز عندنا (أي الحنفية) وإن لم يرد النبي (ﷺ) أحداً من النساء عليهم لأن النسخ جائز بعد التمكين من الفعل وإن لم يقع الفعل » .وقال القرطبي[(٣)] : «وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن» .

وذكرالألوسي[(٤)] أن بعض العلماء وافق جمهور الحنفية على النسخ لا التخصيص فقال: «ومنهم من وافق جمهور الحنفية على النسخ لا التخصيص فمن جوز نسخ السنة بالكتاب قال نسخ بالآية ، ومن لم يجوز قال بالسنة أي امتناعه (ﷺ) من الرد ، ووردت الآية مقررة لفعله عليه الصلاة والسلام » .

يعنى بذلك أن امتناع النبي (ﷺ) من رد المهاجرات يعد من قبيل السنة ، وبهذا الإمتناع نسخ الشرط في النساء ثم نزلت الآية بعد ذلك تقر النبي (ﷺ) على اجتهاده .

ثانياً: القول بأن رد النساء كان شرطاً صريحاً فى العقد: حكى ابن الجوزي[(٥)] والقرطبى[(٦)] أن شرط رد النساء كان في العقد لفظاً صريحاً فنزلت الآية ناسخة لرد النساء

---

(١) أحكام القرآن :٤/ ١٧٨٦ .
(٢) أحكام القرآن : ٣/ ٤٣٧ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٦٣ .
(٤) روح المعاني: ٢٨/ ٧٧ .
(٥) زاد المسير : ٨/ ٢٣٩ -٢٤٠ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٦٢ .

مبقية الشرط في الرجال . قال القرطبي[١] يحكي قول طائفة من أهل العلم «قد كان شرط ردهن في عقد المهادنة لفظاً صريحاً فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه ، وبقاه في الرجال على ماكان. قال القرطبي ، وهذا يدل على أن للنبي (ﷺ) أن يجتهد رأيه في الأحكام ولكن لايقره الله على خطأ» .

ثالثاً: القول بموافقة الشرط فى النساء لما ورد في الآية : أى أن الشرط في النساء جاء في العقد موافقاً لما حكمت به الآية الكريمة. ودليله ما روي عن الضحاك من أن هناك شرطاً صريحاً خاصاً بالنساء في الصلح ونصه: «أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا فإن دخلت في دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذي أنفق عليها ، وللنبي (ﷺ) من الشرط مثل ذلك» .

قال الألوسي[٢]: «وعليه فالآية موافقة لما وقع عليه العهد » .

رابعاً: القول بعدم دخول النساء فى الشرط: حكاه ابن حجر ومن أدلته رواية البخاري[٣] التي نصها : « . . على أنه لا يأتيك منا رجل – وإن كان على دينك – إلا رددته إلينا » . قال ابن حجر[٤] معقباً على قوله «لا يأتيك منا رجل» فمفهومه أن النساء لم يدخلن . كما دل على ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان «أن المشركين قالوا للنبي (ﷺ): رد علينا من هاجر من نسائنا ، فإن شرطنا أن من أتاك منا أن ترده علينا . فقال: كان الشرط في الرجال ولم يكن في النساء »[٥] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٦٢

(٢) روح المعاني: ٢٨/ ٧٧ ، وانظر التفسير الكبير للفخر الرازى : ٢٩/ ٣٠٥ .

(٣) في الصحيح . كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب : ٥/ ٣٣١ (من فتح الباري) .

(٤) فتح البارى : ٩/ ٤١٩ .

(٥) ذكره ابن حجر في فتح الباري: ٩/ ٤١٩ ، وانظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٨٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨/ ٦١ ، التفسير الكبير للفخر الرازي: ٢٩/ ٣٠٥ .

وعلى هذا القول لا يكون هناك ثمة ارتباط بين الآية والشرط . فلا تخصيص ولا نسخ ولا موافقة . وإنما أفادت الآية حكماً جديداً مستقلاً .

مناقشة الأقوال السابقة :

القول الأول : بعد النظر في الأقوال السابقة يتضح – والله أعلم – أن الرأي الأول القائل بأن الشرط كان عاماً يشمل الرجال والنساء هو أرجح الأقوال لما يأتي:

١- تأيده بالروايات التى أفادت العموم . وهي رواية البخارى السابقة والتي اشتملت على لفظة «أحد» . وبراوية مسلم[١] في بيان شرط الصلح التي وردت بصيغة العموم وهي: « . . فاشترطوا على النبي (ﷺ) أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال: نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً» وبالروايات السابق ذكرها عند ذكر القول بالعموم .

٢- تأيده بتفسير عروة بن الزبير للآية وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ فقال: «إن رسول الله (ﷺ) » كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله (ﷺ) وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله (ﷺ) النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذي يردون عليهم إن هم فعلوا ولولا الذي حكم به الله من

---

(١) في الصحيح . كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحديبية : ١٢/ ١٣٩ .

هذا الحكم لرد رسول الله (ﷺ) النساء كما رد الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء، ولم يردد لهن صداقاً، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد»(١).

فهذا التفسير لعروة بن الزبير يدل على أن نص الصلح كان بلفظ عام يشمل الرجال والنساء وأن رسول الله (ﷺ) كان سيرد النساء كما رد الرجال لولا نزول الاية التي حكمت بحرمة العلاقة بين المهاجرة المسلمة وزوجها المشرك ولاسبيل لتنفيذ هذا الحكم إلا بالإبقاء على المهاجرات وعدم إرجاعهن إلى الكفار إضافة إلى صريح نص الآية: «فلا ترجعوهن إلى الكفار» فخصصت الآية السنة وأخرجت النساء من المعاهدة وأبقت الشرط في الرجال. وتخصيص القرآن للسنة أمر معلوم(٢).

أما من قال بأن الصلح كان عاماً ثم نسخ منه النساء، فليس بينه وبين القول بالتخصيص اختلاف جوهري، بل هو اختلاف لفظى فما سماه ابن كثير وابن العربى

---

(١) السيرة لابن هشام: ٢/ ٣٢٦-٣٢٧ و رواه ابن هشام عن ابن اسحق مصرحاً بالتحديث.

(٢) من أمثلة ذلك:

١ - قولة (ﷺ) «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاالله» خص بقوله «حتى يعطوا الجزية» الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين الأسيوطي الشافعي وبهامشه إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني: ٢/ ١٨ «بيروت: دار الفكر». والحديث أخرجه: البخاري في الصحيح. كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة: ٣/ ٢٦٢ (من فتح الباري). صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله: ١/ ٢٠٦. سنن النسائي. كتاب الجهاد: باب وجوب الجهاد: ٦/ ٤-٥.

٢- قوله (ﷺ) «فما قطع من حي فهو ميت» خص بقولة تعالى ﴿ ومن أصوافها وأوبارها ﴾ الإتقان للسيوطى: ٢/ ١٨. والحديث أخرجه ابن ماجة في السنن. كتاب الصيد: باب ماقطع من البهيمة وهي حية: ٢/ ١٠٧٣.

٣ - قوله (ﷺ): «لاتحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى» خص بقولة تعالى: ﴿والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ﴾ الإتقان للسيوطي: ٢/ ١٨. والحديث أخرجة أبو داود في السنن. كتاب الزكاة: باب ما يعطى من الصدقة وحد الغنى: ٥/ ٤٢.

تخصيصاً سماه جمهور الأحناف نسخاً[١] . يشهد لذلك قول ابن كثير[٢] في تعقيبه على رواية الصلح العامة «وعلى هذه الرواية فالآية مخصصة للسنة، وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة » .

القول الثاني: أما الرأي القائل بدخول النساء لفظاً في شرط الصلح فإني لم أعثر فيما رجعت إليه من كتاب التفسير والسنة والسيرة على سند يعزو هذا القول إلى قائله، ولم يذكر من حكاه ما يدل على ثبوته . كما أنه يخالف صريح رواية البخاري التي ذكرت أن شرط الصلح كان عاماً وهي: «لايأتيك منا أحد » .

القول الثالث: أما الرأي القائل بوجود شرط خاص بالنساء ينص على رد المهاجرة الكافرة وإبقاء المهاجرة المسلمة في مقابل تعويض زوجها الكافر، فيتضح ضعفه لما يلي:

١- أن رواية البخاري[٣] الواردة في هجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي

---

(١) « يرى الجمهور أن صرف العام عن عمومه وقصره على بعض أفراده يعتبر تخصيصاً مطلقاً سواء أكان الدليل الصارف له عن العموم مستقلاً أم غير مستقل ، وسواء أكان موصولاً بالعام يعني مذكوراً عقبه أم منفصلاً عنه إلا أنه إذا كان منفصلاً عن العام فإنه يشترط فيه ألا يتأخر وروده عن العمل بالعام فإن تأخر وروده عن العمل به كان نسخاً للعام لاتخصيصاً له . ولهذا كان التخصيص عندهم هو صرف العام عن عمومه .وقصره على بعض ما يتناوله من الأفراد لدليل يدل على ذلك ، ويسمى هذا الدليل بالمخصص . أما الحنفية فإنهم يرون أن صرف العام عن عمومه وقصره على بعض أفراده لايسمى تخصيصاً إلا إذا كان الدليل الصارف له عن العموم مستقلاً عن النص المشتمل على العام ومقارناً للعام في النزول . أما إذا كان الدليل مستقلاً ولكنه غير مقارن للعام ، فلا يسمى قصر العام على بعض أفراده تخصيصاً بل نسخاً » «لأن المخصص مبين للعام ولكنه بيان تغيير » وبيان التغيير لايجوز تراخيه، بخلاف النسخ فإنه وإن كان بياناً ولكن بيانه بيان تعديل وهذا لايكون إلا متراخياً » . أصول الفقه الإسلامي . زكي الدين شعبان ص ٣٣٠ -٣٣٣ ، ط ٣ (بيروت: دار العلم) . أصول الفقه، عباس متولي حمادة ص٤٤٣ -٥٢٤ ط ٢ (مصر : دار التأليف) .

(٢) تفسير القرآن : ٤/ ٣٥٠ .

(٣) في الصحيح . كتاب الشروط: باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة : ٥/ ٣١٢ (من فتح الباري) .

معيط[١] التي هاجرت بعد الصلح ، نصت على أن رسول الله (ﷺ) لم يرجعها إلى الكفار بسبب نزول الآية التي تمنع ذلك . والرواية هي: «... وجاءت المؤمنات مهاجرات ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ممن خرج إلى رسول الله (ﷺ) يومئذ وهي عاتق[٢] فجاء أهلها يسألون النبى (ﷺ) أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ .

فنصت الرواية على أن السبب في عدم رد المهاجرة هو حكم الله تعالى وليس ما ورد فى الصلح بشأن النساء . إذ لو كان الشرط بهذه الصورة لم يكن السبب فى إبقائهن ما حكمت به الآية ، بل يكون الموجب لقبولهن وإبقائهن هو شرط الصلح ، وهذا مخالف لصريح رواية البخاري التي نصت على أن عدم رد المهاجرة كان بسبب نزول الآية .

٢- ثبت في رواية هجرة أم كلثوم السابقة وفي غيرها من الروايات[٣] مطالبة الكفار لرسول الله (ﷺ) برد المهاجرات ، ولو كان شرط الصلح على الصورة المذكورة لكانت مطالبتهم منافية لشرط الصلح ولا معنى لها حينئذ لأن الإبقاء على المهاجرة تم بموجب الشرط . وعلى ذلك فإن مطالبة الكفار برد المهاجرات أمر ينفي أن يكون الشرط بشأن النساء كان على الصورة المذكورة .

---

(١) أم كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس القرشية الأموية . أمها أروى بنت كريز بن ربيعة ، فأم كلثوم أخت عثمان بن عفان لأمه . أسلمت بمكة قديماً . هاجرت إلى المدينة ماشية عام الحديبية ، فسار أخواها خلفها ليرداها فمنعها الله تعالى . لما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة ، فقتل عنها ، فتزوجها الزبير بن العوام ثم طلقها ، فتزوجها عبد الرحمن بن عوف ومات عنها ، فتزوجها عمرو بن العاص وماتت عنده . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٣٨٦-٣٨٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٩١ .

(٢) أي بلغت واستحقت التزويج . فتح البارى لابن حجر : ٧/ ٤٥٤ . وقال القسطلاني : هي شابة أول بلوغها الحلم . ارشاد الساري: ٤/ ٤٣٢ .

(٣) سيأتى الحديث عن مطالبة المشركين برد النساء المسلمات المهاجرات عند الحديث عن هجرة المرأة بعد الصلح .

القول الرابع : أما الرأي القائل بعدم دخول النساء في شرط الصلح فيتبين ضعفه لما يلي:

١- أن الروايتين اللتين وردتا في البخاري وهي رواية: «لا يأتينك منا رجل» ورواية «لا يأتينك منا أحد» كلتاهما من رواية مروان بن الحكم والمسور بن مخزمة ، والروايتان من قبيل المرسل لأن مروان لم يسمع من النبي (ﷺ) وليس له صحبة . أما المسور فصح سماعه منه لكنه قدم مع أبيه وهو صغير بعد الفتح وكانت القصة قبل ذلك بسنتين [١] . وقد سمع المسور ومروان من جماعة من الصحابة شهدوا هذه القصة [٢] . فرواية المسور مرسل صحابي ورواية مروان مرسل تابعي إلا أن الراوية التي نصت على العموم وهي راوية «لايأتيك من أحد» ، قد تأيدت بروايات أخرى تفيد العموم ممن شهدوا هذا الصلح مثل البراء بن عازب [٣] الذي روى عنه البخاري شرط الصلح بلفظ العموم . ففي صحيح البخارى[٤] عن البراء بن عازب قال: «صالح النبي (ﷺ) المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء : على أنه من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه . . . . الحديث » .

ومثل سلمة بن الأكوع[٥] الذي شهد الصلح وروى عنه الطبرى في

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر :٥/ ٣١٣ .

(٢) المرجع السابق : ٥/ ٣٣٣ .

(٣) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي . أول من شهد أحد وقيل الخندق . غزا مع رسول الله أربع عشرة غزوة . كان البراء يقول أنا الذي أرسل معه النبي (ﷺ) السهم إلى قليب الحديبية فجاش بالري . شهد البراء مع علي الجمل وصفين والنهروان . ونزل الكوفة وابتنى بها داراً ومات أيام مصعب بن الزبير . انظر أسد الغابة لابن الأثير :/: ٢٠٥-٢٠٦ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ١٤٢-١٤٣ .

(٤) صحيح البخاري . كتاب الصلح : باب الصلح مع المشركين : ٥/ ٣٠٤ (من فتح الباری) .

(٥) سلمة بن الأكوع واسم الأكوع سنان بن عبد الله بن قشير الأسلمي . كان سلمة ممن بايع تحت الشجرة مرتين . روى إنه قال بايعت رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية على الموت . سكن المدينة وتوفي سنة أربع وسبعين بالمدينة انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢/ ٢٧١-٢٧٢ . الإصابة لابن حجر : ٢/ ٦٦-٦٧ ،=

تفسيره[١] شرط الصلح بلفظ العموم .

كما تأيدت رواية العموم بما روي عن كاتب الصلح نفسه وهو علي بن أبي طالب[٢] . حيث روى عنه الطبراني في تاريخه[٣] شرط الصلح بلفظ العموم . ومادام الصلح قد كتب فلابد أن أحد النصين هو الذى أثبت . ورأينا كيف ترجح النص الذي يفيد العموم بدليل رواية كاتب الصلح ومن شهده فدل ذلك على أن رواية (لايأتيك منا رجل) قد رويت بالمعنى ؛ لأن رواية العموم تأيدت بما ذكر . والله أعلم .

ب ـ إن اختصاص المهاجرات بعد الحديبية بالامتحان يرجع – والله أعلم – إلى وجود العهد الذى بين المسلمين والمشركين في رد المهاجرين رجالاً ونساء فكان قبول المرأة وإستثناؤها من الرد مشروطاً بالامتحان . بحيث إذا حلفت المرأة على الإيمان لاترد فكان هذا الامتحان في مقابل خروج النساء من العهد ولو لم تكن النساء داخلات في الصلح مع الرجال لما كان لهن هذه الخاصية – وهي الامتحان – عن المهاجرات قبل ذلك .

ج – ممايرجح أن النساء كن داخلات في الصلح أن الله عز وجل أمر برد صداق المهاجرة إلى زوجها الكافر . ولو لم تكن المرأة داخلة في الصلح لما لزم المسلمين تعويض الكفار ، إذ يكون مجيء المرأة أمراً خارجاً عن شروط الصلح . فكان التعويض في مقابل خروج النساء من العهد كما قال عروة بن الزبير «ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه

=وكان ممن شهد الحديبية وممن بايع يومئذ . انظر صحيح البخاري: كتاب الجهاد : باب البيعة في الحرب أن لايفروا :٦/ ١١٧ (من فتح الباري) . انظر صحيح البحارى : كتاب الأحكام : باب من بايع مرتين : ١٣/ ١٩٩ (من فتح الباري) .

(١) جامع البيان : ٢٦/ ٦٠-٦١ .

(٢) الذى كتب الصلح هو على بن أبى طالب : انظر صحيح البخارى . كتاب الصلح : باب كيف يكتب «هذا ما صالح عليه فلان بن فلان فلان بن فلان» وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه: ٥/ ٣٠٤ (من فتح الباري) .

(٣) تاريخ الطبري: ٢/ ٦٤٠ .

وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردد لهن صداقاً وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد[١] .

وإلى ذلك ذهب الشافعي فقال[٢]: «وإنما ذهبت إلى أن النساء كن في صلح الحديبية بأنه لو لم يدخل ردهن في الصلح لم يعط أزواجهن فيهن عوضاً والله أعلم» .

وقال ابن العربي[٣] : «أمر الله تعالى إذا أمسكت المرأة المسلمة أن ترد على زوجها ماأنفق وذلك من الوفاء بالعهد لأنه منع من أهله بحرمة الإسلام ، أمر الله سبحانه أن يرد إليه المال حتى لايقع عليهم خسران من الوجهين: الزوجة ، و المال » .

وانتهى من هذه المناقشة إلى ترجيح القول الأول القائل بعموم الشرط وأنه شامل للرجال والنساء ، ثم خصص العموم وأخرجت النساء من المعاهدة ، لما تدعم به من الأدلة الواضحة . والله أعلم . وتجدر الإشارة إلى أن الإبقاء على المهاجرات قد تم بأحد أمرين .

الأول : ـ نزول الآية الكريمة التي منعت من رد المهاجرات إلى الكفار وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ومما يدل على ذلك ماأخرجه البخاري[٤] في هجرة أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط «فجاء أهلها يسألون النبي (ﷺ) أن يرجعها إليهم ، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن» إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن – إلى قوله – ولاهم يحلون لهن » . كذلك قول عروة بن الزبير «ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله (ﷺ) النساء كما رد

---

(١) السيرة لابن هشام : ٢/ ٣٢٧ .

(٢) أحكام القرآن للشافعي : ٢/ ٧١-٧٢

(٣) أحكام القرآن : ٤/ ١٧٨٧ ، انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨/ ٦٤ .

(٤) سبق تخريجه ص ١١٧ من الرسالة .

الرجال»[١] . قال الشافعي[٢] «فرض الله عز وجل عليهم أن لايردوا النساء، وقد أعطوهم: رد من جاء منهم، وهن منهم ، فحبسهن رسول الله (ﷺ) بأمر الله عز وجل» .

الثانى: أن الإبقاء على المهاجرات كان باجتهاد من النبي (ﷺ) أقره عليه الوحي .

قال ابن العربي[٣]: «وكان ذلك (أى إمساك النبى المهاجرات) من المعجزات إلا أن الله قبض ألسنتهم عن أن يقولوا غدر محمد حتى أنزل الله ذلك في النساء . وذلك إحدى معجزاته» . وقد ذكر هذا الرأي بعض المفسرين الذين لم يجوزوا نسخ السنة بالقرآن فقالوا إن امتناعه من رد النساء كان باجتهاد منه أي من قبيل نسخ السنة بالسنة ووردت الآية مقررة لفعله[٤] .

والذي تقويه الأدلة هو الأمر الأول .

وسواء أنزلت الآية ابتداء أم اجتهد رسول الله(ﷺ) وأقره الوحى، فالنتيجة واحدة وهي أن النبي (ﷺ) لم يسمح برد المهاجرة المسلمة إلى أوليائها الكفار . والحكمة فى الإبقاء على النساء أنهن أرق قلوباً وأقل صبراً على تحمل الأذى، وأشد فتنة من الرجال .

يقول ابن العربي[٥] المعنى الذي لأجله لم ترد النساء وإن دخلن في عموم الشرط «وفى ذلك قولان أحدهما : لرقتهن وضعفهن .

الثاني: لحرمة الإسلام ويدل عليه قوله «لاهن حل لهم، ولاهم يحلون لهن» .

---

(١) السيرة لابن هشام : ٢/ ٣٢٧ ، انظر السنن الكبرى للبيهقي: ٩/ ٢٢٩ .
(٢) أحكام القرآن: ٢/ ٦٧ .
(٣) أحكام القرآن: ٤/ ١٧٨٦ .
(٤) انظر روح المعانى للألوسي: ٢٨/ ٧٧ .
(٥) أحكام القرآن : ٤/ ١٧٨٧ .

والمعنيان صحيحان . ويجوز أن يعلل الحكم بعلتين» .

وذهب إلى مثل ذلك ابن قدامة[١] فقال في بيان العلة في مفارقة المرأة الرجل في الرد: وتفارق المرأة الرجل من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أنها لاتأمن من أن تزوج كافراً يستحلها أو يكرهها من ينالها وإليه أشار الله تعالى بقوله: «لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن » .

الثاني: أنها ربما فتنت عن دينها لأنها أضعف قلباً وأقل معرفة من الرجل .

الثالث : أن المرأة لايمكنها في العادة الهرب والتخلص بخلاف الرجل » .

المطلب الثالث: هجرة المرأة بعد الصلح :

لم يكن ما ورد في الصلح مانعاً للمرأة المسلمة من الهجرة إلى المدينة بل خرجت نساء مؤمنات بعد الصلح مهاجرات إلى الله ورسوله . منهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وسبيعة الأسلمية[٢] وسعيدة [٣]وأميمة بنت بشر من بني عمرو بن عوف[٤] وغيرهن .

ولما هاجرت النساء المؤمنات لحق بهن أولياؤهن الكفار يطالبون بإرجاعهن بناء على الشرط الذي ورد في الصلح ، فأنزل الله تعالى فيهن آيات بينات[٥] تأمر بامتحانهن

---

(١) المغني: ٨/ ٤٦٦ .

(٢) سبيعة الأسلمية هاجرت إلى رسول الله (ﷺ) بعد صلح الحديبية ولحق بها زوجها مسافر المخزومي وكان مشركاً فمنع رسول الله ردها وامتحنها ورد على زوجها مهر مثلها وتزوجها عمر بن الخطاب انظر الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٢٤-٣٢٥ ، فتح الباري: ٥/ ٣٤٨ .

(٣) سعيدة : غير منسوبة زوج أبي صيفي بن الراهب . كانت من الأنصار . كان أبو صيفي خرج من المدينة مغاضباً لأهلها لما دخلوا في الإسلام فأقام بمكة حيناً فخرجت امرأته سعيدة مهاجرة إلى المدينة في أيام الهدنة . فسألوا رسول الله أن يردها إليهم ، فأنزل الله آية الامتحان وامتحنها رسول الله (ﷺ) . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٤٢ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٢٨ .

(٤) أميمة بنت بشر من بني عمرو بن عوف . كانت تحت حسان بن الدحداحة ففرت منه وهو كافر يومئذ فزوجها النبي سهل بن حنيف ، انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٢٥ ، الإصابة: ٤/ ٢١٩ .

(٥) انظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٢١١ .

وعدم إرجاعهن إلى الكفار وهي قول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٖ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٞ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾[١] .

فأمر الله عزوجل عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحونهن بما يظهر عليهن من الإيمان إذ الله أعلم بالسرائر . فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار ؛ لأن الله لم يحل مؤمنة لكافر ولا نكاح مؤمن لمشركة ، وأمر الله تعالى بأن يرد على زوج المهاجرة ما أنفق من صداق[٢] . وأباح للمؤمنين الزواج بالمهاجرات المسلمات إذا انقضت عدتهن[٣] بشرط دفع المهر إليهن[٤] .

كما حرم على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين له بمكة[٥] . ثم أمر الله تعالى المسلمين بأن يطالبوا الكفار بما

---

(١) سورة الممتحنة آية (١٠-١١) .

(٢) «لا يؤدي أحد نفقة في امرأة فاتت إلا ذوات الأزواج » أحكام القرآن للشافعي: ٢/ ٦٩ . يقول القرطبي «ولا غرم إلا إذا طالب الزوج الكافر ، فإذا حضر وطالب منعناها وغرمنا ، فإن كانت ماتت قبل حضور الزوج لم نغرم المهر إذ لم يتحقق المنع . . . وقال مقاتل: يرد المهر الذى يتزوجها من المسلمين فإن لم يتزوجها من المسلمين أحد فليس لزوجها الكافر شيء . وقال قتادة : الحكم في رد الصداق إنما هو في نساء أهل العهد فأما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد إليهم الصداق ، والأمر كما قاله» . الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٦٤-٦٥ .

(٣) «دلت السنة على أن قطع العصمة إذا أنقضت عددهن ، ولم يسلم أزواجهن من المشركين » أحكام القرآن للشافعي : ٢/ ٦٨ .

(٤) يقول الألوسي: « . . أن هناك إيتاء للأزواج وإيتاء إليهن فلا يقوم ما أوتي إلى الأزواج مقام مهورهن بل لابد مع ذلك من إصداقهن . . . يبين إليهم أن ما أعطي لأزواجهن لا يقوم مقام المهر ، وهو الأصح في الحكم » روح المعاني: ٢٨/ ٧٧ .

(٥) هما قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية ابن أبي سفيان وهما على شركهما ، وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعي فتزوجها أبو جهم بن حذيفة وهما على شركهما . انظر صحيح البخاري . كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب: ٥/ ٣٣٣ (من فتح الباري) تفسير القرآن لابن كثير: ٤/ ٣٥١ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨/ ٦٥ .

أنفقوا على أزواجهم اللاتي يذهبن إليهم ، إن ذهبن ، وأن يعطوا للكفار مهر أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين(١) . وأقر المسلمون بذلك وأبى الكفار أن يقروا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم فحكم الله إن لحق أحد من أزواج المؤمنين بالكفار ، ولزم المسلمين أداء المهر كما لزم الكفار ، أن يعطي الذى ذهبت امرأته من مهر المهاجرة التي تزوجها المسلمون ولا يعطى لزوجها الكافر شيء ليكون قصاصاً(٢) ، وقيل أمر الله إن

---

(١) قال ابن العربي «قال المفسرون: كل من ذهب من المسلمات مرتدات من أهل العهد إلى الكفار » يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين إذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة : ردوا إلى الكفار مهرها وكان ذلك نصفاً وعدلاً بين الحالتين وكان هذا حكم الله مخصوصاً بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة بإجماع الأمة »أحكام القرآن : ١٧٨٨/٤ .

(٢) يقول الشافعي: «إذا فاتت امرأة مشرك أتتنا مسلمة قد أعطاها مائة في مهرها . وفاتت إمرأة مشركة إلى الكفار قد أعطاها (زوجها المسلم) مائة حسبت مائة المسلم بمائة المشرك فقيل : تلك العقوبة» أحكام القرآن ١٢/ ١٧ . قال الزهرى في قوله تعالى «فعاقبتم»: «العقب ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت إمرأته من الكفار . فأمر أن يعطى من ذهبت له زوج من المسلمين ما أنفق من صداق نساء الكفار اللائى هاجرن . ومانعلم أحداً من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها » صحيح البخاري: كتاب الشروط: باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب : ٥/ ٣٣٣ . (من فتح البارى) . وقال ابن حجر معقباً على قول الزهرى «ومانعلم أحداً من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها» : أراد بذلك الإشارة إلى أن المعاقبة المذكورة بالنسبة إلى الجانبين إنما وقعت فى الجانب الواحد ، لأنه لم يعرف أحداً من المؤمنات فرت من المسلمين على المشركين بخلاف عكسه » فتح الباري: ٥/ ٣٥٢ . وروى ابن أبي حاتم من طريق الحسن أن أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت وفرت من زوجها عياض بن شداد فتزوجها رجل من ثقيف ولم يرتد من قريش غيرها ولكنها أسلمت بعد ذلك مع ثقيف حين أسلموا » فتح الباري: ٥/ ٣٥٢ . وأراد ابن حجر التوفيق بين قول الزهرى وما رواه ابن أبى حاتم على تقدير ثبوته ، بأنه إما أن تكون أم الحكم لم تكن هاجرت من قبل (الفتح ٥/ ٣٥٢) وإما أن أم الحكم تستثنى من الحصر المذكور في قول الزهري .(الفتح ٩/ ٤٢٢) ويرجوعى إلى ترجمة أم الحكم في كل من أسد الغابة (٦/ ٣٢٠) والإصابة (٤/ ٤٤٣) لم أجد أنها ارتدت بعد إسلامها إنما الذي ذكر في ترجمتها أنها أسلمت يوم الفتح . وكانت ممن نزل فيها «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» فطلقها زوجها حينئذ . وهذا يشعر بأنها كانت مشركة أصلاً ولم تكن مسلمة ثم ارتدت . والله أعلم . وروى البخاري عن ابن عباس «كانت أم الحكم بنت أبي سفيان تحت عياض ابن غنم الفهري فطلقها . فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي» . في الصحيح كتاب الطلاق:باب نكاح من أسلم من المشركات: ٩/ ٤١٨ (من فتح الباري) . قال ابن حجر: «ظاهر سياقه أنها كانت عند نزوله قوله تعالى:(ولا تمسكوا بعصم الكوافر) مشركة =

=وأن عياض بن غنم فارقها لذلك فتزوجها عبدالله بن عثمان الثقفي فهذا أصح من رواية الحسن» ، الفتح: ٩/ ٤٢٢ ، يريد بذلك أن رواية البخاري أصح من رواية الحسن في أن أم الحكم ارتدت بعد إسلامها ، وعلى هذا فلا يكون ثمة حاجة إلى التوفيق الذي رآه ابن حجر بين قول الزهري ورواية ابن أبي حاتم إذ يترجح قول الزهري في عدم ارتداد أحد من المهاجرات لما سبق ذكره . والله أعلم .
أما ما رواه بعض العلماء مثل القرطبي في تفسيره (١٨/ ٧٠) والبدر العيني في عمدة القاريء: (١٣/ ٢٩١-٢٩٢) عن ابن عباس أن جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الإسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض الفهري وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان ، وعبدة بنت عبد العزى وزوجها عمرو بن ود . وهند بنت أبي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص وأم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب فأعطاهم رسول الله (ﷺ) مهور نسائهم من الغنيمة » . فالذي يظهر أن هذا النص ضعيف للأمور الآتية :

١ - لما تقدم بشأن أم الحكم بنت أبي سفيان من أنها كانت مشركة ولم تكن مسلمة ثم ارتدت .

٢ - لأن كلاً من فاطمة (والصواب قريبة) بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وأم كلثوم بنت جرول الخزاعي اللتين كانتا تحت عمر بن الخطاب كانتا أصلاً مشركتين بمكة ولم تكونا مسلمتين ثم أرتدتا يشهد لذلك ما ورد في صحيح البخاري « . .فأنزل الله » « . . ولا تمسكوا بعصم الكوافر » فطلق عمر أمرأتين كانتا له في الشرك » وصرح باسميهما في رواية أخرى بعدها وهما «قريبة بنت أبي أمية وابنة جرول الخزاعية» . كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد : ٥/ ٣٣٢-٣٣٣ . ولقول الزهري «فلما نزلت هذه الاية طلق عمر بن الخطاب أمرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة وأم كلثوم بنت عمرو ابن جرول الخزاعية » عمدة القاريء : ١٣/ ٢٩١ . إضافة إلى ما ورد في نص ابن عباس السابق «وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد أن يهاجر أبت» فهذا يدل على أنها كانت في مكة وأبت أن تهاجر حين هاجر عمر .

٣ - أن نص ابن عباس ذكر أسماء المرتدات وأسماء أزواجهن ثم قال عن أزواجهن «فأعطاهم النبي مهور نسائهم من الغنيمة » . بينما شماس بن عثمان أستشهد بأحد (انظر أسد الغابة : ٢/ ٣٧٦ ، الإصابة : ٢/ ١٥٥) . كما أن عمرو بن ود قتل بالخندق (فتح الباري : ٥/ ٣٨٤) وكل من أحد والخندق متقدمتان على الحديبية بسنوات . فكيف عوضهم رسول الله مهور نسائهم المرتدات وهم أموات ؟ .
يتضح مما سبق ضعف النص الذي روي عن ابن عباس القائل بارتداد المهاجرات وترجيح قول الزهري المخرج في البخاري بأنه لم يرتد من المهاجرات أحد إشارة - كما قال ابن حجر إلى أن المعاقبة وقعت من جانب واحد وتكون الآية: (وإن فاتكم شيء من أزواجكم) كما قال ابن حجر نزلت في المرأة المشركة إذا كانت تحت مسلم مثلاً فهربت منه إلى الكفار . وأيده بقول الزهري المخرج في البخاري «فلما أبى الكفار أن يقروا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم ، أنزل الله «وإن فاتكم شيء من أزواجكم » وفسر الزهري ذلك فقال «فلو ذهبت أمرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد=

لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أن يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة[١] . وهذا القول لا ينافي الأول . لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى ، وإلا فمن الغنائم التى تؤخذ من أيدى الكفار[٢] .

ومع اتفاق العلماء أن هذه الآيات الكريمات نزلت بشأن امتحان المهاجرات وعدم إرجاعهن إلى الكفار إلا أن أقوالهم تعددت في تحديد المهاجرة التي كانت سبباً في نزول الآية . ووردت عدة روايات في ذلك :

١- ما رواه البخاري[٣] بسنده من حديث مروان والمسور بن مخرمة وفيه « . .وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله (ﷺ) يومئذ وهى عاتق فجاء أهلها يسألون النبي (ﷺ) أن يرجعها فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ - إلى قوله - وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ .

٢- ما أخرجه الطبراني[٤] بسند صحيح عن عبدالله بن أبـــــــــي

=المؤمنون إلى زوجها النفقة التي انفق عليها من العقب الذي بأيديهم الذي امروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم الاتي آمن وهاجرن ، ثم ردوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقي لهم » . فتح الباري: ٩/ ٤٢٢ . والله أعلم بالصواب .

(١) يقول الجصاص «وهذه الأحكام فى رد المهر وأخذه من الكفار وتعويض الزوج من الغنيمة أو من صداق قد وجب رده على أهل الحرب منسوخ عند جماعة أهل العلم غير ثابت الحكم » أحكام القرآن: ٣/ ٤٤١ .

(٢) انظر : تفسير القرآن لابن كثير : ٤/ ٣٥٠-٣٥٢ ، روح المعاني للألوسي ٢٨/ ٧٥-٧٩ . أحكام القرآن لابن العربي: ٤/ ١٧٨٦-١٧٩٠ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨/ ٦٣-٧٠ . أحكام القرآن للشافعي: ٢/ ٦٧-٧٢ .

(٣) سبق تخريجه ص ١١٧ من الرسالة . انظر الصحيح المسند من أسباب النزول ، مقبل بن هادى الوداعي ص١٥٧ (الرياض: مكتبة المعارف) .

(٤) انظر مجمع الزوائد . كتاب التفسير: تفسير سورة الممتحنة : ٧/ ١٢٣ وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف ، وأورده السيوطي في أسباب النزول ص ٢١١ وقال: أخرجه الطبراني بسند صحيح .

أحمد(١) قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهدنة فخرج أخواها عمارة(٢) والوليد(٣) ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله(ﷺ) وكلماه في أن يردها إليهما . فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء ومنعهن أن يرددن إلى المشركين فأنزل الله آية الامتحان .

٣- ما روى عن ابن عباس أن مشركي مكة صالحوا رسول الله(ﷺ) عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى مكة من أصحابه فهو لهم وكتبوا بذلك الكتاب وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي (ﷺ) بالحديبية فأقبل زوجها وكان كافراً فقال يا محمد رد على امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله تعالى هذه الآية(٤) .

٤- ما أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب(٥) أنه بلغه أنها نزلت في أميمة

---

(١) هو عبدالله بن أبي أحمد بن جحش بن رئاب الأسدي بن خزيمة . أتى به النبي (ﷺ) لما ولد ، فسماه عبدالله له ولأبيه صحبه . كان أبوه من السابقين إلى الإسلام وممن هاجر إلى أرض الحبشة ومن أوائل الذين هاجروا إلى المدينة . وأبوه أخو زينب بنت جحش زوج النبي (ﷺ) . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٦٧ .

(٢) عمارة بن عقبة بن أبي معيط أخو الوليد بن عقبة ،أسلم يوم الفتح وبايع رسول الله (ﷺ) أقام بالكوفة وفيها عقبه . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٦٣٩ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٥١٦ .

(٣) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم يوم الفتح . فيه نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ ولاه عثمان على الكوفة ، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة . قيل شهد صفين مع معاوية وقيل لم يشهدها . أقام بالرقة إلى أن توفي بها . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ٦٧٥-٦٧٧ ، الإصابة لابن حجر : ٣/ ٦٣٧-٦٣٨ ، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطي ص ١٩٦ .

(٤) أسباب النزول للواحدي ص ٣١٧-٣١٨ ، انظر زاد المسير لابن الجوزى : ٨/ ٢٣٨ .

(٥) اسمه سويد الأزدي ، قال ابن سعد كان مفتي أهل مصر في زمانه ، وكان حليماً عاقلاً وكان أول من أظهر العلم بمصر والكلام فى الحلال والحرام ، قال ابن حجر ذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث . مات سنة ثمان وعشرين ومائة . انظر تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني : ١١/ ٣١٨-٣١٩ ، ط١ (بيروت: دار صادر) .

بنت بشر امرأة أبي حسان بن الدحداحة[١] .

٥- ما روي عن مقاتل أن امرأة تسمى سعيدة كانت تحت صيفي بن الراهب وهو مشرك من أهل مكة جاءت زمن الهدنة فقالوا : ردها علينا فنزلت[٢] .

٦- ما أخرجه البخاري[٣] وأحمد[٤] وعبد الرزاق[٥] من حديث قصة الحديبية وفيه «ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حتى بلغ بعصم الكوافر» .

٧- ما أخرجه ابن جرير عن الزهري أنها نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية وكان النبي (ﷺ) صالحهم أنه من أتاه منهم رده إليهم فلما جاءه النساء نزلت عليه هذه الآية[٦] . بينت الروايات السابقة أسماء المهاجرات اللاتي كن سبباً في نزول الآية فسمت الرواية الأولى والثانية من بين المهاجرات أم كلثوم، وسمت الرواية الثالثة سبيعة الأسلمية، والرابعة أميمة بنت بشر، والخامسة سعيدة ، بينما أطلقت الروايتان السادسة والسابعه فلم تحددا مهاجرة بعينها ، وليس بين هذا التعدد تعارض كما سيتضح إن شاء الله تعالى . وكما تعددت الروايات فى تحديد المهاجرة التي كانت سبباً في النزول تعددت أيضاً أقوال المفسرين في ذلك . فمنهم من نص على واحدة منهن، ومنهم من لم يحدد

(١) لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطي ص ٢١١ . واستبعد ابن الأثير أن تكون الاية نزلت في أميمة لأن بني عمرو بن عوف من الأنصار وهم بالمدينة وليسوا من المهاجرين حتى تنزل الآية في هذه المرأة . أسد الغابة : ٦/ ٢٥ ، وأجاب ابن حجر بقوله : لعل زوجها كان من غير الأنصار فنقلها إلى مكة مثلاً فكان حكمها حكم المهاجرات . الإصابة : ٤/ ٢٣٩ ، فتح الباري: ٣٤٨/٥ .

(٢) أسباب النزول للسيوطي ص٢١١ .

(٣) في الصحيح . كتاب الشروط . باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٥/ ٣٣٢ (واالفظ له)، (من فتح الباري) .

(٤) في المسند . كتاب السيرة النبوية . باب عمرة الحديبية: ٢١/ ١٠٠ (بنفس اللفظ) من الفتح الرباني .

(٥) في المصنف كتاب المغازي: غزوة الحديبية:٥ /٣٤٠، (بنفس اللفظ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ط٢ (بيروت : المكتب الإسلامي) .

(٦) تفسير الطبري: ٤٦/٢٨، انظر أسباب النزول للسيوطي ص ٢١١ .

مهاجرة بعينها ، ومنهم من اعتبر جميع المهاجرات سبباً في نزول الآية ، فذهب ابن كثير[١] إلى أن هجرة أم كلثوم كانت سبباً في نزول الآية . وذهب كل من الفخر الرازي[٢] وأبو السعود [٣] والجمل[٤] إلى أنها نزلت في سبيعة الأسلمية التى هاجرت إلى رسول الله (ﷺ) وهو بالحديبية فلحقها زوجها يريد إرجاعها .

وذكر القرطبي[٥] عدة أقوال فى سبب نزول الآية فذكر سبيعة وذكر أم كلثوم وذكر أميمة بنت بشر ، وسعيدة. ثم قال: والأكثر من أهل العلم أنها أم كلثوم بنت عقبة. وممن أورد هذه الأقوال أيضاً الألوسى[٦] وابن الجوزي[٧] . وجعل ابن العربي[٨] جميع المهاجرات بعد الصلح سبباً في نزول الآية وذكر منهن على سبيل المثال أم كلثوم وسبيعة ، وكذا الجصاص[٩] حيث أتى بحديث البخاري الذى ينص على مجيء المهاجرات في تلك الفترة ومن بينهن أم كلثوم بنت عقبة فأنزل الله فيهن جميعاً الآية .

بعد النظر فى الروايات السابقة ، وفى أقوال المفسرين يمكن استنتاج الأمور الآتية:

١- أن الروايات الواردة فى سبب نزول الآية الكريمة قد اتفقت على أن هجرة النساء بعد صلح الحديبية كانت السبب في نزول الآية إلا أنها اختلفت في تحديد المهاجرة التى كانت سبباً في النزول .

---

(١) تفسير القرآن : ٤/ ٣٥٠ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٩/ ٣٠٥ .

(٣) تفسير أبي السعود . المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . أبو السعود محمد بن محمد العمادي: ٨/ ٢٣٩ (بيروت: دار إحياء التراث العربي) .

(٤) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، أبو سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل: ٤/ ٣٢٩ (دار الفكر) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٦١ .

(٦) روح المعانى : ٢٨/ ٧٦-٧٧ .

(٧) زاد المسير: ٨/ ٢٣٨ .

(٨) أحكام القرآن : ٤/ ١٧٨٦ .

(٩) أحكام القرآن : ٣/ ٤٣٧ .

٢- أن سبب تعدد الروايات هو أن هجرة النساء فى تلك المدة كانت في أوقات متقاربة أثناء مدة الصلح سواء أكان قدومهن والنبى (ﷺ) بالحديبية أم بعد قدومه المدينة[١] .

٣- أن ما ذكرته بعض الروايات من تحديد مهاجرة بعينها لا يعتبر دليلاً على أن غيرها لم تكن سبباً في نزول الآية ، يشهد لذلك ما جاء في رواية البخارى التى في كتاب الشروط وهي أصح الروايات وفيها « . .وجاءت المؤمنات مهاجرات » فهذا يرشد إلى أن المهاجرات بعد الحديبية كن جميعاً سبباً في نزول الآية ولم تكن أم كلثوم إلا واحدة منهن ولذا جاء في نفس الرواية « . . . فلم يرجعها لما أنزل الله فيهن . .» ولم يقل «فيها» وكذا في الرواية الأخرى في الشروطِ أيضاً وفيها « . . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله . . .» وذكر الآية .

٤- والذي يظهر أن المهاجرات بعد الحديبية أثناء مدة الصلح يصلحن جميعاً لأن يكن سبباً في نزول الآية كما نصت على ذلك رواية البخاري وذهب إليه ابن العربى والجصاص وأنه لا مانع من تعدد أسباب النزول كما نص على ذلك الألوسي[٢] بعد أن أورد الروايات المختلفة فى بيان سبب النزول قال «ولعل سبب النزول متعدد » . والله أعلم .

المطلب الرابع: امتحان المهاجرات :

بعد أن نزلت الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ

(١) ليس في كل الروايات جزم بتحديد موعد قدوم كل مهاجرة ، ويتحمل أن تكون بعد الأخرى قدمت واحدة المهاجرات قدمن فنزلت الآية فيهن جميعاً أو تكون قدمت واحدة فنزلت الآية فانسحب الحكم على غيرها . ويحتمل أن بعض المهاجرات قدم والنبي (ﷺ) بالحديبية وبعضهن قدم وهو بالمدينة والله أعلم .

(٢) روح المعاني: ٢٨/ ٧٧ .

فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ۰۰ الآية ﴾ . أخذ رسول الله(ﷺ) يمتحن النساء[١] المهاجرات على هذا الإيمان فإذا أقررن بذلك بالدلائل والأمارات وغلب على الظن صدقهن – لأن حقيقة الإيمان لا يعلمها إلا الله – لم يرجعهن إلى الكفار .

وقد وردت روايات عديدة في بيان الألفاظ التي كان رسول الله(ﷺ) يمتحن بها المهاجرات ، منها :

ما أخرجه عبد الرزاق [٢]عن معمر عن قتادة قال كان النبي (ﷺ) يحلفهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام وحباً لله ورسوله (ﷺ) .

وما أخرجه الطبري[٣] عن ابن عباس قال كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدالله ورسوله فإذا علموا ان ذلك حق منهن لم يرجعوهن إلى الكفار .

وما أخرجه البزار[٤] عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ ﴾ . قال: كانت المرأة إذا جاءت النبى (ﷺ) حلفها عمر بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله .

وما روي أن ابن عباس سئل كيف كان رسول الله(ﷺ) يمتحن النساء ؟ قال : إذا أتته المرأة لتسلم أحلفها بالله ما خرجت لبغض زوجها وبالله ما خرجت اكتساب دنيا ، وبالله ما خرجت من أرض إلى أرض وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله[٥] .

---

(١) قال السهيلي: «هذا عند أهل العلم مخصوص بنساء أهل العهد والصلح » الروض الأنف: ٤/ ٣٦ .
(٢) في المصنف . كتاب أهل الكتاب: بيعة النساء : ٦/ ٨ .
(٣) في التفسير : ٢٨/ ٤٥ .
(٤) انظر مجمع الزوائد . كتاب التفسير : سورة الممتحنة : ٧/ ١٢٣ قال الهيثمي: رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقة شعبه والثورى وضعفه غيرهما وبقية رجاله ثقات .
(٥) انظر مجمع الزوائد . كتاب الجهاد : باب البيعة على الإسلام : ٦/ ٤٠ وقال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه قيس بن الربيع وثقة شعبة والثوري وضعفه وغيرهما . انظر تفسير الطبري: ٢٨/ ٤٤ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨/ ٦٢ ، زاد المسير : ٨/ ٢٤٠ .

وأخرج الطبرى [(١)] عن مجاهد نحو هذا ولفظه «سلوهن عما جاء بهن فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ولم يؤمن ، فارجعوهن إلى أزواجهن» .

كما أخرج [(٢)] من طريق قتادة «كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه فإذا قلن ذلك قبل منهن» .

وقد فسر كثير من المفسرين الإمتحان في قوله تعالى ﴿ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ﴾ بالروايات السابقة ، ومنهم من اقتصر عليها كابن كثير [(٣)] ، ومنهم من ذكرها وزاد عليها القول بأن الإمتحان كان على أركان بيعة النساء كالألوسي [(٤)] وابن العربي [(٥)] والقرطبي [(٦)] والجصاص [(٧)] . على أن ما صح من الأحاديث في امتحان النساء المهاجرات لم يتضمن شيئاً من ألفاظ التحليف السابقة ، بل نص على أن أمتحان المهاجرات كان بالمبايعة على أركان بيعة النساء .

فقد أخرج البخاري [(٨)] في كتاب الطلاق عن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي (ﷺ) قالت: «كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى النبى (ﷺ) يمتحنهن بقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾ . إلى آخر الآية . قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات فقد أقر بالمحنة ، فكان رسول الله(ﷺ) إذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله (ﷺ): انطلقن فقد بايعتكن . لا والله ما مست يد رسول

---

(١) تفسير الطبري : ٢٨/ ٤٤-٤٥ ، وانظر فتح الباري لابن حجر : ٩/ ٤٢٥ .
(٢) تفسير الطبري : ٢٨/ ٤٤-٤٥ ، وانظر فتح الباري لابن حجر : ٩/ ٤٢٥ .
(٣) تفسير القرآن: ٤/ ٣٥٠ .
(٤) روح المعاني : ١٠/ ٧٥-٧٦ .
(٥) أحكام القرآن : ٤/ ١٧٨٦-١٧٨٧ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٦٢ .
(٧) أحكام القرآن : ٢/ ٤٣٧ ، ٤٣٨ .
(٨) في الصحيح . كتاب الطلاق: باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي: ٩/ ٤٢٠ (من فتح الباري) .

الله(ﷺ) يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام ، والله ما أخذ رسول الله (ﷺ) على النساء إلا بما أمره الله ، يقول لهن إذا أخذ عليهن: قد بايعتكن كلاماً » .

كما أخرج البخاري[١] في كتاب الشروط عن عائشة «أن رسول الله (ﷺ) كان يمتحنهن (أي المهاجرات) بهذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ - إلى -غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال عروة قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله (ﷺ) «قد بايعتك» كلاماً يكلمها به ، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة وما بايعهن إلا بقوله» .

وفسر هذا الامتحان فى رواية البخارى[٢] في كتاب التفسير عن عروة أن عائشة «رضي الله عنها » زوج النبي (ﷺ) أخبرته أن رسول الله (ﷺ) كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ . قال عروة قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله (ﷺ): قد بايعتك، كلاماً. ولا والله ما مست يده يد امرأة قط فى المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: قد بايعتك على ذلك» .

وليس بين روايات التحليف السابقة، وروايات عائشة تعارض فيما امتحن عليه رسول الله (ﷺ) النساء. إذ لامانع أن يكون رسول الله (ﷺ) كان يمتحن النساء على سبب خروجهن بألفاظ التحليف ويبايعهن على ماتضمنه آية البيعة، أي أن التحليف

---

(١) في الصحيح . كتاب الشروط: باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة : ٥/ ٣١٢ (من فتح الباري) .

(٢) صحيح البخاري . كتاب التفسير: باب «إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات : ٨/ ٦٣٦ (واللفظ له) من فتح البارى . وأخرجه مسلم في الصحيح . كتاب الإمارة : باب كيفية بيعة النساء : ١٣/ ١٠ (بإختلاف في اللفظ) . سنن الترمذي . أبواب التفسير: سورة الممتحنة : ٩/ ٢٠٢-٢٠٣ (بإختلاف في اللفظ) ، (من تحفة الأحوذى) . مسند أحمد . كتاب فضائل القرآن وتفسيره: باب سورة الممتحنة : ١٨/ ٢٠٣ (باختلاف في اللفظ) ، (من الفتح الرباني) . سنن ابن ماجة . كتاب الجهاد: باب بيعة النساء: ٢/ ٩٥٩ (باختلاف في اللفظ) .

والمبايعة كانا يقترنان في قبول النبي (ﷺ) من تأتي من المهاجرات وذكر ابن حجر في شرحه لرواية عائشة التي في كتاب التفسير فقال «وفي هذا الحديث أن المحنة المذكورة في قوله «فامتحنوهن » هي أن يبايعهن بما تضمنته الآية المذكورة «أى آية البيعة» . ثم قال بعد أن ذكر ألفاظ التحليف السابقة:«ويمكن الجمع بين التحليف والمبايعة والله أعلم»(١) .

ومال البدر العينى إلى الجمع بين التحليف والمبايعة حيث قال في معنى قوله تعالى «فامتحنوهن»(٢) «أى فابتلوهن بالحلف » ثم قال فى قول عائشة «فمن أقر بالشرط»: «هو أن لايشركن بالله شيئاً ولايسرقن ولا يزنين» وقولها «فقد أقر بالمحنة» أى بالامتحان(٣) .

وفسر النووي الامتحان المذكور في حديث عائشة - الذي في كتاب التفسير - بالبيعة فقال: « معنى يمتحن : يبايعهن على المذكور في الآية ، أي آية البيعة »(٤) . وقال الكرماني(٥) مالمراد بالإقرار بالمحنة فأجاب بقوله «من أقر بعدم الإشراك ونحوه فقد أقر بوقوع المحنة » . ومما سبق يمكن استنتاج مايلى : -

١ - ليس هناك تعارض بين ألفاظ التحليف وأركان البيعة .

٢ - أن أحاديث عائشة التي فسرت الامتحان بالبيعة لم تنف وجود ألفاظ خاصة كان رسول الله(ﷺ) يحلف عليها المهاجرات وهي ألفاظ التحليف الواردة في الروايات السابقة .

٣ - أن روايات التحليف الواردة فيما كان يمتحن به رسول الله (ﷺ) المهاجرات ، وإن كانت لا ترقى إلى ما في الصحيح الذى ينص على أن الامتحان كان على أركان بيعة

---

(١) فتح الباري : ٨/ ٦٣٧ .

(٢) في شرحه للرواية التى في كتاب الطلاق .

(٣) عمدة القاريء : ٢٠/ ٢٧٤ ، وانظر: ١٩/ ٢٣١ .

(٤) شرح مسلم : ١٣/ ١٠ .

(٥) شرح البخاري : ١٩/ ٢٠٦ .

النساء ، إلا أن تعدد الطرق وكثرتها ، وتفسير المفسرين لمعنى الامتحان بها ، أمر يقوي هذه الروايات ، فلا مانع من أن يكون رسول الله (ﷺ) كان يحلف المهاجرات على سبب خروجهن ، فإذا حلفن بايعهن على شرائع الإسلام وهى ألا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه ولا يعصين فى معروف .

٤ – أن نزول آية البيعة بعد فتح مكة على رأي بعض المفسرين [١] ، أمر لا ينفي أن يكون رسول الله(ﷺ) قد بايع النساء المهاجرات بعد الحديبية على ماتضمنته الآية الكريمة من أركان قبل نزولها إذ لامانع أن يكون الآية نزلت بعد ذلك موافقة لرسول الله (ﷺ) كما نزل القرآن في بعض آياته موافقاً لكلام عمر بن الخطاب [٢] .

وعلى هذا فالجمع بين التحليف والمبايعة أولى من ترجيح أحدهما على الآخر لعدم وجود تعارض بينهما . والله أعلم .

الغاية من امتحان المهاجرات: يمكن القول أن امتحان المرأة المهاجرة كان تأكيداً على السبب الذي دفعها إلى الخروج من موطنها والغاية التي تنشدها من هجرتها ، حتى لا يخالط ذلك شيء من نوازع المرأة الفطرية ، التي يمكن أن تكون سبباً في هجرتها . فكان هذا الامتحان عهداً واعلاناً من المرأة بأن هجرتها قائمة على الإخلاص لله عز وجل . وبأن الإيمان هو الدافع الوحيد الذي أخرجها من مكة إلى المدينة . لتحقيق هدف أسمى من كل المطالب الدنيوية التي يمكن أن تضحي المراة من أجل تحقيقها أو أن تتخذ الهجرة مطية للوصول إليها .

---

(١) انظر تفسير القرآن لابن كثير : ٤/ ٣٥٤ ، روح المعانى للألوسي: ١٨/ ٨١ ، ونسباه إلى مقاتل بن حيان . وقال الألوسي « والمبايعة وقعت غير مرة ، ووقعت فى مكة بعد الفتح وفي المدينة» ، والفتوحات الالهية للجمل: ٤/ ٣٣٢ . تفسير أبي السعود : ٨/ ٢٤٠ . عمدة القارىء : ١٣/ ٢٩٢ .

(٢) وقد أشار إلى مثل ذلك صاحب الفتح الربانى في شرحه لحديث مبايعة رسول الله (ﷺ) لنساء الأنصار عند قدومه المدينة بأركان آية البيعة التي نزلت بعد ذلك : فقال « وليس هذا عجيب فإن بعض القرآن نزل بموافقة عمربن الخطاب في أمور من الأحكام » الفتح الرباني: ٢١/ ١٢ .

ولعل من حكم امتحان المهاجرات بعد الصلح وعدم امتحانهن قبله – إضافة إلى ما سبق ذكره من دخولهن في شروط الصلح – أن الدافع إلى الهجرة في بدايتها كان الإيمان بالله تعالى والرغبة في عبادته وفي نشر الدين وإقامة دولة الإسلام، فالغالب على النوايا في ذلك الوقت الصحة والسلامة من الشوائب؛ لأن المصير في المدينة مجهول والخطر محدق بالمهاجرين من كل مكان، فلم يكن شيء من مغانم الدنيا يغري المهاجرات بالهجرة إليها بل لقد تركن ورائهن الوطن والأهل والمال وضحين بكل مقومات الاستقرار التي تنشدها المرأة، أما بعد صلح الحديبية فقد قويت شوكة المسلمين في المدينة وقامت دولة الإسلام وانتصر النبي (ﷺ) على أكثر أعدائه وكثر عدد المسلمين وتعددت دوافع الهجرة فكانت الحاجة ماسة إلى امتحان المهاجرات ومبايعتهم حتى يكن أهلاً لاستثنائهن من الرد إلى الكفار وأهلاً للإنضمام إلى الجماعة المسلمة المهاجرة في المدينة. والله أعلم.

وفي امتحان المهاجرات إشارة إلى مكانة المرأة في الإسلام وكونها عنصراً مكملاً للرجل في بناء المجتمع المسلم، لما لها من دور عظيم في التأثير على أفراده إذ بصلاحها يصلح المجتمع. فلو لم يكن للمرأة دور في بناء المجتمع وتربية أبنائه على الإيمان والفضيلة ونصرة دين الله لما أحتيج إلى أخذ الميثاق منها بأن تحلف أن ما دفعها إلى الخروج إلا الإيمان بالله تعالى وأن تبايع على الالتزام بشرع الله عز وجل. فإنها وهي والمربية والمؤثرة الأولى في أبنائها إذا بايعت على عدم الإشراك بالله فإنما تعلن بذلك اعتناقها عقيدة التوحيد الخالصة فتنشيء في نفوس أبنائها عقيدة صحيحة تبنى عليها سائر الطاعات. وإذا بايعت على عدم السرقة إنما تلزم نفسها بالقيام بالأمانة والبعد عن الخيانة بشتى صورها لتكون القدوة الصالحة لأبنائها فينشأ المجتمع خالياً من الغش والخداع يسوده الأمن والأمان. وإذا بايعت على الابتعاد عن الزنا فإنما توجب على نفسها حفظ فرجها وحماية أسرتها وصيانتها من اختلاط الأنساب فيخلو المجتمع من كل أسباب الفساد والانهيار والضياع ويحفظ من جميع الأضرار التي تترتب على وقوع جريمة

الزنا وإذا أعطت العهد على عدم قتل الأولاد كان ذلك عزم وتصميم منها على حفظ النسل ورعايته وتربيته على الإيمان بالله والجهاد في سبيله وإذا بايعت على الترفع والنزاهة عن أن تأتي ببهتان بين يديها ورجليها كان ذلك عهداً منها بأن تكون جميع أعمال يديها ورجليها وفق شرع الله تعالى .

يقول محمد قطب[١] في بيان أثر ذلك على المجتمع: «ومسؤولية المرأة في الالتزام بعدم البهتان والافتراء كبيرة وعميقة وأصيلة لأنها الإطلالة الأولى على الولد (الابن والبنت) والمؤثر الأول في تكوين معالم شخصيته والرائد الموجه له ومدرسته الأولى فإن كانت فى (حركة) يديها ورجليها مؤثرة للخير ماضية نحو الفضيلة أفرزت للمجتمع أنماطاً خيرين ، وإن كانت غير ذلك فالنتيجة الحتمية سريان السم إلى قلب المجتمع وخمود نبضه عن الحركة » .

وأخيراً عندما تبايع على عدم العصيان في كل معروف فإن هذا الإطلاق يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات والبعد عن المنكرات فتحقق السعادة والأمن والعفة لأفراد المجتمع . وبهذه الملامح كلها تتشكل شخصية المرأة المهاجرة لتكون النور الذى يهتدى به أبناؤها وأهلها فمن هاجرت من موطنها وتركت ذويها وتحدت بإيمانها جبروت الأهل وسلطانهم ونظام المجتمع وأوضاعه فخرجت رغم أنوفهم، ومن استطاعت أن تصمد وقت الامتحان وتعلن للملأ أن هجرتها كانت حباً لله ورسوله ، من فعلت ذلك فهي جديرة بأن تكون أعظم مدرسة تخرج أعظم الرجال .

المطلب الخامس: أبرز المهاجرات بعد الصلح :

هاجر من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية الكثير من النساء المؤمنات . كان من أبرزهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[٢] التي أفصل القول في هجرتها كنموذج

(١) بيعة النساء ، محمد علي قطب ص٨٧ (مكتبة القرآن) .

(٢) سبقت ترجمتها ص١١٧ من الرسالة .

للمهاجرات في هذه الفترة، لما اكتنف هجرتها من صعوبات ولسنها المبكرة حين هاجرت. أسلمت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ورسخ الإيمان في قلبها وسط أسرة كافرة ممعنةفى الضلال والغواية مسرفة في تعذيب المؤمنين حيث عرفت أسرتها بالعداء لله ولرسوله (ﷺ) فأبوها عقبة بن أبي معيط كان من أشد الناس عداوة لرسول الله (ﷺ) وإيذاء للمسلمين فهو الذى خنق رسول الله (ﷺ) خنقاً شديداً في جمهرة من قريش، وهو الذى وضع سلا الجزور على ظهر رسول الله (ﷺ) وهو ساجد عند الكعبة، واستحكم عداء الدين في قلبه فتعددت صور إيذائه للدعوة وأصحابها. ولم يكن موقف أم كلثوم من الدين الجديد كموقف أسرتها وقومها بل سارعت إلى الدخول في الإسلام وتجاوزت بإيمانها حواجز الكفر، وانطلقت مهاجرة إلى قاتل أبيها[(١)]، فراراً بالدين وحباً لله ولرسوله (ﷺ)، لتثبت بعزمها على الهجرة – على صغر سنها – أن الإيمان حينما يستقر في القلب يقود صاحبه رجلاً أو امرأة، كبيراً أو صغيراً إلى الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فراراً بالدين وخلوصاً من الفتنة.

وعندما وصلت أم كلثوم إلى المدينة لحق بها أخواها الوليد وعمارة مطالبين بالوفاء بالشرط وردها إليهم فمنع رسول الله(ﷺ) إرجاعها إليهم لما نزلت آية الامتحان[(٢)].

روى البخاري[(٣)] بسنده عن مروان والمسور بن مخرمة في حديث شرط قريش في

---

(١) أسر أبوها يوم بدر فقتله رسول الله (ﷺ) بعد انصرافه من بدر على ثلاثة أميال مما يلي المدينة بموضع يسمى عرق الظبية وهو من الروحاء على ثلاثة أميال من المدينة وقيل أنه قال لرسول الله (ﷺ) أتقتلني من بين سائر قريش قال نعم. ثم قال بينا أنا بفناء الكعبة وأنا ساجد خلف المقام إذ أخذ بمنكبي فلف ثوبه على عنقي فخنقني خنقاً شديداً ثم جاء مرة أخرى بسلا جزور من بني فلان. عمدة القاريء: ٣/ ١٧٤.

(٢) انظر السيرة لابن هشام: ٢/ ٣٢٥-٣٢٦، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٢٣٠، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٣٨٦-، ٤/ ٦٧٦، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢/ ١٤٠، سيرأعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٧٦-٢٧٧، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٩١.

(٣) في الصحيح. كتاب الشروط: باب مايجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة ٥/ ٣١٢ «من فتح الباري».

صلح الحديبية وفيه «وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله(ﷺ) يومئذ – وهي عاتق – فجاء أهلها يسألون النبي (ﷺ) أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: «إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن – إلى قوله – ولاهم يحلون لهن » .

ولم تكن أم كلثوم وقت خروجها من مكة ذات زوج[(١)] بل خرجت مهاجرة بمفردها وصحبت فى الطريق رجلاً من خزاعة حتى أوصلها المدينة .

قال ابن سعد[(٢)]: «لم نعلم قرشية خرجت من بيت أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا ام كلثوم بنت عقبة ، خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلاً من خزاعة حتى قدمت المدينة فى الهدنة هدنة الحديبية .فخرج فى إثرها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة فقدما المدينة من الغد يوم قدمت فقالا : يا محمد فلنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه » .

وقد دبرت أم كلثوم لهجرتها خطة محكمة حتى لا يفطن أحد لخروجها من مكة فيمنعها من ذلك . فكانت قبل هجرتها تخرج في بادية لهم وتغيب عن أهلها ثلاث أو أربع ليال تعود بعدها إليهم حتى لاينكروا خروجهما إذا هاجرت إلى المدينة . وبعد أن خرجت من مكة وطالت غيبتها عن أهلها ، خرج في طلبها أخواها فلم يدركاها حتى وصلت إلى المدينة .

وتحكى أم كلثوم قصة هجرتها إلى المدينة فتقول: «كنت أخرج إلى بادية لنا بها أهلي فأقيم فيهم الثلاث والأربع ، وهي من ناحية التنعيم ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكر

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٣٠ . وقال ابن حجر: يقال انها كانت متزوجة عمرو بن العاص ، فتح البارى : ٣٤٨/٥ . وقال القرطبي «وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها فرد رسول الله أخويها وحبسها » الجامع لأحكام القرآن: ١٦/١٨ . وهذا بعيد لأن أخويها لحقا بها بعد خروجها ولم يخرجا معها وإلا لا معنى لمطالبتهما بها وقد خرجا معها . والله أعلم

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٣٠ . وفيه «خرجت من بين أبويها » وهو تصحيف ، لان أباها قتل بعد بدر وقد هاجرت هي بعد ذلك بأربع سنين . والله أعلم .

ذهابي . حتى أجمعت السير ، فخرجت يوماً من مكة كأني أريد البادية التي كنت فيها ، فلما رجع من تبعني خرجت حتى انتهيت إلى الطريق ، فإذا رجل من خزاعة فقال: أين تريدين؟ فقالت: حاجتي ، فما مسألتك ومن أنت ؟ فقال: رجل من خزاعة ، فلما ذكر خزاعة اطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله (ﷺ) ، وعقده فقلت : إني امرأة من قريش أريد اللحوق برسول الله ولا علم لي بالطريق فقال : . . . أنا صاحبك حتى أوردك المدينة .ثم جاءني ببعير فركبته . فكان يقود بي البعير ، لا والله مايكلمني كلمة فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة . . . قالت :

فدخلت على أم سلمة زوج النبي (ﷺ) وأنا منتقبة فما عرفتني حتى انتسبت . وكشفت النقاب فالتزمتني وقالت : هاجرت إلى الله وإلى رسوله ؟ فقلت : نعم .

وأنا أخاف أن يردني رسول الله (ﷺ) إلى المشركين كما رد غيري من الرجال ، أبا جندل بن سهيل ، وأبا بصير ، وحال الرجال يا أم سلمة ليس كحال النساء ، والقوم مصبحي ، وقد طالت غيبتي عنهم اليوم ثمانية أيام منذ فارقتهم ، فهم يبحثون قدر ماكنت أغيب عنهم ثم يطلبونني فإن لم يجدوني رحلوا إلى فساروا ثلاثاً فدخل رسول الله (ﷺ) على أم سلمة فأخبرته أم سلمة خبر أم كلثوم ، فرحب بها رسول الله(ﷺ) وقالت أم كلثوم: يارسول الله إني فررت بديني إليك فامنعني ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني ، فلا صبر لي على العذاب ، إنما أنا امرأة وضعف النساء إلى ما تعرف ، وقد رأيتك رددت رجلين إلى المشركين حتى امتنع أحدهما . وأنا امرأة فقال رسول الله (ﷺ): إن الله نقض العهد في النساء »[(١)] . وبقيت أم كلثوم في المدينة مرافقة للجماعة المؤمنة ومنتصرة على غرائز النفس في حب الأهل والوطن ، ومبينة بهجرتها أن البقاء بين الكفار الذين يفتنون المؤمنين ضرب من الهوان تأباه النفوس المؤمنة . فكانت وهي الشابة

(١) المغازي ، محمد بن عمر بن واقد : ٢/ ٦٢٩-٦٣١ ، تحقيق: مارسدن جونس (بيروت: عالم الكتب) .
انظر: إمتاع الأسماع ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: ١/ ٢٣٢-٢٣٣ ، تحقيق محمد عبد الحميد: ط١ (القاهرة : دار الأنصار) .

الصغيرة خيراً من كثير من الرجال الذين استكبروا عن الحق وأغمضوا أعينهم عن رؤيته . فكانت نموذجاً حياً للإيمان الذي يصدقه العمل وإن كان هذا العمل مستحيلاً عند العاجزين ضعاف الهمم .

ملخص البحث:

١- ترجيح دخول النساء عموماً في شرط صلح الحديبية .

٢- لم تتوقف هجرة المرأة بعد الصلح على الرغم من وجود الشرط الذي ينص على رد المهاجرين إلى الكفار .

٣- أقر الله عز وجل هجرة المرأة بعد الصلح وأنزل بشأنها آيات تمنع ردها إلى المشركين وتفرق بين المرأة المسلمة وزوجها الكافر .

٤- اشترط قبول المرأة المهاجرة بعد الصلح بالامتحان في حين لم تمحتن المهاجرات قبل ذلك .

والله أعلم ؛ ؛

الفصل الثاني

جهاد المرأة في السنة

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : مشروعية الجهاد وحكمه .

المبحث الثاني : دور المرأة في الجهـــــاد .

المبحث الثالث : تكريم المرأة وقت الجهاد .

المبحث الأول

مشروعية الجهاد وحكمه

المطلب الأول : تعريف الجهاد :

الجهاد لغة: الجَهد والجُهد: الطاقة . وقيل الجَهْد: المشقة ، والجُهد: الطاقة . جَهَدَ يَجهدُ جَهْدَاً واجْتَهَدَ ، كلاهما: جدَّ . وَجَهد دابته جَهَدَهَا وأجهدها: بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها .

الجُهْدُ: بلوغك غاية الأمر الذى لا تألو على الجهد فيه . تقول: جَهدْتُ جَهْدى وأجتهدت رأيى ونفسي حتى بلغت مجهودى . والجُهْدُ: الشيء القليل يعيش به المُقِلُّ على جهد العيش . وفي التنزيل العزيز ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾[١] ، على هذا المعنى . وقال الفراء: الجُهْدُ في هذه الآية الطاقة . تقول هذا جهدي أي طاقتي .

والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود ، وجاهد العدو مجاهدةً وجهاداً : قاتله وجاهد في سبيل الله . وفي الحديث «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » . الجهاد : محاربة الأعداء . وهو المبالغة واستفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول وفعل . والمراد بالنية إخلاص العمل لله أى أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأنها صارت دار إسلام وإنماهو الإخلاص في الجهاد وقتال الكفار . والجهاد : المبالغة واستفراغ ما في الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء[٢] . وهذا أقرب المعاني إلى معنى الجهاد في الشرع .

---

(١) سورة التوبة . آية (٧٩) .

(٢) لسان العرب لابن منظور : ٣/ ١٣٣ -١٣٥ ، انظر الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري: ٢/ ٤٦٠ -٤٦١ . تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين) .

الجهاد شرعاً : عرف الجهاد عند فقهاء المذاهب الأربعة بعدة تعريفات تدور حول معنى واحد وهوقتال المسلم الكافر .

فعُرِّفَ في كتب الحنفية بأنه الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله ، وبأنه بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد وغير ذلك[(١)] .

وعُرِّف في كتب المالكية بأنه قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى[(٢)] .

وهو عند الشافعية كما عرفه ابن حجر : بذل الجهد في قتال الكفار[(٣)] وعُرِّف في كتب الحنابلة بأنه قتال الكفار خاصة[(٤)] .

ولا فرق بين هذه التعريفات إلا زيادة الدعاء إلى الدين الحق عند الحنفية . وهي وإن لم تذكر فى بقية التعريفات إلا أنها تفهم منها ، لأن القتال لايكون إلا بعد الدعوة إلى دين الله تعالى وعدم قبولها .

والتعريفات السابقة تعني الجهاد بمعناه الخاص . وكلهما تدور حول معنى واحد وهو بذل المجهود في مقاومة أعداء الله وقتالهم واتخاذ كل وسيلة يحصل بها دفع شرهم والكناية بهم .

---

(١) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين : ٤/ ١٢١ ، ط ٢ (مصر: ٤/ ٢٧٧ ، ط (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ، وانظر فتح القدير (شرح الهداية) لابن الهمام : ٤/ ٢٧٧ ، ط (مصر: المطبعة الأميرية) .

(٢) الشرح الصغير لأحمد الدردير على بلغة السالك لأقرب المسالك لأحمد الصاوي: ١/ ٣٣٠ ، (بيروت: دار الفكر) .

(٣) فتح الباري : ٦/ ٣ .

(٤) شرح منتهى الإرادت المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى . منصور البهوتي: ٢/ ٩١ ، (بيروت : عالم الكتب) انظر الإقناع في فقه أحمد بن حنبل ، أبو النجا الحجاوى المقدسي:٢/ ٢ . تصحيح : محمد السبكى (بيروت: دار المعرفة) .

ويذكر الجهاد في القرآن الكريم بمعناه الخاص وهو القتال في كثير من الآيات التي فرض فيها القتال مثل قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[١] والتي تدل على المنزلة العظيمة لمن يبذل نفسه في سبيل الله مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾[٢] والتي تدل على منزلة الشهداء عند الله مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٣] وغيرها من الآيات .

ويتسع مفهوم الجهاد في الإسلام ليشمل بذل كل جهد فيه إيمان بالله وطاعة له ، ومقاومة للشر والإنحراف والفساد . كجهاد النفس بالالتزام بمقتضيات الإيمان ، والبعد بها عن الأهواء والفتن . وجهاد الشيطان بتحقيق العبودية لله تعالى والسير على صراطه المستقيم . وجهاد الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والجهاد بمعناه العام الشامل عرفه ابن تيمية[٤] بقوله : الجهاد حقيقته الإجتهاد في حصول ما يحب الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان .

وبهذا المعنى العام للجهاد وردت آيات من القرآن الكريم ، كقوله تعالى ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥] .

فسر ابن كثير الجهاد في هذه الآية بالعمل الصالح فقال أي من عمل صالحاً فإنما يعود نفع عمله على نفسه قال الحسن البصري : إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوماً من

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٦)

(٢) سورة التوبة آية (١١١) .

(٣) سورة آل عمران آية (١٦٩)

(٤) كتاب العبودية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٥ (طبعة دار المدني للطباعة) .

(٥) سورة العنكبوت آية (٦) .

الدهر بسيف[(١)] .

وكقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[(٢)] . نقل ابن كثير[(٣)] في تفسيرها : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لا يعلمون : فمن صبر على طاعة الله وجاهد نفسه وعمل بما علم فجزاءه من الله التثبيت وزيادة الهدى .

فالجهاد بمعناه العام الواسع يحصل لكل من بذل جهده في طلب مايحبه الله ويرضاه واجتناب مايبغضه الله وينهى عنه .

المطلب الثاني: مشروعية الجهاد في سبيل الله، وفضله:

أولاً : مشروعية الجهاد في سبيل الله :

شرع الله عز وجل للمسلمين الجهاد وكتب عليهم القتال حماية للعقيدة وإعزازاً للدين وإعلاء لكلمة الله تعالى ، وصداً للكفار الذين يرغبون في محاربة دين الله تعالى .

وقد مر الجهاد في الإسلام بعدة مراحل كان ينتقل فيها من مرحلة إلى أخرى حتى انتهى إلى المرحلة الأخيرة في وجوب جهاد كل مشرك . وأعرض لبيان هذه المراحل باختصار :

المرحلة الأولى : عندما كان النبي (ﷺ) فى مكة ، كان الجهاد في هذه الفترة يتمثل فى دعوة الناس إلى الإسلام عن طريق الحجة والبيان وجهادهم بآي القرآن ، مع الأمر بالصبر والتحمل والعفو . ولم يؤذن للمسلمين في هذه المرحلة بقتال لقلة عددهم ، وكثرة أعدائهم وعدم توافر القوة اللازمة لقتال أعدائهم مع كثرتهم وجاءت الآيات القرآنية تأمر المسلمين في هذه الفترة بتبليغ الدعوة والصبر على الإيذاء والإعراض عن المشركين

---

(١) تفسير القرآن : ٣/ ٤٠٤ .

(٢) سورة العنكبوت آية (٦٩) .

(٣) تفسير القرآن :٣/ ٤٢٢ .

كقوله تعالى .﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[١]. قال ابن كثير[٢] يعني بالقرآن وقوله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[٣]. قال ابن العربي[٤] أما الصبر على ما يقولون فمعلوم ، وأما الهجر الجميل فهو الذي لافحش فيه . وقيل: هو السلام عليهم . وبالجملة فهو مجرد الإعراض . وقولة تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[٥] . قال القرطبي[٦] أي إذا أقمت عليهم الحجة وأمرتهم بالمعروف فجهلوا عليك فأعرض عنهم .

فهذه الآيات وغيرها كثير نزلت في مكة قبل الإذن بالقتال . وكان الجهاد فيها بتزكية النفس بالإيمان وتدريبها على الصبر والتحمل . والأمر بنشر الدعوة مع الصبر والصفح والإعراض عن الكافرين . كما كان في هذه المرحلة الإشارة إلى قرب الإذن بالجهاد كقوله تعالى فى سورة الشورى المكية ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ آية (٣٩) .

المرحلة الثانية: لما هاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة وكثر أنصاره ، وقوى جانب المسلمين ، أذن الله تعالى لهم بقتال المشركين[٧] دون أن يفرضه عليهم . ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾[٨] .

(١) سورة الفرقان : آية (٥٢) .
(٢) تفسير القرآن ٣/ ٣٢١ .
(٣) سورة المزمل آية (١٠) .
(٤) أحكام القرآن :٤/ ١٨٨٠ .
(٥) سورة الأعراف آية (١٩٩) .
(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٧/ ٣٤٦ .
(٧) أنظر أحكام القرآن للشافعي : ٢/ ١٣ .
(٨) سورة الحج آية (٣٩-٤٠) .

قال ابن عباس: هي أول آية نزلت في القتال[١] .

وقال ابن كثير[٢] : « قال العوفى عن أبن عباس نزلت فى محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة . وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم : هذه أول آية نزلت في الجهاد . . . وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت الأليق به ، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً ، فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم .

وروى الترمذي[٣] بسنده عن ابن عباس قال: " لما أخرج النبي (ﷺ) من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم ليهلكن ، فأنزل الله تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ فقال أبو بكر : لقد علمت أنه سيكون قتال .

وقال القرطبي[٤] : لم يؤذن للنبى (ﷺ) في القتال مدة إقامته بمكة ، فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين فقال تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ ﴾ .

وقال ابن العربي[٥]: هي أول آية نزلت وإن ولم يكن أحد قاتل ، ولكن معناه أذن للذين يعلمون أن الكفار يعتقدون قتالهم وقتلهم بأن يقاتلوهم .

قال ابن القيم[٦]: فلما استقر رسول الله (ﷺ) بالمدينة وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين الأنصار ، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم ، فمنعته

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي . كتاب السنة : باب مبتدأ الإذن بالقتال : ٩/ ١١ .
(٢) تفسير القرآن : ٣/ ٢٢٥ .
(٣) في السنن . أبواب التفسير : سورة الحج : ٩/ ١٥ ، وقال الترمذيهذا حديث حسن (من تحفة الأحوذي) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣/ ٣٨ .
(٥) أحكام القرآن : ١/ ١٠٢ .
(٦) زاد المعاد في هدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية : ٣/ ٦٩-٧٠ ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة) .

أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج ، وكان أولى بهم من أنفسهم ، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب ، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة ، واشتد الجناح ، فأذن لهم حينئذ في القتال ، ولم يفرضه عليهم ، فقال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1] .

ففي هذه المرحلة أذن للمسلمين بقتال من يقاتلهم من المشركين دون أن يفرض عليهم القتال .

المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة أوجب الله تعالى على المسلمين قتال من قاتلهم دون من كف عنهم . حيث تهيأت النفوس فى المرحلة الثانية للقتال بالإذن لهم فيه ثم فرضه الله عليهم . فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] .

قال القرطبي[3] هذا هو فرض الجهاد والمراد بالقتال قتال الأعداء من الكفار .

وقال ابن العربي[4]: هذه الآية كانت في الدرجة الثانية من إباحة القتال والإذن فيه .

---

(١) وقد رد ابن القيم قول من قال إن هذا الإذن كان بمكة والسورة مكية . فقال ما ملخصه : إن هذا غلط لوجوه منها : أن الله لم يأذن لهم بمكة في القتال . وأن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم . لأنه قال ‘‘ الذين أخرجوا من ديارهم ‘‘ وهؤلاء هم المهاجرون . وأن قوله ‘‘ هذا خصمان أختصموا في ربهم ‘‘ نزلت فى الذين تبارزوا يوم بدر . وأن الله خاطبهم فى آخرها بقوله ‘‘ ياأيها الذين آمنوا ‘‘ وهذا الخطاب مدني . ثم قال وسياق السورة يدل على أن فيها المكي والمدنى فإن قصة إلقاء الشيطان في أمنية الرسول مكية . والله أعلم . زاد المعاد : ٣/ ٧٠-٧١ .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢١٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٨ .

(٤) أحكام القرآن: ١/ ١٤٦ .

وقال الشافعي [١]: لما مضت لرسول الله (ﷺ) مدة من هجرته أنعم الله فيها على جماعات بإتباعه حدثت لهم بها مع عون الله عز وجل قوة بالعدد لم يكن قبلها ، فرض الله عليهم الجهاد بعد إذ كان إباحة لا فرضاً ، فقال تبارك وتعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ .. ﴾ الآية .

المرحلة الرابعة : هذه المرحلة من مراحل الجهاد هي التي فرض الله تعالى فيها القتال المطلق أي قتال المشركين كافة مع البدء بالأقربين، دفاعاً وهجوماً ، لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر الإسلام فى بقاع الأرض وحماية الدعوة الإسلامية . ووردت آيات كثيرة تأمر بقتال المشركين كافة. منها : قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [٢]. وقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٣] . وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٤] .

قال القرطبي [٥]: «وهو أمر بقتال مطلق لابشرط أن يبدأ الكفار . دليل ذلك قوله تعالى «ويكون الدين لله » فدلت الآية على أن سبب القتال هو الكفر لأنه قال: «حتى لاتكون فتنة » أى كفر . فجعل الغاية عدم الكفر وهذا ظاهر»، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٦] .

---

(١) أحكام القرآن: ٢/١٨ – ١٩ .

(٢) سورة التوبة آية (٣٦)

(٣) سورة الأنفال آية (٣٩)

(٤) سورة البقرة آية (١٩٣)

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢/٣٥٣-٣٥٤ .

(٦) سورة التوبة آية (٥)

قال القرطبى [١]: «فاقتلوا المشركين» عام فى كل مشرك .

وقوله ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [٢].

فاستقر حكم الجهاد في الإسلام على وجوب قتال كل من لم يقبل دعوة الإسلام أو الخضوع لها [٣] .

قال ابن تيمية [٤] :وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان، والراهب والشيخ الكبير، والأعمى والزمن ونحوهم ، فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتِل بقوله أو بفعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر، إلا النساء والصبيان لكونهم مالاً للمسلمين، والأول هو الصواب .

وقال ابن القيم [٥]. بعد أن ذكر مرحلة الإذن بالقتال: «ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [٦] ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرماً ثم مأذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٨/ ٧٢ : ثم قال السنة خصت امرأة وراهب وصبي وغيرهم .

(٢) سورة التوبة آية (٢٩) .

(٣) قال ابن تيمية "فأما أهل الكتاب والمجوس فيقاتلوا حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . ومن سواهم فقد اختلف الفقهاء في أخذ الجزية منهم إلاأن عامتهم لايأخذونها من العرب . السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص٦٣ ، ط٢ . (القاهرة : المطبعة السلفية)

(٤) المرجع السابق ص ٦٢ .

(٥) زاد المعاد : ٣/ ٧١ .

(٦) سورة البقرة آية (١٩٠) .

بالقتال ، ثم ماموراً به لجميع المشركين» .

تلك هي المراحل الأربع التى مر بها الجهاد فى الإسلام (١) . والله أعلم .

ثانياً : فضل الجهاد فى سبيل الله :

الجهاد فى سبيل ذروة سنام الإسلام ، وبه قام هذا الدين وارتفعت رايته . أوجبه الله تعالى على المسلمين لإعلاء كلمته ، وتبليغ دعوته للناس كافة . واستجاب السلف الصالح لأمر الله تعالى، فبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ففتحوا البلاد ، ونشروا الإسلام ، وقاتلوا أعداء الله مستجيبين لنداء الله تعالى مستبشرين بما أعده الله للمجاهدين في سبيله، وما وعد به الشهداء الذين يقاتلون لتكون كلمة الله تعالى هى العليا . ويتضح فضل الجهاد في سبيل الله في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي بينت منزلة الجهاد وماله من فضائل في الدين والدنيا . والآيات القرآنية الدالة على ما للجهاد في سبيل الله من فضل عظيم ومنزلة عالية كثيرة . أكتفي بذكر بعضها التي تبرز مكانة الجهاد فى سبيل الله ومنزلة المجاهدين والشهداء عند الله . فقد بين الله تعالى أن المجاهد في سبيله الذي يبيع نفسه لله تعالى إنما هو بذلك يشتري الجنة وما فيها من نعيم مقيم .

فقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ

---

(١) يرى جماعة من العلماء أن المرحلتين الثالثة والرابعة هما مرحلة واحدة حيث كان الأمر بقتال الكفارجميعاً بعد مرحلة الإذن . انظر تفسير القرآن لابن كثير : ٢٢٦/١ . والذي يظهر أن الجهاد مر بأربع المراحل السابق ذكرها ، حيث كان المسلمون يقاتلون من يقاتلهم ويمنعهم من الدعوة إلى الله . ثم فرض عليهم قتال الكفار كافة لنشر دين الله تعالى ، ولا يعني هذا أن المرحلة الرابعة التي استقر حكم الجهاد فيها ، نسخت ماقبلها من المراحل ، فقد رجح المحققون عدم النسخ لأي مرحلة من مراحل الجهاد ، وإنما يعمل بكل مرحلة منها في الظروف التي تشابه الظروف التي نزلت فيها آياتها . والله أعلم انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٤٨/٢ ، تفسيرالقرآن لابن كثير : ٢٢٦/١ ، تفسير المنار لرشيد رضا : ٢١٤/٢ ، تفسير ظلال القرآن لسيد قطب : ١٨٦/١ .

وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [١].

يقول ابن القيم [٢]: «أخبر سبحانه أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . وأعاضهم عليها الجنة وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى ، ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذى عاقدوه عليه ، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم . فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظم خطره وأجله ، فإن الله عز وجل هو المشتري ، والثمن جنات النعيم ، والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك» . ووعد الله المجاهدين في سبيله بمغفرة ذنوبهم وبدخولهم الجنة وبشرهم بالنصر ، وأخبر أن من قام بالإيمان والجهاد فقد حصَّل التجارة الرابحة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٣].

ووعد الله تعالى بإسباغ رحمته ومغفرته وفضله على المجاهدين فى سبيله فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [٤].

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ

---

(١) سورة التوبة آية (١١١) .

(٢) زاد المعاد : ٣/ ٧٢ .

(٣) سورة الصف آية (١٠-١٢)

(٤) سورة البقرة آية (٢١٨)

مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١) .

وبين الله تعالى أن أي جهد يبذله المجاهد في سبيل الله كبر أم صغر وأي تعب يناله كثُرَ أم قلَّ ، فإن له به أجراً عظيماً عند الله تعالى . فقال: ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (٢) .

ووعد الله تعالى الشهداء الذين يقتلون فى سبيله برفعة المنزلة وعلو المكانة فهم وإن فارقوا الدنيا وغابوا عن الأنظار إلا أن أرواحهم حية ترزق عند ربهم في دار القرار .

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (٣) .

وقال: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ (٤) .

وبين الله تعالى أن القتل أو الموت في سبيله وسيلة إلى نيل رحمته ، وأن ذلك خير من البقاء في الدنيا وجمع حطامها الفانى فقال: ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة التوبة آية (٢٠-٢٢)

(٢) سورة التوبة آية (١٢٠-١٢١)

(٣) سورة آل عمران آية (١٦٩-١٧١)

(٤) سورة البقرة آية (١٥٤) .

(٥) سورة آل عمران آية (١٥٧) .

أما الأحاديث النبوية الدالة على فضل الجهاد ومكانته في الإسلام ، وعلو منزلة المجاهدين فهى كثيرة يصعب حصرها .

فالجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وبه تحصل الرفعة للدين والعزَّة للمسلمين . روى الترمذي(١) وابن ماجة(٢) بإسناديهما عن معاذ بن جبل(٣) رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال "ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه ؟ قلت: بلى يارسول الله . قال: رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد .

والجهاد فى سبيل الله من أفضل الأعمال والقربات بعد الإيمان بالله تعالى .

روى البخاري(٤) ومسلم(٥) بإسناديهما عن أبى هريرة: «أن رسول الله (ﷺ) سئل: أى العمل أفضل فقال: إيمان بالله تعالى ورسوله . قيل ثم ماذا؟ قال : الجهاد في سبيل الله . . .

كما أن الثواب الذى يحصل بسبب الجهاد خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها فى طاعة الله(٦) .

روى البخاري(٧) ومسلم(٨) والترمذي(٩) بأسانيدهم عن أنس بن مالك رضي

---

(١) في السنن . أبواب الإيمان: باب ما جاء فى حرمة الصلاة : ٧/ ٣٦٣-٣٦٤ ، وقال الترمذي: حسن صحيح (واللفظ له ، مختصراً) (من عمدة القارىء) .

(٢) فى السنن . كتاب الفتن : باب كف اللسان فى الفتنة : ٢/ ١٣١٤-١٣١٥ (بنحوه) .

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجي ، شهد العقبة ، وبدراً وأحداً ، والمشاهد كلها مع رسول الله . أسلم وعمره ثمانى عشرة سنة . كان أعلم الناس بالحلال والحرام . توفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وكان عمره ثمانية وثلاثين عاماً . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٤١٨-٤٢١ . الإصابة لابن حجر : ٣/ ٤٢٦-٤٢٧ .

(٤) في الصحيح كتاب الإيمان: باب من قال أن الإيمان هو العمل: ١/ ٧٧ (و اللفظ له) (من فتح الباري) .

(٥) في الصحيح كتاب الإيمان : باب كون الإيمان أفضل الأعمال : ٢/ ٧٢ (بنحوه) .

(٦) انظر فتح الباري : ٦/ ١٤ .

(٧) في الصحيح . كتاب الجهاد: باب الغدوة والروحة في سبيل الله: ٦/ ١٣ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٨) في الصحيح كتاب الإمارة : باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله : ١٣/ ٢٦ . (بنفس اللفظ) .

(٩) في السنن . أبواب الجهاد : باب الغدو والرواح في سبيل الله : ٥/ ٢٨٧ .(بزيادة في اللفظ) (من تحفة الأحوذي) .

الله عنه عن النبى (ﷺ) قال: «لغدوة في سبيل الله أو رَوْحَة[١] خير من الدنيا وما فيها» .

والجهاد فى سبيل الله لايعدله شيء من القربات فالمجاهد كالصائم الذي لا يفطر ، والقائم الذي لايفتر .

روى البخاري[٢] والنسائي[٣] بإسناديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله(ﷺ) فقال : دُلَّنِى على عمل يَعْدِلُ الجهاد . قال: لا أجده . قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟ » .

وفى رواية لمسلم[٤] عن أبي هريرة قال: قيل للنبى (ﷺ) ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عز وجل؟ قال لا تستطيعونه . قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يقول لا تستطيعونه وقال في الثالثة: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لايفتر من صيام ولاصلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى» .

وبشر رسول الله (ﷺ) من يقاتل في سبيل الله بالجنة حتى وإن بذل من الجهد أيسره وأقله .

روى الترمذي[٥] وأحمد[٦] بإسناديهما عن معاذبن جبل عن النبي (ﷺ) قال : «من

---

(١) الغدوة : المرة الواحدة من الغدو وهو الخروج فى أى وقت كان من أول النهار إلى انتصافه . والروحة: المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أى وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها . فتح الباري: ٦/ ١٤ .

(٢) في الصحيح كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد والسير : ٦/ ٤ (واللفظ له) (من الفتح) .

(٣) في السنن : كتاب الجهاد : باب ما يعادل الجهاد في سيل الله :٦/ ١٩ (بنحو ه) .

(٤) في الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل الشهادة في سبيل الله : ١٣/ ٢٤-٢٥ .

(٥) في السنن . أبواب الجهاد : باب ماجاء في المجاهد : ٥/ ٢٩٧ وقال الترمذي حديث صحيح (واللفظ له) (من تحفة الأحوذي) .

(٦) في المسند . كتاب الجهاد : باب فضل المجاهدين في سبيل الله :١٤/ ١٢ (بنفس اللفظ) (من الفتح الرباني) .

قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة[١] وجبت له الجنة . . .» ، والجهاد في سبيل الله سبب في رفع درجات المجاهد في الجنة .

روى البخاري[٢] والنسائي[٣] بإسناديهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي (ﷺ) «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض . .» .

وللمكانة العظيمة التي أعدها الله للمجاهدين والشهداء رغب رسول الله (ﷺ) في الخروج للجهاد وفي تمني الشهادة مبتدئاً بنفسه ومبشراً للمسلمين بأن المجاهد رابح على كل حال ، فإما أن ينتصر على عدوه فيعود إلى بيته غانماً مأجوراً ، وإما أن يستشهد فيدخل الجنة ، حتى إنه ليتمنى في هذه الحالة أن يعود إلى الدنيا فيقاتل ويقتل في سبيل الله مراراً لما يرى من علو مكانة الشهداء عند الله وما حازوه من النعيم المقيم .

روى مسلم[٤] بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله (ﷺ) تضمن الله لمن خرج في سبيله لايخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو عليَّ ضامنٌ أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده مامن كلم يكلم في سبيل الله إلاجاء يوم القيامة كهيئته حين كلم[٥] لونه لون دم وريحه مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لاأجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن

---

(١) فواق ناقة : قدر مابين الحلبتين من الاستراحة . انظر نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار ، محمد بن على الشوكاني :٧/ ٢٠٩ (بيروت: دار القلم) .

(٢) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب درجة المجاهدين في سبيل الله : ٦/ ١١ (واللفظ له مختصراً) (من فتح الباري) .

(٣) في السنن . كتاب الجهاد : باب درجة المجاهد في سبيل الله : ٦/ ٢٠ (بنحوه) .

(٤) في الصحيح . كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله : ١٣/ ١٩ -٢٠ .

(٥) الكَلْم الجدحْ . الكليم: الجريح ، يكلم: يجرح . انظر النهاية لابن الأثير : ٤/ ١٩٩ . شرح مسلم للنووي: ١٣/ ٢١ .

يتخلفوا عني . والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم اغزو فأقتل» .

وروى البخاري[(١)] بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي(ﷺ) قال : «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ماعلى الأرض من شيء ، إلاالشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة» .

قال ابن حجر[(٢)] : «قال ابن بطال : هذا الحديث أجّل ما جاء في فضل الشهادة ، وليس فى أعمال البر ماتبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب» .

وقد عرف المسلمون الأوائل ما للجهاد من فضل عظيم فتسابقوا في الحصول على هذا الفضل وحرصوا على نيل الشهادة في سبيل الله .

وللكثير منهم أقوال مأثورة تبرز حرصهم الشديد على الجهاد في سبيل الله . ورغبتهم الصادقة في خوض المعارك لإعلاء كلمة الله وتبليغ دعوته ونشر تعاليم الإسلام في بقاع الأرض ، ونيل شرف الشهادة في سبيل الله .

فهذا سيف الله خالد بن الوليد الذى قضى حياته مجاهداً في سبيل الله حتى أصبح الجهاد لديه أغلى من كل شيء في هذه الدنيا يقول : ما من ليلة يهدى إلى فيها عروس أنا لها محب . أو أبشر فيها بغلام أحب إلى من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبح فيها العدو»[(٣)] .

ويقول عبد الله بن عمر (ﷺ): «لأن أبيت حارساً وخائفاً في سبيل الله عزوجل

---

(١) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب ما يتمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا : ٦/ ٣٢ . (من فتح الباري) .

(٢) فتح الباري: ٦/ ٣٣ .

(٣) كتاب الجهاد ، الحافظ عبد الله بن المبارك ص ١١٨ ، (تحقيق: الدكتور نزيه حماد) ، (جدة: دار العلم) . وانظر مجمع الزوائد . كتاب المناقب: باب ماجاء في خالد بن الوليد: ٩ / ٣٥٠ ، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

أحب إلي من أن أتصدق بمائة راحلة»[١] .

وكان بلال بن رباح (ﷺ) ممن يحرصون على الجهاد في سبيل الله ونيل الشهادة .

ولما كانت خلافة أبي بكر ، تجهز بلال للخروج إلى الشام ، فقال أبو بكر (ﷺ) : ماكنت أراك يابلال تدعنا على هذه الحال ، لو أقمت معنا فأعنتنا . فقال: إن كنت إنما أعتقتني لله ، فدعنى أذهب إلى الله ، وإن كنت أعتقتني لنفسك فأحبسني عندك فأذن له فخرج إلى الشام فمات بها»[٢] .

وأقوال السلف في حب الجهاد كثيرة يتجلى فيها الإيمان بالله تعالى وبصدق وعده للمجاهدين في سبيله لايتسع المقام لذكرها .وكلها تدل على صدق استجابتهم لأمر الله تعالى وتضحيتهم له بأنفسهم وأموالهم .

قال الضحاك فى قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ ﴾[٣]: فنزلت آية القتال ، فكرهوها فلما بين الله عز وجل ثواب أهل القتال وفضيلة أهل القتال ، وما أعد الله لأهل القتال من الحياة والرزق لهم ، لم يؤثر أهل اليقين بذلك على الجهاد شيئاً ، فأحبوه ، ورغبوا فيه ، حتى إنهم يستحملون النبي (ﷺ) فإذا لم يجد مايحملهم ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون[٤] .

وأختم الحديث عن فضل الجهاد في سبيل الله بقول ابن تيمية[٥] رحمه الله: «والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر ، ولهذا كان أفضل مايتطوع به الإنسان ، وكان – باتفاق العلماء – أفضل من الحج والعمرة ، ومن الصلاة التطوع ، والصوم التطوع ... لم يرد فى ثواب الأعمال وفضلها مثل ماورد فيه فهو ظاهر عند

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك ص ١٦٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٥ .

(٣) سورة البقرة آية (٢١٦) .

(٤) كتاب الجهاد لابن المبارك : ص٩٦

(٥) السياسة الشرعية ص٦١ -٦٢ .

الاعتبار فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة: فإنه مشتمل من محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد، وذكر الله، وسائر أنواع الأعمال: على مالا يشتمل عليه عمل آخر، والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائماً: إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة».

المطلب الثالث: حكم الجهاد في سبيل الله:

اتفق فقهاء المذاهب الأربعة[(١)] على أن الجهاد فرض كفاية[(٢)] على الأمة الإسلامية مرة كل عام[(٣)] على الأقل، وذلك إذا كان المسلمون يقصدون الكفار في ديارهم للفتح والتوسع. فإذا قام بذلك البعض سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع. واستدل الفقهاء على فرضية الجهاد بأدلة من الكتاب والسنة.

الأدلة من الكتاب: وردت آيات قرآنية كثيرة فرض الله تعالى فيها الجهاد على المسلمين جهاد الكفار منها: قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا

---

(١) انظر حاشية ابن عابدين: ٤/ ١٢٢-١٢٣. بلغة السالك لأقرب المسالك لأحمد الصاوي: ١/ ٣٣٠. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن محمد المعروف بالحطاب: ٣/ ٣٤٦ ط٢ (بيروت: دار الفكر). المجموع للنووى شرح مهذب الشيرازي: ١٩ / ٢٦٦ (بيروت: دار الفكر). منهاج الطالبين (بشرح مغني المحتاج للشربيني) للنووي: ٤/٢٠٨-٢٠٩ (دار الفكر) المغني لابن قدامة: ٨/ ٣٤٥-٣٤٨.

(٢) معنى فرض الكفاية الذى إن لم يقم به من يكفي أثم الناس كلهم وإن قام به من يكفي سقط عن سائر الناس ... ومعنى الكفاية في الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يكفون في قتالهم إما أن يكونوا جنداً لهم دواوين من أجل ذلك أو يكونوا قد أعدوا أنفسهم له تبرعاً بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنعة بهم، ويكون فى الثغور من يدفع العدو عنها ويبعث في كل سنة جيش يغيرون على العدو في بلادهم. المغني لابن قدامة: ٨/ ٣٤٥-٣٤٦.

(٣) وحجتهم في ذلك أن الجزية تجب بدلاً عنه ولا تجب فى السنة أكثر من مرة اتفاقاً. فتح الباري لابن حجر: ٦/ ٣٨.

تَعْلَمُونَ ﴾[١] .

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٢]. وقوله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣]. وقوله ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[٤].

فهذه نصوص قرآنية عامة أمر الله تعالى فيها المسلمين بقتال الكفار . ووجه الدلالة فيها ظاهر . وأما الأدلة على فرضية الجهاد على الكفاية فمنها: قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٥] .

وجه الدلالة من الآية أن الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بدون عذر، ووعد الجميع الحسنى، فهذا يدل على فرض الكفاية لأنه لو كان فرضاً عينياً لما وعد القاعدين عنه الحسنى .

قال الشافعي[٦] : « ... فوعد الله المتخلفين عن الجهاد الحسنى على الإيمان ، وأبان فضيلة المجاهدين على القاعدين ، ولو كانوا آثمين بالتخلف – إذا غزا غيرهم – كانت العقوبة بالإثم – إن لم يعف الله عنهم – أولى بهم من الحسنى» .

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٦) .

(٢) سورة التوبة آية (٣٦) .

(٣) سورة البقرة آية (١٩٣) .

(٤) سورة التوبة آية (٢٩) .

(٥) سورة النساء آية (٩٥) .

(٦) أحكام القرآن : ٢/ ٣٣ .

وقال ابن قدامة [١] بعد أن أستدل بالآية: «وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم».

وقال الكاساني [٢]: «وعد الله عز وجل المجاهدين والقاعدين الحسنى، ولو كان الجهاد فرض عين في الأحوال كلها لما وعد القاعدين الحسنى لأن القعود يكون حراماً.

وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [٣].

فنفى الله تعالى أن ينفر المسلمون للجهاد كافة، وحض على أن ينفر من كل جماعة منهم طائفة تقوم بفرض الجهاد الذي يسقط عن الطائفة الباقية.

قال الشافعي [٤] بعد أن ذكر الآية: «فأعلمهم أن فرض الجهاد على الكفاية من المجاهدين ... وأبان أن لو تخلفوا معاً أثموا معاً بالتخلف بقوله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٥] يعني – والله تعالى أعلم – إلا إن تركتم النفير كلكم عذبتكم. ففرض الجهاد على ما وصفت يخرج المتخلفين من المأثم بالكفاية فيه. ويأثمون معاً إذا تخلفوا معاً».

الأدلة من السنة: وردت أحاديث كثيرة تدل على وجوب الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى. منها:

---

(١) المغني: ٣٤٦/٨.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر الكاساني: ٩٨/٧، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي).

(٣) سورة التوبة آية (١٢٢).

(٤) الأم، أبو عبدالله محمد بن أدريس الشافعي: ١٧٦/٤ ط١ (بيروت: دار الفكر).

(٥) سورة التوبة آية (٣٩).

ما رواه البخاري [١] ومسلم [٢] والنسائي [٣] والترمذي [٤] وأبو داود [٥] بأسانيدهم عن ابن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله». فالحديث صريح في وجوب جهاد كل من أمتنع عن الإسلام .

قال النووي [٦]: «فيه وجوب الجهاد» .

وما رواه مسلم [٧] بسنده عن بريده [٨] قال: «كان رسول الله (ﷺ) إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : أغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً [٩]. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ... (ثم قال بعد دعوتهم إلى الإسلام والهجرة أو دفع الجزية) فإن هم أجابوك فاقبل

---

(١) في الصحيح . كتاب الإيمان: باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم: ١/ ٧٥ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٢) في الصحيح . كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله : ١/ ٢١٢ (بنحوه) .

(٣) في السنن . كتاب الجهاد : باب وجوب الجهاد : ٦/ ٤-٥ (بنحوه) (عن أبى هريرة) .

(٤) فى السنن . أبواب التفسير : سورة الغاشية : ٩/ ٢٦٥-٢٦٦ (بزيادة فى اللفظ) (عن جابر) (من تحفة الأحوذى) .

(٥) في السنن . كتاب الزكاة : ٤/ ٤١٤-٤١٥ (بزيادة فى اللفظ) (عن أبى هريرة) ، (من عون المعبود) .

(٦) شرح مسلم : ١/ ٢١٢ .

(٧) في الصحيح . كتاب الجهاد والسير : باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث : ١٢/ ٣٧-٣٩ .

(٨) بريدة بن الحصيب بن عبدالله الأسلمى . أسلم حين مر به النبى عليه السلام مهاجراً . شهد المشاهد بعد أحد وشهد الحديبية . تحول إلى البصرة ثم انتقل إلى خرسان ومات بمرو . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٢٠٩ .

(٩) قال النووى في هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي تحريم الغدر وتحريم الغلول وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهة المثلة . شرح مسلم : ١٢/ ٣٧ .

منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم» .

فالحديث صريح في وجوب قتال من كفر بالله .

ما رواه أبو داود[١] وأحمد[٢] والحاكم[٣] بأسانيدهم عن أنس أن رسول الله (ﷺ): «قال جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه . وباللسان بإقامة الحجة عليهم ودعاؤهم إلى الله»[٤] .

ما رواه مسلم[٥] والنسائي[٦] وأبو داود[٧] والحاكم[٨] بأسانيدهم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه به نفسه مات على شعبة من نفاق» .

قال النووي[٩] : «المراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق» والمراد به النفاق العملي .

أما الأدلة من السنة على أن الجهاد فرض كفاية فمنها:

---

(١) في السنن : كتاب الجهاد : باب كراهية ترك الغزو ٧/ ١٨٢ (واللفظ له) (من عون المعبود) .

(٢) في المسند كتاب الجهاد باب وجوب الجهاد : ١٤/ ٧ - ٨ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .

(٣) في المستدرك باب الجهاد : ذكر ليلة أفضل من ليلة القدر : ٢/ ٨١ (بنحوه) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٤) عون المعبود :٧/ ١٨٢ .

(٥) في الصحيح : كتاب الأمارة : باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو :١٣/ ٥٦ (واللفظ له) .

(٦) في السنن : كتاب الجهاد : باب التشديد في ترك الجهاد :٦/ ٨ (بنحوه) .

(٧) في السنن : كتاب الجهاد : باب كراهية ترك الغزو : ٧/ ١٨١ (بنحوه) (من عون المعبود) .

(٨) في المستدرك كتاب الجهاد : باب من لم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو : ٢/ ٧٩ (بنحوه) .

(٩) شرح مسلم : ١٣/ ٥٦ .

ما رواه مسلم[١] والنسائي[٢] وأحمد[٣] بأسانيدهم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ): «والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لاأجد سعة فأحملهم ولايجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى» .

فالحديث يبين أن رسول الله (ﷺ) لم يكن يخرج في كل غزوة أو سرية ، بل يخرج تارة ويبقى تارة ولم يكن يخرج جميع أصحابه في السرية بل بعضهم . فهذا يدل على أن الجهاد فرض كفاية وليس فرض عين .

قال النووي[٤] : «فيه أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين» .

وقال ابن قدامة [٥]: «ولأن رسول الله (ﷺ) كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه» .

وقال الكاساني[٦] : «وكذا النبى (ﷺ) كان يبعث السرايا ، ولو كان فرض عين في الأحوال كلها لكان لايتوهم منه القعود عنه في حال . ولا أذن لغيره بالتخلف عنه بحال» .

وقال الشافعي [٧]: «ولم يغز رسول الله (ﷺ) غزاة علمتها إلا تخلف عنه فيها بشر فغزا بدراً وتخلف عنه رجال معروفون ، كذلك تخلف عنه عام الفتح ، وغيره من غزواته(ﷺ) في غزوة تبوك وفي تجهزه للروم وبعث رسول الله (ﷺ) جيوشاً

---

(١) في الصحيح : كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله: ١٣/ ٢٠ (واللفظ له مختصراً) .
(٢) في السنن . كتاب الجهاد باب الرخصة فى التخلف عن السرية : ٦/ ٨ (بنحوه) .
(٣) في المسند . كتاب الجهاد باب فضل الشهادة : ١٤/ ٢٨ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .
(٤) شرح مسلم : ١٣ / ٢٢ .
(٥) المغنى: ٨/ ٣٤٦ .
(٦) بدائع الصنائع : ٧/ ٩٨
(٧) الأم : ٤/ ١٧٦ .

وسرايا تخلف عنها بنفسه مع حرصه على الجهاد» .

تلك هي بعض الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الجهاد في الإسلام وأنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين [١] .

ولا يُفترض الجهاد إلا على مسلم عاقل بالغ ذكر حر مستطيع . ويسقط فرضه عن الصبي والعبد والمرأة والأعمى والأعرج والمريض [٢] .

الحالات التي يتعين فيها الجهاد : يتعين الجهاد عند العلماء[٣] في ثلاث حالات:

الأولى: إذا تقابل الصفان، حرم على من حضر الإنصراف . لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤] ولقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٥] .

الثانية: إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم لأن الدفاع عن النفس واجب . قال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٦] .

---

(١) هنال رأي لبعض العلماء أن الجهاد فرض عين، ذكره ابن قدامة ورد عليه انظر المغني: ٨/ ٣٤٦ . ونقل عن بعض العلماء أن الأمر بالجهاد للندب، أورد الفقهاء هذا القول وردوا عليه . انظر فتح القدير لابن الهمام: ٤/ ٢٧٨ - ٢٧٩ . والراجح أن الجهاد فرض كفاية لما تدعم به من الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة، ووضوح وجه الدلالة فيها .

(٢) انظر حاشية ابن عابدين: ٤/ ١٢٤ - ١٢٦ . بلغة السالك لأحمد الصاوي: ١/ ٣٣٠ . مغني المحتاج بشرح المنهاج للشربيني: ٤/ ٢١٦ - ٢١٧ . المغني لابن قدامة : ٤/ ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٣) انظر حاشية ابن عابدين : ٤/ ١٢٦ - ١٢٧ بلغة السالك لأحمد الصاوي: ١/ ٣٣١ مواهب الجليل للحطاب : ٣/ ٣٤٩ . المجموع شرح المهذب للنووي: ١٩/ ٢٦٩ . المغني لابن قدامة : ٨/ ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٤) سورة الأنفال: آية (٤٥) .

(٥) سورة الأنفال: آية (١٥ - ١٦) .

(٦) سورة البقرة آية (١٩٠) .

الثالثة: إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١].

المطلب الرابع : حكم جهاد المرأة، ويشتمل على ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: عدم وجوب الجهاد على المرأة :

اتفق الفقهاء[٢] على أن الجهاد لايجب على المرأة والأدلة على ذلك مايأتي :

أولاً: أن الآيات العامة التي ورد الأمر فيها بالقتال مثل قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾[٣] وقوله: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾[٤]وغيرها من الآيات العامة الدالة على وجوب الجهاد قد خصصتها السنة وأخرجت النساء من هذا الحكم العام، وبينت أنه لايجب الجهاد على النساء .

فقد روى البخاري[٥] والنسائي[٦] وأحمد [٧] بأسانيدهم عن عائشة أنها قالت: يارسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال: لكن أفضل الجهاد حج مبرور . وفي رواية[٨] ثانية للبخاري قال: «لاولكن أفضل الجهاد حج مبرور » .

---

(١) سورة التوبة آية (٣٨-٣٩) .

(٢) انظرحاشية ابن عابدين : ٤/ ١٢٤ -١٢٥ بلغة المسالك إلى أقرب المسالك لأحمد الصاوي :١/ ٣٣٠ . المجموع شرح المهذب للنووي :١٩/ ٢٧٠ . مغني المحتاج بشرح المنهاج للنووي : ٤/ ٢١٦ . أحكام القرآن للشافعي: ٢/ ٢١ . المغنى لابن قدامة : ٨/ ٣٤٧ .

(٣) سورة البقرة آية (٢١٦) .

(٤) سورة التوبة آية (٣٦) .

(٥) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد والسير : ٦/ ٤ . (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٦) في السنن . كتاب مناسك الحج باب فضل الحج : ٥/ ١١٤-١١٥ (بزيادة في اللفظ)

(٧) فى المسند . كتاب الجهاد : باب وجوب الجهاد : ١٤/ ٨ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .

(٨) فى الصحيح : كتاب الحج : باب فضل الحج والمبرور : ٣/ ٣٨١ (من فتح الباري) .

وفي رواية [١] ثالثة: «أنها قالت يارسول الله ألانغزو ونجاهد معكم ؟ قال: لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور» . وفي رواية [٢] رابعة قالت عائشة: «أستأذنت النبي (ﷺ) فى الجهاد فقال : جهادكن الحج» . وفي رواية[٣] خامسة عن عائشة: «أن النبي (ﷺ) سأله نساؤه عن الجهاد فقال: نعم الجهاد الحج» .

وروى ابن ماجة[٤] وأحمد [٥] بإسناديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت يارسول الله هل على النساء جهاد ؟ قال : نعم عليهن جهاد لاقتال فيه الحج والعمرة» .

وروى النسائي[٦] بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله (ﷺ) قال: «جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة» .

فدلت الأحاديث السابقة على عدم وجوب الجهاد على النساء، حيث دل جواب رسول الله (ﷺ) لعائشة على أن الجهاد لم يفترض على النساء وأن الذي فرض عليهن هو الحج والعمرة وسماه جهاداً لما يبذل فيه من الجهد .

قال ابن حجر[٧] في قول رسول الله (ﷺ): «لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور»: «يحتمل أن المراد بقوله لا أي ليس ذلك واجباً عليكن كما وجب على الرجال » .

قال ابن بطال[٨] في رواية عائشة التى قال رسول الله فيها «جهادكن الحج» : «دل

---

(١) في الصحيح : كتاب جزاء الصيد : باب حج النساء : ٤/ ٧٢ . (من فتح الباري) .

(٢) في الصحيح : كتاب الجهاد : باب جهاد النساء : ٦/ ٧٥ . (من فتح الباري) .

(٣) في الصحيح : كتاب الجهاد : باب جهاد النساء : ٦/ ٧٦ . (من فتح الباري) .

(٤) في السنن .كتاب المناسك : باب الحج جهاد النساء : ٢/ ٩٦٨ (واللفظ له) وقال الشوكاني إسناده صحيح . نيل الأوطار : ٤/ ٢٨٢ .

(٥) في المسند : كتاب الحج: باب وجوب الحج: ١١/ ١٨ (بلفظ قال الحج والعمرة هو جهاد النساء . (من الفتح الرباني) .

(٦) في السنن . كتاب مناسك الحج : باب فضل الحج : ٥/ ١١٣ - ١١٤ .

(٧) فتح البارى : ٤/ ٧٥ .

(٨) المرجع السابق : ٦/ ٧٦ .

حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء» .

وقال البدر العيني[١] : «أنه (ﷺ) بين أن جهاد النساء الحج» .

وقال ابن بطال[٢] في رواية عائشة التي قال فيها «نعم الجهاد الحج»: «هذا دال على أن النساء لاجهاد عليهن وأنهن غير داخلات فى قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾، وهو إجماع» .

وجاء فى سبل السلام[٣] بعد ذكر روايات حديث عائشة: «دل ماذكر على أنه لا يجب على المرأة جهاد وعلى أن الثواب الذي يقوم مقام ثواب جهاد الرجال حج المرأة وعمرتها» .

وكما وصف رسول الله (ﷺ) جهاد المرأة بأنه جهاد لا قتال فيه في قوله: «عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة » .

قال الشوكاني[٤] : «الحديث فيه دليل على أن الجهاد غير واجب على النساء» .

كما بين رسول الله (ﷺ) أن العمل الذي يساوي أجر الجهاد في سبيل الله لكل من المرأة والضعيف والكبير والصغير هو الحج والعمرة أى هما بمنزلة الجهاد لفاعلهما، وكل هؤلاء المذكورين يمكن لهم الوصول إليهما[٥] .

ثانياً: ومما يستدل به على عدم وجوب الجهاد على النساء قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦] فالمرأة من الضعفاء الذين

---

(١) عمدة القارىء : ١٤/ ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق :

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المراد شرح محمد بنإسماعيل الكحلانى الصنعانى: ٤/ ٤١ (بيروت: دار الفكر) .

(٤) نيل الأوطار : ٤/ ٢٨٢ .

(٥) حاشية السندى على سنن النسائي : ٥/ ١١٤ .

(٦) سورة التوبة آية (٩١) .

لايقدرون على الجهاد .

وقد ذكر بعض المفسرين النساء ضمن الضعفاء الذين عذرهم الله وأسقط عنهم وجوب الجهاد .

قال البغوي في تفسيره[١] في معنى الضعفاء قال ابن عباس: «يعني الزمني والشيوخ والعجزة وقيل هم الصبيان وقيل النسوان» .

وقال ابن كثير[٢] : بين الله تعالى الأعذار التي لاحرج على من قعد معها عن القتال فذكر منها ماهو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب الذي لايستطيع الجلاد في الجهاد . . .

وضعف المرأة لازم لها لا ينفك عنها لأنه ضعف في تركيبها لايمكنها من القدرة على القتال .

وقال الفخر الرازي[٣] : ذكر أصحاب الأعذار الحقيقية ، وبين أن تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط وهم أقسام . القسم الأول: الضعيف مثل الشيوخ . ومن خلق في أصل الفطرة ضعيفاً نحيفاً وهؤلاء هم المرادون بالضعفاء والمرأة من الذين خلقوا ضعفاء في أصل الفطرة فيسقط عنها وجوب الجهاد .

وقال القرطبى[٤] في تفسير الآية أنها: «أصل فى سقوط التكليف عن العاجز ، فكل من عجز عن شيء سقط عنه . . ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٥] .

---

(١) معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين البغوى على هامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين الشهير بالخازن : ٣/ ١٣٥ ، دار الفكر) ١٣٩٩هـ ، انظر تفسير المنار لرشيد رضا:١٠/ ٥٨٦ .

(٢) تفسير القرآن : ٢/ ٣٨١ .

(٣) التفسير الكبير : ١٦/ ١٥٩ -١٦٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن :٨/ ٢٢٦ .

(٥) سورة البقرة آية (٢٨٦) .

والمرأة تعجز عن القيام بالجهاد ولا قدرة لها عليه فيسقط عنها التكليف به .

وقال صاحب المنار[١] : «الضعفاء جمع ضعيف وهو ضد القوى أي من لا قوة لهم في أبدانهم تمكنهم من الجهاد» .

كما أن الله تعالى ذم القادرين الذين يتخلفون عن الجهاد بأنهم رضوا بأن يتخلفوا مع الذين شأنهم القعود عن الجهاد لعجزهم عنه كالنساء فقال ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] . وقال ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[٣] .

وفسر العلماء الخوالف بالنساء وغيرهم .

قال البغوي[٤] : «الخوالف: يعني النساء» .

وقال الفخر الرازى[٥]: «الخوالف النساء اللاتى تخلفن في البيت فلا يبرحن والمعنى: رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء» .

قال ابن كثير[٦]: «رضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف بعد خروج الجيش» .

وقال ابو السعود[٧]: «مع الخوالف: مع النساء اللاتي شأنهن القعود ولزوم البيت» .

---

(١) تفسير المنار لرشيد رضا : ١٠/٥٨٦ .

(٢) سورة التوبة آية (٩٢) .

(٣) سورة التوبة آية (٨٦ -٨٧) .

(٤) معالم التنزيل : ٣/ ١٣٤ ، ١٣٦ .

(٥) التفسير الكبير :١٦/١٥٧ .

(٦) تفسير القرآن : ٢/ ٣٨٠ ، ٣٨٢ .

(٧) تفسير أبى السعود : ٤/ ٩١ .

وقال صاحب المنار [١]: «رضوا لأنفسهم بأن يكونوا مع الخوالف من النساء - روى هذا عن ابن عباس وقتادة» .

وقال[٢] : «ويراد بالخوالف الصبيان والعجزة والنساء الذين لايكلفون القيام بشرف الجهاد ، للدفاع عن الحق وإعلا كلمة الله» .

فذم الله تعالى للمتخلفين القادرين ، وعدم ذمة للمتخلفين العاجزين - كالنساء - دليل على عدم وجوب الجهاد على العاجزين وإلا لكانوا والقادرين المتخلفين فى الذم واللوم سواء . فدلالة الآية على عدم ذم المتخلفين العاجزين وتفسير العلماء لمعنى الخوالف بالنساء دليل على سقوط التكليف بالجهاد عن النساء . والله أعلم .

ثالثاً: قال الشافعي[٣] . «قال الله تعالى لنبيه(ﷺ) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾[٤] . فدل على أنه أراد بذلك الذكور دون الإناث لأن الإناث: المؤمنات وقال عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾[٥] . وقال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾[٦] . وكل هذا يدل على أنه أراد به الذكور دون الإناث» .

رابعاً : روى الترمذي[٧] وأحمد[٨] بإسنا ديهما عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: «يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٩] . قال مجاهد: وأنزل فيها ﴿ إِنَّ

---

(١) تفسير المنار لرشيد رضا : ١٠/ ٥٨٢ .

(٢) المرجع السابق : ١٠/ ٥٧٢ .

(٣) الأم : ٤/ ١٧٠ .

(٤) سورة الأنفال آية (٦٥) .

(٥) سورة التوبة آية (١٢٢) .

(٦) سورة البقرة آية (٢١٦) .

(٧) في السنن . أبواب تفسير القرآن : باب تفسير سورة النساء : ٨/ ٣٧٥-٣٧٦ ، وقال الترمذي: هذا حديث مرسل روى عن مجاهد مرسلاً عن أم سلمة .

(٨) في المسند . كتاب فضائل القرآن وتفسيره : سورة النساء : ١٨/ ١١٣ . (بنحوه) (من الفتح الرباني) ، وانظر أسباب النزول للسيوطي ص٦٧ ، أسباب النزول للواحدي ص ١١٠ .

(٩) سورة النساء آية (٣٢) .

ﱡﭐ﴿ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾[١]» .

روى ابن كثير[٢] أن هذه الآية نزلت في قول النساء ليتنا الرجال فنجاهد كما يجاهدون ونغزو في سبيل الله عز وجل . وذكر عن عطاء بن رباح أنها نزلت في النهي عن تمنى مالفلان ، وفي تمني النساء أن يكن رجالاً فيغزون .

فنهى الله تعالى للنساء أن يتمنين ما فضل الله به الرجال عليهن من الغزو دليل على عدم وجوب الجهاد عليهن ، وإلا لما نهاهن عن تمنيه .

وقول مجاهد «وأنزل فيها ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . يدل على مشاركة المرأة للرجل في وجوب الإسلام والإيمان والصبر والصيام وغير ذلك مما ذكرته الآية لكنها لا تشاركه في وجوب الجهاد عليه . والله أعلم .

حكمة عدم وجوب الجهاد على النساء :

١- أن تكوين المرأة الخلقى يختلف عن الرجل ، حيث هيأ الله تعالى جسم كل منهما للقيام بما كلف به من وظائف . فالطبيعة التى خلقت عليها المرأة من ضعف في البنية ، ورقة فى العاطفة ، وخور وجبن [٣] تتنافى مع يستلزمه الجهاد من قوة في الجسم ، وكمال في ا لعقل وقدرة على التحمل ، وشجاعة وإقدام ، فراعى الله تعالى هذه الطبيعة فلم يوجب عليها الجهاد . قال ابن بطال[٤] فى ذلك: «إنهن لسن من أهل القتال للعدو ولا قدرة لهن عليه ولا قيام به » .

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٥) .

(٢) تفسير القرآن : ١/ ٤٨٧-٤٨٨ .

(٣) انظر حاشية ابن عابدين : ٤/ ١٢٥-١٢٦ . مغني المحتاج بشرح المنهاج للنووي : ٤/ ٢١٦ . المغني لابن قدامة : ٨/ ٣٤٧ .

(٤) عمدة القاريء : ١٤/ ١٦٤ .

٢- أن المرأة مأمورة بالستر والحجاب والقرار في البيت، والابتعاد عن الرجال. وفي وجوب الجهاد عليها تعريض لها للخروج أمام الرجال والاختلاط بهم، ومزاولة الأعمال الخاصة بهم، والانصراف عن مسؤوليتها الأساسية في رعاية أسرتها والقيام بشئون بيتها. يقول ابن رشد[١] في بيان الحكمة في عدم وجوب الجهاد على النساء: «إن الجهاد لا يتأتى للمـرأة إلا بضد ما أمرت به من الستر والقرار في بيتها. قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾[٢]. وقال عز وجل ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٣]». ويقول ابن بطال[٤]: «... وليس للمرأة أفضل من الاستتار وترك مباشرة الرجال بغير قتال. فكيف في حال القتال التى هى أصعب، والحج يمكنهن فيه مجانبة الرجال والاستتار عنهن فلذلك كان أفضل لهن من الجهاد». كما بين الصنعاني[٥] في سبل السلام هذه الحكمة فقال: «... وذلك لأن النساء مأمورات بالستر والسكون، والجهاد ينافي ذلك إذ فيه مخالطة الأقران والمبارزة ورفع الأصوات».

المسألة الثانية: جواز خروج المرأة للجهاد:

إن عدم وجوب الجهاد على المرأة لا يدل على عدم جواز خروجها للجهاد تطوعاً. بل قد دل الكتاب والسنة على جواز ذلك.

الدليل من الكتاب: ورد في القرآن الكريم ما يدل على مشاركة المرأة للرجل في العمل الجهادي. قال تعالى ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ

(١) كتاب المقدمات لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد: ١/٢٦٧-٢٦٨ (بيروت: دار صادر) (طبعة جديدة).

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٩).

(٣) سورة الأحزاب آية (٣٣).

(٤) عمدة القارىء: ١٤/ ١٦٤.

(٥) سبل السلام: ٤/ ٤١.

أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[١] .

فهذه الآية وإن لم يكن فيها تصريح بجواز خروج المرأة للجهاد إلا أنها تثبت مشاركتها للرجل في الثواب الذي يحصل بسبب الهجرة والإيذاء والقتال في سبيل الله إذا شاركت فى ذلك .

فقوله تعالى: ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ أي في الثواب والأحكام والنصرة [٢] ، وثبوت الأجر لها لا يكون إلا على أمر مشروع مباح ، ولو كان خروجهما للجهاد ممنوعاً لما أُثيبت عليه بتكفير السيئات ودخول الجنة .

الدليل من السنة: ثبت في الأحاديث الصحيحة استصحاب النبي (ﷺ) النساء في الغزو ، ومشاركة المرأة في الخروج للجهاد .من هذه الأحاديث: روى البخاري[٣] ومسلم[٤] وابن ماجة [٥]وأحمد[٦] بأسانيدهم عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان النبي (ﷺ) إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبي (ﷺ) فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع النبي (ﷺ) بعدما أنزل الحجاب» .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩٥) .

(٢) انظر أحكام القرآن للقرطبى : ٣١٨/٤ ، تفسير القرآن لابن كثير : ٤٤١/١ .

(٣) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب حمل الرجل امرأته في الغزو : ١٦٥/١٤ (واللفظ له) (من عمدة القارىء) .

(٤) في الصحيح . كتاب التوبة: باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف: ١٠٣/١٧ (بنفس اللفظ مطولاً) .

(٥) في السنن . كتاب النكاح : باب القسمة بين النساء : ٦٣٣/١ (مختصراً) .

(٦) في المسند . كتاب السيرة النبوية : باب ما جاء في أم المؤمنين عائشة : ١١٦/٢٢ (بنفس اللفظ) (من الفتح الرباني) .

قال ابن حجر[١] : «فيه - أي الحديث - مشروعية السفر بالنساء حتى في الغزو» .

وقال النووي[٢] : «فيه أى الحديث جواز غزوهن» .

وروى مسلم[٣] عن أنس بن مالك قال : «كان رسول الله (ﷺ) يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى» .

وقال النووى[٤]: «فيه خروج النساء فى الغزو والانتفاع بهن فى السقى والمداواة» .

وروى مسلم[٥] بسنده عن أنس أن أم سليم[٦] : «اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها فرآها أبو طلحة[٧] فقال يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله (ﷺ): ما هذا الخنجر ؟ قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت[٨] به بطنه فجعل رسول الله (ﷺ) يضحك» .

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٤٧٩ .

(٢) شرح مسلم : ١١٦/١٧ .

(٣) في الصحيح . كتاب الجهاد والسير : باب غزوة النساء مع الرجال : ١٨٨/١٢ .

(٤) شرح مسلم : ١١٨/١٢ .

(٥) في الصحيح . كتاب الجهاد والسير : باب غزوة النساء مع الرجال : ١٢/ ١٨٧-١٨٨ .

(٦) أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية الخزرجية . أم أنس بن مالك . اختلف في اسمها قيل سهلة وقيل رميلة والغميصاء والرميصاء كانت تحت مالك بن النضر والد أنس بن مالك في الجاهلية فمات عنها . وتزوجها أبو طلحة وكان صداقها إسلامه . كانت تغزو مع رسول الله . وكانت من عقلاء النساء . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٤٥-٣٤٦ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٦١-٤٦٢ .

(٧) أبو طلحة الأنصاري اسمه زيد بن سهيل الأنصاري ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله . له يوم أحد مقام مشهود . كان يقى رسول الله بنفسه . قتل يوم حنين عشرين رجلاً ، قيل إنه ركب البحر فمات . وقيل توفي بالمدينة سنة أحدى وثلاثين وقيل أربع وثلاثين . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٥/ ١٨١-١٨٢ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٥٦٦-٥٦٧ .

(٨) بقرت بطنه : أى شققته . والبقر : الشق . أنظر النهاية لابن الأثير : ١/ ١٤٤ .

قال النووي[١] : «في هذا الحديث جواز الغزو بالنساء وهو مجمع عليه» . وروى مسلم[٢] والترمذي[٣] وأحمد[٤] في حديث سؤال نجـــدة الحروري [٥] لابن عباس وفيه: « . .فكتب إليه ابن عباس : كتبت تسألني هل كان رسول الله (ﷺ) يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة . . . الحديث» .

قال النووي[٦] : «فيه حضور النساء الغزو ومداواتهن الجرحى» .

وروى مسلم[٧] عن أم عطية الأنصارية[٨] قالت: «غزوت مع رسول الله (ﷺ) سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى» .

وروى البخاري[٩] بسنده عن الربيع بنت معوذ[١٠] قالت : «كنا نغزو مع النبي

---

(١) أنظر شرح مسلم : ١٢/ ١٨٨ .

(٢) في الصحيح . كتاب الجهاد والسير : باب النساء الغازيات : ١٢/ ١٩٠ (واللفظ له) .

(٣) في السنن . أبواب السير: باب من يعطى من الفيء : ٥/ ١٦٦-١٦٧ (بنحوه) (من تحفة الأحوذي) .

(٤) في المسند . كتاب الجهاد : باب تقسيم أربعة أخماس الغنيمة : ١٤/ ٨٠ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .

(٥) (نجدة) – بفتح النون وسكون الجيم بعدها دال مهملة –(الحروري) نسبة إلى حروراء قرية بالكوفة . ونجدة هو ابن عامر الحنفى الخارجى (تحفة الأحوذي: ٥/ ١٦٧) وابن عباس يكره نجدة لبدعته وهي كونه من الخوارج الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية . ولكن لما سأله عن العلم لم يكتمه فاضطر إلى جوابه . شرح مسلم للنووي: ١٢/ ١٩٠ .

(٦) شرح مسلم : ١٢/ ١٩٠ .

(٧) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب النساء الغازيات : ١٢/ ١٩٤ .

(٨) أم عطية الأنصارية اسمها نسيبة بنت الحارث . كانت تغزو مع رسول الله . وتغسل الموتى . عاشت إلى ما بعد خلافة علي . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٦٧-٣٦٨ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٧٦-٤٧٧ .

(٩) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب رد النساء الجرحى والقتلى : ٦/ ٨٠ (من فتح الباري) .

(١٠) الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية . غزت مع النبي (ﷺ) كثيراً من غزواته ، كانت من المبايعات تحت الشجرة بيعة الرضوان . عاشت إلى ما بعد خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٠٧-١٠٨ ، الإصابة لابن حجر :/ ٤/ ٣٠٠-٣٠١ .

(ﷺ) فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة» .

دلت الأحاديث السابقة دلالة واضحة على جواز خروج المرأة للجهاد، ومشاركتها في غزوات المسلمين، تطوعاً منها ورغبة في نيل الثواب العظيم الذي أعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله .

قال ابن حجر[(١)]: «في شرح الحديث الذى سألت فيه عائشة النبي (ﷺ) عن خروجهن للجهاد فقال: «لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور» : «ولم يرد بذلك تحريمه عليهن فقد ثبت في حديث أم عطية أنهن كن يخرجن فيداوين الجرحى» .

وقال ابن بطال[(٢)] : في رواية عائشة التي فيها: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج حج مبرور»: « . . فدل على أن لهن جهاداً غير الحج ، والحج أفضل منه» .

وقال[(٣)] في رواية عائشة التي فيها «جهادكن الحج» ليس في قوله: «جهادكن الحج» أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد، وإنما لم يكن عليهن واجباً لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال .

وبينت أحاديث جواز خروج المرأة للجهاد أنها تخرج للقيام بخدمة الجيش في السقي والمداواة وصنع الطعام وغير ذلك من الأعمال التي لها اتصال وثيق بوظيفة المرأة وعملها ولا يكون خروجها بهدف المقاتلة ابتداء .

جاء في سبل السلام[(٤)] بعد ذكر روايات حديث عائشة التي دلت على عدم وجوب الجهاد على النساء : « . . . وأما جواز الجهاد لهن فلا دليل في الحديث على عدم الجواز، وقد أردف البخارى هذا الباب[(٥)] بباب خروج النساء للغزو وقتالهن وغير ذلك

(١) فتح الباري : ٤/ ٧٥ .

(٢) انظر فتح الباري : ٤/ ٧٥ .

(٣) المرجع السابق : ٦/ ٧٦ .

(٤) سبل السلام للصنعانى : ٤/ ٤٢ .

(٥) أراد باب جهاد النساء ، الذي ورد فيه حديث عائشة .

وأخرج مسلم من حديث أنس أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين وقالت للنبي (ﷺ) اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه فهو يدل على جواز القتال وإن كان فيه ما يدل على أنها لا تقاتل إلا مدافعة وليس فيه أنها تقصد العدو إلى صفه وطلب مبارزته . وفى البخارى ما يدل على أن جهادهن إذا حضرن مواقف الجهاد سقي الماء ومداواة المرضى ومناولة السهام .

فخروج المرأة من أجل القتال الأصل فيه المنع ؛ لأن قتالها وإن كان جائزاً ، إلا أن حديث أم سليم دل على أنها لا تقاتل إلا عند الضرورة .

وكذلك ما ثبت من إقرار النبي (ﷺ) قتال أم عمارة عندما رآها تقاتل دونه يوم أحد . فإن ذلك كان للحاجة إلى القتال دفاعاً عن رسول الله (ﷺ) عندما أحاط به المشركون وتفرق جمع المسلمين[1] .

يتضح مما سبق جواز خروج المرأة للجهاد للقيام بالأعمال التى تتفق مع طبيعتها وقدرتها كالسقي والمداواة وغيرهما . وإذا أُضطرت إلى الدفاع عن نفسها أو عن المسلمين أو وجدت فرصة لقتل كافر فإنها لا تمنع من استخدام السلاح ولا يكون فعلها هذا محظوراً . والله أعلم .

وقد روى الطبراني[2] حديثاً يفيد منع النبي (ﷺ) المرأة أن تخرج للجهاد وهو عن أم كبشة أمرأة من بني عذرة – عذرة بني قضاعة – أنها قالت: يا رسول الله ، أتأذن أن أخرج في جيش كذا وكذا قال: لا . قالت يا رسول الله إنه ليس أريد أن أقاتل ، إنما أريد أن أداوي الجرحى والمرضى أو أسقي المرضى ، قال: لولا أن تكون سنة ويقال: فلانة خرجت لأذنت لك ولكن أجلسي . وذكر ابن حجر هذا الحديث في الإصابة فى ترجمة أم

---

(١) سيأتي الحديث عن دور أم عمارة في غزوة أحد ص ٢٧٧ من الرسالة .

(٢) انظر مجمع الزوائد . كتاب الجهاد : باب خروج النساء في الغزوة : ٥/ ٣٢٣-٣٢٤ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح . طبقات ابن سعد : ٨/ ٣٠٨ بزيادة لا يتحدث الناس أن محمداً يغزو بإمرأة .

كبشة [١] وأراد أن يجمع بينه وبين حديث آخر أذن فيه النبي (ﷺ) للمرأة بالخروج معه في خيبر وذلك لما استأذنته أم سنان الأسلمية [٢] وقالت له يا رسول الله أخرج معك أخرز السقاء وأداوى الجرحى . . الحديث، وفيه: «فإن لك صواحب قد أذنت لهن من قومك ومن غيرهم فكوني مع أم سلمة» .

فذكر ابن حجر أن الحديث الأول ناسخ للثاني لأن الأول كان بعد الفتح والثاني كان في خيبر .

ودعوى النسخ التى ذهب إليها ابن حجر غير مسلم بها لأن المرأة خرجت فى حنين بعد الفتح فى العام الثامن كما ثبت ذلك فى صحيح مسلم فى حديث خروج أم سليم فى حنين [٣] . كما أن حديث أم كبشة الذى رواه الطبراني لا يرقى إلى معارضة الحديث الذى ثبت عند مسلم .

وعلى فرض صحة الحديث عند الطبراني فإنه يمكن الجمع بينه وبين الأحاديث الدالة على جواز خروج المرأة للجهاد وعدم منعها منه بأن استئذان أم كبشة كان للخروج في غزوة لها ظروفها الخاصة التى تمنع خروج المرأة فيها . ذلك أنه استمر خروج المرأة للجهاد إلى ما بعد الفتح فخرجت فى حنين كما سبق وما بعد حنين كانت غزوة تبوك في العام التاسع، فيحتمل أستئذان أم كبشة كان في غزوة تبوك . وهذه الغزوة تختلف عن غيرها من الغزوات من حيث بعد المسافة وقلة الزاد وشدة الحر وكثرة العدو وقوته . ولم يثبت أن امرأة خرجت مع المسلمين في هذه الغزوة فيكون منع النبي (ﷺ) المرأة أن تخرج معه في هذه الغزوة ليس منعاً مطلقاً لخروجها، وإنما لما اكتنف هذه الغزوة مما ذكر . وعلى فرض أن استئذان أم كبشة لم يكن في غزوة تبوك يكون منع النبي (ﷺ)

---

(١) هي أم كبشة القضاعية العذرية . لم يرد فى ترجمتها سوى الحدبث المذكور . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٣٨١ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٨٦-٤٨٧ .

(٢) أم سنان الأسلمية من المبايعات كانت تخرج مع النبي عليه السلام إلى الجمعة والعيدين . انظر الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٦٢-٤٦٣ .

(٣) انظر صحيح مسلم . كتاب الجهاد : باب غزوة النساء مع الرجال : ١٢/ ١٨٧-١٨٨ .

لها الخروج يرجع إلى مانع خاص بها يمنعها من الخروج . يقول الإمام البغوي [(١)] بعد ذكر حديث أنس في خروج أم سليم ونسوة من الأنصار مع رسول الله(ﷺ): «في الحديث دليل على جواز الخروج بالنساء في الغزو لنوع من الرفق والخدمة فإن خاف عليهن لكثرة العدو وقوتهم أو خاف فتنتهن لجمالهن ، وحداثة أسنانهن ، فلا يخرج بهن وقد روى عن النبى(ﷺ) أن نسوة خرجن معه فأمر بردهن [(٢)] فيشبه أن يكون رده إياهن لأحد هذين المعنيين . ويؤكد عدم النسخ – الذى ذهب إليه ابن حجر – استمرار خروج المرأة للغزو بعد وفاة النبي (ﷺ) في عهد أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة كخروج أم عمارة إلى اليمامة وخروج النساء يوم اليرموك وخروج المرأة فى غزو البحر في عهد عثمان وغير ذلك . ولم ينكر أحد من الصحابة خروجها على النحو الذى خرجت عليه في عهد رسول الله (ﷺ) ولو ثبت عند صحابة رسول الله (ﷺ) منعه المرأة من الخروج للجهاد لوقف الصحابة رجالاً ونساء عند ذلك ولم يخالفوه . والله أعلم .

وروى البزار [(٣)] عن أنس قال: «أتت النساء رسول الله (ﷺ) فقلن يارسول الله ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله فمالنا عمل ندرك به عمل الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال مهنة إحداكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله » .

فهذا الحديث الذي بين أن قيام المرأة بواجبها في بيتها يعدل الجهاد في سبيل الله قد يفهم منه منع المرأة من الخروج للجهاد بناء على أن رعاية زوجها تغني عن مشاركتها في الجهاد وليس الأمر كذلك ، وإنما يدل الحديث على أن الجهد الذي تبذله في رعاية زوجها وأبنائها وشئون بيتها يعدل أجر الجهاد في سبيل الله وأنها إن قامت بذلك خير قيام فهي مجاهدة في سبيل الله ، ولا يجوز لها أن تهمل واجبها فى بيتها . وتقدم عليه الخروج للجهاد ، لأن القيام بوظيفتها في البيت أمر واجب عليها والجهاد غير واجب ولا يجوز

---

(١) شرح السنة : ١١/ ١٣-١٤ .

(٢) وأشار المحقق إلى حديث أم كبشة .

(٣) انظر مجمع الزوائد : كتاب النكاح باب ثواب المرأة على طاعتها لزوجها : ٤/ ٣٠٤ . وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى والبزار وفيه روح بن المسيب وثقه ابن معين والبزار وضعفه ابن حبان .

ترك الواجب لما ليس بواجب .

أما المنع من خروجها للجهاد فلا دليل في الحديث عليه . والله أعلم .

اتضح من كل سبق جواز خروج المرأة للجهاد، إلا أن هذا الجواز ليس على إطلاقه، بحيث تخرج المرأة بدون أن يكون خروجها مشروطاً بما يكفل السلامة ويحقق المصلحة لها ولغيرها . فإن الجهاد غير واجب على المرأة ، وهي إن خرجت إنما تطلب تحصيل الثواب من الله وتحقيق العون للمسلمين فلابد أن يكون خروجها مقيداً بضوابط تكفل لها تحقيق الغاية التى خرجت من أجلها ، خروجاً يمنعها من الوقوع في الإثم ويجنبها والمسلمين سوء العواقب .

من هذه الضوابط :

أولاً : كثرة جيش المسلمين وقوته .

ثانياً : خروج العجائز دون الشواب .

ثالثاً : استئذان المرأة زوجها في الخروج للجهاد .

رابعاً : عدم خروج المرأة بدون محرم .

أولاً : كثرة جيش المسلمين وقوته :

ليس كل غزوة يمكن للمرأة أن تخرج فيها ، فإذا كان جيش المسلمين قليل العدد مقابل كثرة جيش العدو وقوة رجاله فلا تخرج المرأة ، لئلا تعرض نفسها لما لا تحمد عقباه مما قد يحدث من ظفر العدو بها . لذا كره الفقهاء خروج المرأة في سرية لا يؤمن عليها، بخلاف خروجها في جيش عظيم ينتفع بخروجها ويحافظ عليها . جاء في الهداية شرح بداية المبتدى [(١)]:

«ولا بأس بإخراج النساء والمصاحف مع المسلمين إذا كانوا عسكراً عظيماً يؤمن عليه لأن الغالب هو السلامة والغالب كالمتحقق ويكره إخراج ذلك في سرية لا يؤمن

(١) الهداية (مع فتح القدير) للمرغيناني: ٤/ ٢٨٨ .

عليها لأن فيه تعريضهن على الضياع والفضيحة وتعريض المصاحف للاستخفاف» .

ثانياً : خروج العجائز دون الشواب :

ذهب الفقهاء إلى أن الأولى في خروج النساء للجهاد أن يكن متقدمات في السن ويكره خروج الشواب .

وذلك لأن خروج المرأة إلى الجهاد لابد أن يكون محققاً لنفع أو دافعاً لضر ، والمرأة الشابة يغلب عليها الخوف والهلع والجبن، وعدم الثبات عند رؤية القتلى في ساحات الحروب. كما أنها متصفة بقلة التحمل وسرعة الانهيار عند رؤية الشجار واحتدام المعركة ، فيقل النفع الذي يرجى من خروجها . كما أن المرأة الشابة تحتاج إلى من يرعاها ويحافظ عليها ، فإذا كثر خروج الشواب أصبحن عبئاً ثقيلاً على الجيش لاحتياجهن إلى الحماية بينما العجائز في الغالب أشد جرأة، وأقوى ثباتاً، وأكثر إقداماً من الشواب فينتفع بهن الجيش في الأعمال الخاصة بهن، كما أنه لا مطمع للأعداء فيهن وبالتالي يقل أنشغال الجيش بحمايتهن . جاء فى الهداية شرح بداية المبتدى[١]: «والعجائز يخرجن في العسكر العظيم لإقامة عمل يليق بهن كالطبخ والسقى والمداواة ، فأما الشواب فمقامهن فى البيوت أدفع للفتنة، ولا يباشرن القتال لأنه يستدل به على ضعف المسلمين إلا عند الضرورة، ولا يستحب إخراجهن للمباضعة والخدمة فإن كانوا لابد مخرجين فبالإماء دون الحرائر» .

وقال ابن قدامة[٢]: «ولا يدخل مع المسلمين من النساء إلى أرض العدو الا الطاعنة في السن لسقي الماء ومعالجة الجرحي كما فعل النبي (ﷺ) وجملته أنه يكره دخول النساء الشواب أرض العدو لأنهن لسن من أهل القتال وقلما ينتفع بهن فيه لاستيلاء الخور والجبن عليهن ولايؤمن ظفر العدو بهن فيستحلون ما حرم الله منهن ... فأما المرأة الطاعنة فى السن وهى الكبيرة إذا كان فيها نفع مثل سقي الماء ومعالجة الجرحى فلا

(١) المرجع السابق : ٤/ ٢٨٩ .
(٢) المغني: ٨/ ٣٦٥-٣٦٦ .

بأس به ... وكانت أم سليم ونسيبة بنت كعب تغزوان مع النبي (ﷺ) فأما نسيبة فكانت تقاتل وقطعت يدها يوم اليمامة وقالت الربيع كنا يغزو مع النبي (ﷺ) لسقي الماء ومعالجة الجرحى ... فإن قيل فقد كان النبي (ﷺ) يخرج معه من تقع عليها القرعة من نسائه وخرج بعائشة مرات، قيل تلك امرأة واحدة يأخذها لحاجته إليها ويجوز مثل ذلك للأمير عند حاجته ولا يرخص لسائر الرعية لئلا يفضي إلى ما ذكرنا».

ثالثاً : استئذان المرأة زوجها في الخروج للجهاد :

لا يجوز للمرأة أن تخرج للجهاد تطوعاً بدون إذن زوجها؛ وذلك لأن القيام بحقوق الزوجية أمر واجب عليها والتطوع لا يقدم على الواجب .

يقول ابن الهمام[(١)]: «ولا تقاتل المرأة إلا بإذن زوجها لحق الزوج». وللزوج منع زوجته من الخروج للجهاد أو لغيره مماليس بواجب عليها .

يقول ابن قدامة[(٢)]: «وللزوج منعها من الخروج من منزله إلى ما لها منه بد ... لأن طاعة الزوج واجبة ... فلا يجوز ترك الواجب لما ليس بواجب. ولا يجوز لها الخروج إلا بإذنه ولكن لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما لأن في ذلك قطيعة رحم وحملاً لزوجته على مخالفته وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف وليس هذا من المعاشرة بالمعروف» .

ويقول ابن تيمية[(٣)] : «... فالمرأة عند زوجها تشبه الرقيق والأسير، فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة» .

ويقول[(٤)]: «لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه ... وإذا خرجت من بيت

---

(١) انظر فتح القدير (شرح الهداية) : ٤/ ٢٨٩ ، انظر حاشية ابن عابدين : ٤/ ١٢٥ -١٢٦ وانظر الفقه الإسلامي وأدلته، وهبه الزحيلي : ٦/ ٤١٦-٤١٧ ، ط ١ (بيروت : دار الفكر) .

(٢) المغني (مع الشرح الكبير لشمس الدين ابن قدامة) : ٨/ ١٢٩ ،طبعة جديدة ١٤٠٣ (بيروت : دار الكتاب العربي)، وانظر الإقناع فى فقه أحمد بن حنبل للحجاوى المقدسي : ٣/ ٢٤٣ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٣٢/ ٢٦٣ .

(٤) المرجع السابق : ٣٢/ ٢٨١ .

زوجها بغير إذنه كانت ناشزة عاصية لله ورسوله، ومستحقة للعقوبة» .

وأما غير المزوجة فتستأذن والديها في الخروج للجهاد لحق الوالدين وبراً بهما قياساً على استئذان الولد والديه في الخروج للجهاد[١] بل إن إستئذان المرأة والديها أولى من استئذان الولد؛ لأن الولد وهو ممن وجب عليه الجهاد على الكفاية يجب أن يستئأذن والديه فكيف بمن لا يجب عليه الجهاد أصلاً؟ وبر الوالدين واجب فلا تقدم الجهاد عليه .

رابعاً : عدم خروج المرأة للجهاد بدون محرم:

لا يجوز للمرأة أن تخرج للجهاد بدون محرم، لأن الخروج للجهاد يعتبر سفراً ولا يحل للمرأة ان تسافر بدون محرم والمحرم هو الأب أو الأخ أو الزوج أو الإبن أو ذو محرم منها .

والدليل على ذلك مارواه مسلم[٢] وأبو داود[٣] و البيهقى[٤] بأسانيدهم عن عبد الله بن عمر عن النبي (ﷺ) قال: «لايحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها ذو محرم» وروى مسلم[٥] وأبو داود [٦] بإسناديهما عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ﷺ): «لا يحل لمرأة تؤمن بالله واليوم الأخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو ابنها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها» .

وروى مسلم[٧] وأبو داود[٨] بإسناديهما عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال:

---

(١) سيأتي الحديث عن استئذان الولد والديه في الجهاد ص ٣٥٥ من الرسالة .
(٢) في الصحيح كتاب الحج : باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج أو غيره : ٩/ ١٠٣ ، (واللفظ له) .
(٣) في السنن كتاب المناسك : باب فى المرأة تحج بغير محرم : ٥/ ١٥٤ (بنحوه) . (من عون المعبود
(٤) في السنن كتاب الحج باب المرأة تنهى عن كل سفر لايلزمها بغير محرم : ٥/ ٢٢٧ (بنحوه)
(٥) في الصحيح كتاب الحج : باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغير ه : ٩/ ١٠٨ : (واللفظ له) .
(٦) في السنن كتاب المناسك باب فى المرأة تحج بغيرمحرم : ٥/ ١٥٣ (بتقديم وتأخير) (من عون المعبود) .
(٧) في الصحيح كتاب الحج : باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره : ٩/ ١٠٧ (واللفظ له) .
(٨) في السنن كتاب المناسك : باب في المرأة تحج بغير محرم : ١٤٨/ ١٤٩ . (بنحوه) (من عون المعبود) .

«لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الأخر تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم» .

كما ثبت أن النبي (ﷺ) أمر الرجل الذي اكتتب في غزوة وخرجت امرأته حاجة أن يترك الغزو ويخرج مع امرأته .

فروى البخاري[١] ومسلم[٢] والبيهقي[٣] باسانيدهم عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال النبي(ﷺ): «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم. فقال رجل يارسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج ، فقال : أخرج معها» .

وإذا كان النبي (ﷺ) أم بمرافقة المحرم للمرأة في الحج وهو الذى يغلب فيه تحقق الأمن والطمأنينة فكيف بحال الحرب التي يشتد فيها القتل والسلب وقد ثبت بالإستقراء أن النساء اللاتي خرجن مع النبي (ﷺ) في غزواته خرجن بمحارمهن ، آباء أو أزواجاً أو إخواناً أو أبناء أو غير ذلك من محارمهن .

المسألة الثالثة: جهاد المرأة في حالة النفير :

اتضح مماسبق أن الخروج للجهاد ومقاتلة الأعداء وفتح البلد لا يجب على المراة لكن إن هجم العدو على البلد ولم تحصل الكفاية بالرجال وجب على النساء أن يشاركن بقدر استطاعتهن ، وكذا إذا استنفر[٤] الإمام الناس للخروج للجهاد رجالاً ونساء وجب على النساء الاستجابة لهذا الاستنفار ؛ وإذا استنفر الإمام امرأة بعينها للخروج وجب عليها أن تخرج .

---

(١) في الصحيح كتاب جزاء الصيد : باب حج النساء : ٤/ ٧٢ . (واللفظ له) .

(٢) في الصحيح : كتاب الحج : باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٩/ ١٠٩-١١٠ . (بنحوه) .

(٣) في السنن . كتاب الحج : باب الأختيار لوليها أن يخرج معها : ٥/ ٢٢٦ (بنحوه) .

(٤) الاستنفار : الاستنجاد والاستنصار : أي إذا طلب منكم النصرة فأجيبوا وانفروا خارجين إلى الإعانة . النهاية لابن الأثير : ٥/ ٩٢ ، لسان العرب لابن منظور : ٥/ ٢٢٥ .

جاء في فتح القدير [١]: «ولا تقاتل المرأة إلا بإذن زوجها ... إلا أن يهجم العدو على بلد للضرورة وقال الشارح: لأن الجهاد حينئذ يصير فرض عين ولا يظهر حق الزوج عنده» .

وفي حاشية ابن عابدين [٢] : «وفرض عين أن هجم العدو فيخرج الكل ولو بلا إذن» .

وبين الشارح أن المراد بالكل المرأة والعبد والمدين وغيرهم .

وفي بدائع الصنائع [٣]: فأما إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد فهو (أى الجهاد) فرض عين يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[٤]... قيل نزلت في النفير ... فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل ، فبقي فرضاً على الكل عيناً بمنزلة الصوم والصلاة ، فيخرج العبد بغير إذن مولاه والمرأة بغير إذن زوجها .

وجاء في بلغة السالك[٥]: «وتعين الجهاد بتعيين الإمام لشخص ولو عبداً أو أمرأة ، وتعين أيضاً بفجء العدو محلة قوم ، وتعين على من بقربهم إن عجزوا عن دفع العدو بأنفسهم وإن كان من فجيء أو من بقربه أمرأة أو رقيقاً» .

وقال ابن حجر [٦]: «ويتعين (أي الجهاد) على من عينه الإمام» . وقد فهم الفقهاء من النصوص العامة الواردة في وجوب النفير وذم الذين يتخلفون عن الاستنفار شمولها للنساء إذا احتاج الأمر إلى ذلك كقوله تعالى ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ وقوله

---

(١) فتح القدير لابن الهمام : ٤/ ٢٨٩ .

(٢) حاشية ابن عابدين : ٤/١٢٦-١٢٧ .

(٣) بدائع الصنائع للكاساني : ٧/ ٩٨ ، وانظر الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي: ٦/ ٤١٦-٤١٧ .

(٤) سورة التوبة آية (٤١) .

(٥) بلغة السالك للصاوي: ١/ ٣٣١ .

(٦) فتح الباري: ٦/ ٣٨ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[١] ، وقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[٢] .

وقول النبي (ﷺ) فيما رواه عن ابن عباس: «إذا أستنفرتم فانفروا»[٣] .

والذي يظهر أن مشاركة المرأة عند هجوم العدو على البلد ليست على إطلاقها بحيث يجب عليها الخروج بمجرد هجوم العدو ، فإن أمر الاستنفار بيد الإمام وهو الذي يقرر ما يحقق مصلحة المسلمين ويكفل حفظ نسائهم. فمشاركة المرأة تكون عند الضرورة. كأن يباغت العدو البلد ولا يكون في الرجال ما يكفي لصده. أو يستنفر الإمام النساء ، أما إذا لم ينص على النساء في النفير ، أو كان في الرجال ما يكفى لصد العدو فلا يجب على المرأة أن تخرج ، فإن النبي ﷺ لم يستنفر النساء في غزوة تبوك التي كان النفير فيها عاماً ، وفي غزوتي أحد والأحزاب التي كان فيها هجوم على المدينة ، لأنه لم ير مصلحة في استنفارهن ولم تستدع الضرورة ذلك .

أما إن هجم العدو على المرأة في بيتها ولم يكن هناك من يدافع عنها فتدافع عن نفسها أو عن غيرها بما تستطيع ، ولا يشترط في ذلك إذن الإمام ، فإن صفية[٤] يوم الأحزاب عندما كانت في الحصن مع النساء ورأت يهودياً يطوف بالحصن قامت بقتله

---

(١) سورة التوبة آية (٣٨) .

(٢) سورة التوبة آية (١٢٠) .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الجهاد : باب وجوب النفير : ٦/ ٣٧ (من فتح البارى) .

(٤) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية ، عمة رسول الله (ﷺ) . أم الزبير ابن العوام . شقيقة حمزة . لم يختلف فى إسلامها ، من عمات النبي عليه السلام . تزوجها الحارث بن حرب فى الجاهلية ، فمات عنها ، فتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير . وتوفيت سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ١٧٢-١٧٣ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٤٨-٣٤٩ .

وقطع رأسه ثم رمت به إلى اليهود[1] . فقامت بهذا العمل دفاعاً عمن في الحصن من النساء والذرية ، ولم تستأذن النبي (ﷺ) في هذا الأمر ؛ لأن الدفاع عن النفس واجب ولا يحتمل أستئذان أحد .

كما يلاحظ أن المرأة إذا شاركت سواء أُستنفرت أم لا ، فإن مشاركتها ليست كمشاركة الرجل في مواجهة الأعداء فهذا أمر لا تقدر عليه إنما تشارك مشاركة محدودة بقدر ما تستطيع .

والسبب في وجوب مشاركة المرأة في حالة النفير مع أن طبيعتها لم تتغير أن الحاجة ماسة فى هذه الحالة الطارئة إلى بذل أي جهد مستطاع ولو كان يسيراً ، وأن أي عمل يبذل مهما صغر له قيمته وأهميته في دفع العدو وتكثير السواد والمحافظة على الدين والدفاع عن البلد وغير ذلك .

والإسلام يعرف للمرأة قدرها ، ويسند إليها المهمات التي تليق بها ، وتتفق مع ما جبلت عليه ، ولا يوجب عليها ما يرهقها ويشق عليها ويخرجها عن دورها الطبيعي . وهو لا يستبعدها عن المهمات الكبيرة استهانة بها ، واحتقاراً لجهودها ، إنما مراعاة لتكوينها ، وحماية لها من التبذل ، وصيانة لها مما قد ينالها من جراء خروجها وتصديها لأمور تخالف طبيعتها . وهو مع ذلك إن احتاجها في المسلمات فإنه يسند إليها المهام الكبيرة ويحملها إياها بشكل إستثنائى مؤقت .

ملخص المبحث:

١- دل الكتاب والسنة والإجماع على فرضية الجهاد على الرجال دون النساء .

٢- إن عدم وجوب الجهاد على المرأة لا يعني حرمة خروجها تطوعاً فقد ثبت خروج المرأة مع رسول الله (ﷺ) في غزواته ، ومن ثم ذهب العلماء إلى جواز خروجها للجهاد لمداواة الجرحى وسقي الماء والقيام بالخدمات العامة للجيش .

---

(١) سيأتي الحديث عن دور صفية يوم الخندق .

٣- يكره للمرأة أن تخرج في سرية لا يؤمن ظفر العدو بها بخلاف خروجها في جيش عظيم يدافع عنها وينتفع بها .

٤- يكره خروج النساء الشواب للجهاد دون العجائز اللاتى يحتاج إليهن ولا يخشى عليهن ما يخشى على الشواب .

٥- لا يجوز للمرأة أن تخرج للجهاد تطوعاً إلا بإذن زوجها وبمرافقة محرم لها .

٦- ذهب العلماء إلى أن التطوع بالحج أفضل للمرأة من التطوع بالجهاد .

٧- يجب الجهاد على المرأة عند هجوم العدو على البلد وعدم حصول الكفاية بالرجال ، وعند استنفار الإمام . وتكون مشاركتها محدودة بقدر ما تستطيع . والله أعلم .

المبحث الثاني

دور المـــرأة في الجهـــاد

كان للمرأة المسلمة شرف مشاركة المسلمين في معاركهم وفتوحاتهم ، تخدم الجيش في الأعمال التي تناسبها من سقي ، ومداواة ، وتمريض ، وصنع الطعام وغير ذلك . كما كانت لا تتأخر عن حمل السلاح ومباشرة القتال حين يستدعي الأمر ذلك . وضربت المرأة المسلمة أروع الأمثلة في الصبر على فقد أهلها وذويها الذين يستشهدون في المعركة ، واحتسبت ذلك عند الله عز وجل .

ولم تقتصر مشاركة المرأة في الجهاد على عهد الرسول ﷺ بل استمر خروجها للجهاد ومشاركتها للمسلمين في شهود المعارك بعدوفاة النبي ﷺ وكان لها نفس الأدوار والمواقف التي كانت لها في عهد النبي ﷺ .

ويتجلى دور المرأة في الجهاد في ثلاثة أمور :

الأول : خدمة المجاهدين .

الثاني : مباشرة القتال .

الثالث: الصبر على فقد الأهل في الجهاد .

المطلب الأول: خدمة المرأة للمجاهدين :

إن خروج المرأة للجهاد بغرض خدمة المجاهدين في سبيل الله عمل إنساني عظيم . تقوم فيه المرأة بخدمة أفراد الجيش فى نواح عديدة لا يستغنى عنها المجاهدون . ولو أوكل أمر القيام بهذه الأعمال إلى المجاهدين أنفسهم لانصرف بعض جهدهم إلى القيام بها . والمجاهدون بحاجة إلى من يقوم بهذه الخدمة حتى يتفرغوا لمهمتهم الرئيسية في قتال عدوهم .

والأعمال التي قامت بها المرأة المسلمة في خدمة المجاهدين هي السقى ، ومعالجة المرضى والجرحى ، وصنع الطعام ، ومناولة السهام ، وحمل القتلى والجرحى . وقد قام

بهذه الأعمال كثير من الصحابيات اللاتي كان لهن أدوار بارزة في معارك المسلمين منهن عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم، ونسيبة بنت كعب وغيرهن ... وفيما يلي سأعرض لبيان هذه الأعمال ودور المرأة المسلمة فيها :

السقي: إن مهمة سقى المجاهدين وتجهيز الماء لهم مهمة إنسانية كبيرة قامت بها المرأة المسلمة وكفت الرجال أمر الإنشغال بها عن قتال عدوهم، فساعدهم ذلك على الإستمرار في الجهاد والمضي في محاربة العدو. ذلك أن احتدام المعركة وأنشغال المقاتلين بالقتال وصد الأعداء أمر يصعب معه الحصول على الماء أو جلبه من مكانه مع شدة الحاجة إليه، فكانت المرأة المسلمة توفر للمقاتلين الماء سواء بجلبه من أمكنته أو تجهيزه في قِرَب للشرب، فلا يضطر المجاهد أن يغادر المكان الذى فرض عليه البقاء فيه من أجل الحصول على الماء، إضافة إلى قيام المرأة بسقي المصابين الذين تعرضوا لإصابات في المعركة .

وقد قام بهذا الدور الكثير من الصحابيات منهن عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم، والربيع بنت معوذ، وحمنة بنت جحش [1]، وأم سليط [2]، وغيرهن، في كثير من الغزوات مع النبي (ﷺ). منها غزوة أحد التي شارك فيها عدد من النساء المسلمات، وقمن بدورهن في خدمة المجاهدين أجلّ قيام. ففي هذه الغزوة عندما أغار المشركون على المسلمين من خلفهم من مكان الرماة وأشتد بالمسلمين الكرب وتفرق جمعهم وفر بعضهم وعمت بينهم الفوضى حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً، لم تجبن المرأة المسلمة أمام هذا الموقف العصيب أو تتخل عن دورها وتفر مع الفارين . بل ثبتت تقوم بمهمتها التي

---

(١) حمنة بنت جحش بن رياب تكنى أم حبيبة، وهي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النبي . أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله . كانت زوج مصعب بن عمير فقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٦٩، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٢٧٥ .

(٢) أم سليط امرأة من المبايعات وهى أم قيس بنت عبيد . ذكر عمر ابن الخطاب أنها كانت ممن يحمل القرب يوم أحد وكناها بابنها سليط بن أبي سليط . توفي زوجها فتزوجت مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٤٥ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٦٠ .

خرجت من أجلها . فكانت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم بنت ملحان وأم سليط وغيرهن يحملن القِرَبَ على ظهورهن وينتقلن بسرعة بين صفوف المجاهدين يسقين العطشى والمصابين ، ثم يرجعن يملأن القرب مرة أخرى فيسقين القوم وهكذا . . وكن يقمن بدورهن بكل إيمان وشجاعة في تلك الظروف القاسية .

ويحكى أنس بن مالك عن دور عائشة وأم سليم في هذه الغزوة فيما رواه عنه البخارى[١] ومسلم[٢] فيقول «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى (ﷺ) قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم[٣] سوقهن تنقزان[٤] القرب – وقال غيره : تنقلان القرب – على متونهما[٥] ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم» .

فدل هذا الحديث على ما تمتعت به عائشة وأم سليم رضي الله عنهما من شجاعة وجرأة ، حيث كانتا تتحركان بخفة وسرعة وسط تلك الجموع التي يقتل بعضها بعضاً ، مما يبرز حرصهما على مشاركة الرجال فى ذلك الموقف على اجتياز المحنة والدفاع عن رسول الله (ﷺ) وعن المسلمين ، ويدل على قوة إيمانها التي جعلتهما تثبتان وقد انهزم الكثير من الرجال ، تقومان بمهمتهما التي خرجتا من أجلها خير قيام .

وتذكر الربيع بنت معوذ أنها وغيرها من النساء كن يقمن بهذه المهمة مع رسول الله (ﷺ) في غزواته .

---

(١) في الصحيح . كتاب الجهاد: باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال: ٦/ ٧٨ (واللفظ له) (من فتح البارى) .

(٢) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب غزوة النساء مع الرجال : ١٢/ ١٨٩ (بنحوه جزء من حديث طويل) .

(٣) خدم : جمع خدمه وهو الخلخال ، ويجمع على خدام أيضاً . انظر النهاية لابن الأثير : ٢/ ١٥ .

(٤) النقز : الوثب . والمعنى يحملانها ويقفزان بها وثباً . انظر النهاية لابن الأثير : ٥/ ١٠٥-١٠٦ .

(٥) متونهما : أى ظهورهما . انظر لسان العرب لابن منظور : ١٣/ ٣٩٨ .

روى البخاري[١] بسنده عن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع النبي (ﷺ) فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة .

ويشهد الصحابي أبو أحمد بن جحش[٢] لحمنة بنت جحش بمشاركتها في سقي العطشى يوم أحد .

روى الطبراني[٣] بسنده عن أبي أحمد بن جحش أنه قال: «رأيت بعيني حمنة بنت جحش يوم أحد تسقي العطش وتداوي الجرحى» .

وكما كانت المرأة تقوم بسقي المجاهدين ، فقد كان من الطبيعي أن تحرص أيضاً على سلامة القِرَب التي تنقل فيها الماء . فإذا حدث تصدع أو ثقوب في القربة ، كانت تقوم بخياطتها وترقيع الثقوب وإعدادها لتعبئة الماء فيها للمجاهدين .

وقد قوبل هذا العمل الذى قامت به المرأة بالاعتراف بالفضل والتقدير والجهود التي بذلتها من الصحابة (رضى الله عنهم) .

فهذا عمر بن الخطاب كان يقسم عطاء بين نساء أهل المدينة فبقي كساء واحد فأشار عليه أحد الصحابة أن يعطيه حفيدة رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت على ابن أبي طالب[٤] التي كانت زوجة لعمر ولكن عمر تذكر ماكان من أم سليط يوم أحد من فضل فى سقي المجاهدين وحمل قرب الماء وخياطتها فرأى أنها أحق بالكساء من زوجته أم

---

(١) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب رد النساء الجرحى والقتلى : ٦/ ٨٠ (من فتح الباري) .

(٢) أبو أحمد بن جحش واسمه عبد بن جحش ، أسدى من أسد خزيمة . كان من السابقين إلى الإسلام وممن هاجر إلى المدينة . توفي بعد أخته زينب زوج النبي (ﷺ) وكانت وفاتها سنة عشرين . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٥/ ٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣-٤ .

(٣) انظر مجمع الزوائد . كتاب المناقب: باب فى حمنة بنت جحش : ٩/ ٢٦٢ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٧٠ .

(٤) أم كلثوم بنت على ابن أبي طالب أمها فاطمة بنت رسول الله(ﷺ) ولدت قبل وفاة رسول الله . تزوجها عمر ابن الخطاب وهي صغيرة فولدت له زيد بن عمر الأكبر ورقية ولما قتل عمر تزوجها عون ابن جعفر . وتوفيت وابنها زيد في وقت واحد . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٨٧ -٣٨٨ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٩٢ .

كلثوم بنت علي .

روى البخاري[١] بسنده عن ثعلبة بن أبي مالك[٢] إن عمر ابن الخطاب ﷺ قسم مُروطاً[٣] بين نساء من نساء المدينة فبقى مِرط جيد فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله (ﷺ) التى عندك – يريدون أم كلثوم بنت على – فقال عمر : أم سليط أحق وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله (ﷺ) قال عمر: فإنها كانت تزفر[٤] لنا القرب يوم أحد قال أبو عبدالله[٥] : تزفر تخيط .

وقد بين لنا عمر بفعله هذا أن مكانة المرء في الإسلام ليست بنسبه أو حسبه بل بما يبذل من جهود فى سبيل الله وما يقدم من تضحيات لدين الله فأم كلثوم وهي زوجة عمر وحفيدة رسول الله (ﷺ) لم يؤثرها عمر على امرأة من الأنصار كان لها السبق بالإسلام والنصرة والجهاد ، بل آثر أم سليط ورأى أنها أحق بالكساء من حفيدة رسول الله (ﷺ) لما كان لها من دور عظيم في غزوة أحد ولو لم يكن لدور أم سليط وغيرها أهميته في المعركة وأثره على المجاهدين ، لما استحق من عمر هذا الثناء ، وجعله يحفظ لها هذا الصنيع وقد مضى على غزوة أحد سنوات عديدة .

ويلاحظ أن مشاركة النساء يوم أحد كانت قبل نزول الأمر بالحجاب حيث ذكر أنس أنه رأى ساق عائشة وأم سليم ولم يكن النظر إلى النساء محرماً ، كما أن الحديث

---

(١) في الصحيح كتاب الجهاد باب حمل النساء القرب إلى الناس فى الغزو : ٧٩/٦ (من فتح الباري) .

(٢) ثعلبة بن أبى مالك القرظي . إمام بنى قريظة ولد على عهد النبي (ﷺ) له رؤية وروى عن النبي (ﷺ) انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢٩٢/١ .

(٣) المرط : الكساء ويكون من صوف وربما من خز أو غيره انظر النهاية لابن الثير : ٣١٩/٤ .

(٤) الزفر : الحمل . والزفر : القربة والمراد يحملنها مملوءة ماء . النهاية لابن الأثير : ٣٠٤/٢ .

(٥) أبو عبد الله هو البخاري صاحب الصحيح : وقال ابن حجر «تزفر : تخيط . كذا فى رواية المستملى وحده وتعقب بأن ذلك لايعرف في اللغة وإنما الزفر الحمل وهو بوزنه ومعناه ، وقال الخليل: زفر بالحمل زفراً : نهض به والزفر أيضاً القربة نفسها وقيل إذا كانت مملوءة ماء . ويقال للاماء إذا حملن القرب زوافر . . . وقال أبو صالح كاتب الليث : تزفر تخرز . قلت : فلعل هذا مستند البخاري في تفسيره» . فتح الباري: ٧٩/٦ -٨٠ ، وانظر عمدة القاري: ١٦٨/١٤ .

لايدل على تعمد النظر .

يقول ابن حجر [(١)] : «يحتمل أنها كانت من غير قصد للنظر» .

ويقول النووي[(٢)] : «وهذه الرؤية للخدم لم يكن فيها نهي لأن هذا كان يوم أحد قبل أمر النساء بالحجاب وتحريم النظر إليهن ولأنه لم يذكر هنا أنه تعمد النظر إلى نفس الساق فهو محمول على أنه حصلت تلك النظرة فجأة بغير قصد ولم يستدمها» .

أما بعد الأمر بالحجاب فلا يجوز للمرأة المسلمة التي تخرج للجهاد أن تنتقل بين صفوف الرجال لخدمتهم دون أن تكون ملتزمة بالحجاب الشرعي . فلا يجوز لها التكشف وإهمال الحجاب والستر بحجة أن الموقف يستدعى سرعة الخطو وخفة الحركة فالأمر بالحجاب أمر شرعي واجب عليها ، وخدمتها للمجاهدين غير واجبة . ولايجوز أن تقدم التطوع وتترك ما افترض عليها فيجب أن تكون خدمتها للمجاهدين ليس فيها سفور أو اختلاط أو خلوة ، وإلا فمقامها في بيتها خير لها ولهم .

مداواة الجرحى والمرضى: لابد للجيش أن يصطحب معه من يقوم بمداواة الجرحى الذين يتعرضون لإصابات أثناء القتال ، ومعالجة المرضى الذين يطرأ عليهم ما يعوقهم عن مواصلة الجهاد .وقد كان للمرأة المسلمة شرف القيام بهذا الدور في كثير من الغزوات . فكانت تقوم بدور الممرضة والطبيبة في آن واحد ، تقدم الرعاية والعناية للجريح أو المريض ، وتقوم بإعطائه الدواء المناسب له .

ولهذا الدور أهميته في الجهاد ، فبدون هذه الرعاية والعلاج إما أن يستمر المصاب فى القتال وهو فى حالة خطرة فيودى ذلك إلى هلاكه ، وإما أن يضطره جرحه للإنسحاب من المعركة وفي ذلك ما فيه من اضطراب فى صفوف المجاهدين . وبإسهام المرأة في هذا المجال يعود المجاهد إلى صفوف المقاتلين بعد أن ضمدت جراحه وتم علاجه .

وقد قام بهذا الدور الكثير من الصحابيات مثل أم سليم والربيع بنت معوذ وليلى

---

(١) فتح الباري : ٧٨/٦ .

(٢) شرح مسلم : ١٨٩/١٢ .

الغفارية[١] وأم عطية وفاطمة بنت رسول الله (ﷺ)وغيرهن وقد أقر النبى (ﷺ) قيام المرأة بهذا العمل عندما استاذنته أم سليم في الخروج معه إلى الجهاد وبين لها أن الجهاد لم يفرض على النساء فذكرت أن خروجها إنما هو للمداواة والسقي فأجاز ذلك .

روى الطبراني[٢] بسنده عن أنس بن مالك قال: قالت أم سليم: «يارسول الله أخرج معك إلى الغزو ؟ قال ياأم سليم إنه لم يكتب على النساء الجهاد قالت: أداوي الجرحى وأعالج العين وأسقي الماء . قال: فنعم إذاً » .

وروى مسلم[٣] والترمذي[٤] والطبراني[٥] بأسانيدهم عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله (ﷺ) يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى» .

وروى البخاري[٦] بسنده عن الربيع بنت معوذ قالت: «كنا مع النبي (ﷺ) نسقي ، ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة» .

وروى الطبراني[٧] بإسناده عن ليلى الغفارية قالت: «كنت أخرج مع رسول الله

---

(١) ليلى الغفارية . كانت تخرج مع النبي (ﷺ) فى مغازية ، تداوي الجرحى وتقوم على المرضى . حديثها عن النبى (ﷺ): أن النبي قال لعائشة: هذا على ابن أبى طالب أول الناس إيماناً .انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٢٥٩ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٠٣ .

(٢) انظر مجمع الزوائد . كتاب الجهاد: باب خروج النساء في الغزو : ٥/ ٣٢٤وقال الهيثمى لأنس حديث في الصحيح وغيره بغير سياقه ، ورواه الطبراني عن شيخه جعفر بن سليمان بن حاجب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

(٣) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب غزوة النساء مع الرجال: ١٢/ ١٨٨ (واللفظ له) .

(٤) في السنن . أبواب السير . باب ما جاء في خروج النساء في الحرب: ٥/ ١٩٦ (بنفس اللفظ) (من تحفة الأحوذي) .

(٥) انظر مجمع الزوائد . كتاب الجهاد : باب خروج النساء في الغزو: ٥/ ٣٢٤ وقال الهيثمى رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٦) في الصحيح . كتاب الجهاد: باب مداواة النساء الجرحى في الغزو: ٦/ ٨٠ (من فتح البارى) .

(٧) انظر مجمع الزوائد . كتاب الجهاد: باب خروج النساء في الغزو : ٥/ ٣٢٤ وقال الهيثمى : رواه الطبرانى وفيه القاسم بن محمد بن أبى شيبة وهو ضعيف .

(ﷺ)أداوى الجرحى» .

وروى مسلم [١] عن أم عطية الأنصارية قالت: «غزوت مع رسول الله (ﷺ) سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى» .

وكانت فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) ممن شهد أُحُداً وداوت جرح رسول الله (ﷺ) وغسلت وجهه الشريف بالماء ولما رأت ازدياد خروج الدم أخذت شيئاً من الحصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم وضعته على جرح رسول الله (ﷺ) فتوقف الدم .

روى البخاري[٢] وابن ماجه[٣] بإسناديهما أن سهل بن سعد[٤] سئل عن جرح رسول الله (ﷺ) فقال: «أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله (ﷺ) ومن كان يكسب الماء وبم دووى . قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله (ﷺ) تغسله وعلى يسكب الماء بالمجن[٥] فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم . . . الحديث» .

ولم يكن دور المرأة المسلمة في مداواة المجاهدين مقصوراً على ساحة الجهاد ، إنما كانت وهي في المدينة تقوم بنفس الدور الإنساني مستقبلة جرحى ومرضى المجاهدين مستعدة للعناية بهم وتقديم الدواء لهم .

ومن هؤلاء النسوة رفيدة الأسلمية[٦] التي اشتهرت بمداوة الجروح واختارها

---

(١) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب النساء الغازيات والنهى عن قتل صبيان أهل الحرب: ١٢/ ١٩٤ .

(٢) في الصحيح . كتاب المغازي: باب ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد : ٧/ ٣٧٢ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٣) في السنن . كتاب الطيب: باب دواء الجراحة: ٢/ ١١٤٧ (بنحوه) .

(٤) سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الساعدي كان اسمه حزناً فسماه رسول الله سهلاً عاش سهل وطال عمره قيل توفي سنة ثمان وهوابن ست وتسعين سنة . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٢/ ٣٢٠-٣٢١ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٨٨ .

(٥) المجن : هو الترس . النهاية لابن الأثير : ٤/ ٣٠١ .

(٦) انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١١٠-١١١ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٠٢-٣٠٣ .

الرسول (ﷺ) لعلاج سعد ابن معاذ[١] عندما أصيب برمية في معركة الخندق .

روى ابن هشام[٢]: «وكان رسول الله (ﷺ) قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله(ﷺ) قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب .

«فكانت تلك الخيمة أول مستشفى ميدانى عسكري في الإسلام ، ورفيدة الأسلمية كانت المشرفة عليه فاعتبرت بذلك أول ممرضة للميدان في الإسلام»[٣] .

وبذا قامت المرأة المسلمة بمعالجة مرضى المجاهدين وإسعاف المصابين منهم قياماً منها بالواجب ورغبة في مشاركة الرجل في الجهاد بقدر ما تستطيع .

ويلاحظ أن مداوة النساء للجرحى والمرضى أنما تكون لمحارمهن ، أما علاج الأجنبي فيكون ذلك في حدود الضرورة فقط .

يقول النووي[٤] فى حديث خروج أم سليم: «فيه خروج النساء في الغزو .

---

(١) سعد بن معاذ بن النعمان بن امريء القيس ، أمه كبشة بنت رافع . لها صحبة . أسلم على يد مصعب ابن عمير . كان أعظم الناس بركة في الإسلام أسلم على يده كثير من الصحابة شهد بدراً وأحداً والخندق . أصابه سهم يوم الخندق وجرح وانفجر عرقه وكان رسول الله يعوده . ثم توفى ودفنه رسول الله (ﷺ) ولما انصرف من جنازته جعلت دموعه تحادر على لحيته . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٢/ ٢٢١-٢٢٥ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣٧-٣٨ .

(٢) السيرة : ٢/ ٢٣٩ ، وانظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢/ ٢٢٢-٦/ ١١٠-١١١ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٠٢-٣٠٣ .

(٣) كتاب الطب وروائداته المسلمات : الدكتور عبدالله عبد الرزاق مسعود السعيد ص٢٤-٢٥ ط١ (الأردن : مكتبة المنار) . ممّاتجدر الأشارة إليه أنه يفهم من النصوص السابقة أن تعلم المرأة الطب أو التمريض أو الأسعافات الأولية أمر جائز شرعاً بل قد يكون مطلوباً فى بعض الحالات بشرط مراعاة الضوابط الشرعية فى ذلك بأن يتم التعلم على يد نساء ويكون بعيداً عن الاختلاط بالرجال أما التساهل بالحجاب وارتكاب المحظورات من خلوة أو مس ونحوه بحجة التعليم فلا يجوز في الإسلام لا يقر مبدأ الغاية تبرر الوسيلة

(٤) شرح مسلم : ١٢/ ١٨٨ .

والإنتفاع بهن في السقي والمداوة ونحوهما ، وهذه المداوة لمحارمهن وأزواجهن وماكان منها لغيرهم لا يكون فيه مس بشرة إلا فى موضع الحاجة» .

ويقول ابن حجر[١]: «عند شرح حديث الربيع بنت معوذ: «فيه جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبى للضرورة وقال ابن بطال: ويختص ذلك بذوات المحارم ثم بالمتجالات[٢] منهن لأن موضع الجرح لا يلتذ بلمسه بل يقشعر منه الجلد فإن دعت الضرورة لغير المتجالات فليكن بغير مباشرة ولامس ويدل على ذلك اتفاقهم على أن المرأة إذا مات ولم ماتت ولم توجد امراة تغسلها أن الرجل لا يباشر غسلها بالمس بل يغسلها من وراء حائل في قول بعضهم كالزهرى وفي قول الأكثر تيمم وقال الأوزاعى تدفن كما هي . قال ابن المنير: الفرق بين حال المداوة وتغسيل الميت أن الغسل عبادة والمداوة ضرورة والضرورات تبيح المحظورات» .

ويقول الكرماني[٣] :إن كان المداواة لغير المحارم لا تمس البشرة إلا عند الحاجة .

ويقول القسطلاني[٤]: «(ونداوى منهم الجرحى) من غير لمس بأن يصنعن الدواء ويضعه غيرهن على الجرح أو المراد المتجالات منهن لأن موضع الجرح لايلتذ بلمسه بل يقشعر منه الجلد، وتهابه النفس ولمسه مؤلم للامس والملموس والضرورات تبيح المحظورات» .

وزاد البدر العيني[٥] : «وقد يمكن أن يضعنه - أي الدواء - من غير مس شيء من جسده» .

اتضح من أقوال العلماء السابقة جواز مداواة المرأة للرجل الأجنبي ولكن المرأة

---

(١) فتح الباري : ٦/ ٨٠

(٢) المتجالات : أي الكبيرات في السن : لسان العرب لابن منظور : ١١٦/١١ .

(٣) فى شرح صحيح البخارى : ١٢/ ١٥٤ .

(٤) إرشاد الساري : ٥/ ٨٥ .

(٥) عمدة القاري : ١٦٩/١٤ .

التي تباشر المداواة تكون من الكبيرات في السن ولايسمح لغيرها إلا عند الضرورة كما أن المرأة عند مباشرتها المداواة لاتتجاوز قدر ماتحتاج إلية المداواة فلاتمس أى موضع من الرجل من غير ضرورة والضرورات تبيح المحظورات .

صنع الطعام: الطعام من الضروريات التي لايستطيع الإنسان الإستغناء عنها ليواصل نشاطه في الحياة. والمجاهد في ساحة الحرب يبذل من الجهد أقصاة، ويحتاج بدنه إلى ما يقويه على مواصلة القتال، وبدون الغذاء لا يستطيع الجيش مواصلة جهاده .

واحتدام المعركة وتقابل الصفوف وقت الحرب لايدع مجالاً لأن يتفرغ المجاهدين لإعداد الطعام، ثم بعد هدوء المعركة يكون الجيش منهكاً منهار القوى يحتاج إلى من يعد له الطعام ويقدمه له .

وقد صاحبت المرأة المسلمة المجاهدين في كثير من الغزوات تقوم بمهمة صنع الطعام وتجهيزه لهم. وجميع من خرج من النساء للجهاد قمن بهذه المهمة التي تجيدها كل امرأة وممن بذل جهداً كبيراً في هذا المجال أم عطية الأنصارية التي رافقت رسول الله (ﷺ) في كثير من الغزوات .

روى مسلم[1] وأحمد[2] وابن ماجة[3] بأسانيدهم عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: «غزوت مع رسول الله (ﷺ) سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرح وأقوم على المرضى». والأمر في إعداد الطعام وتجهيزه للمجاهدين كالأمر في السقي من حيث مراعاة المراة للحجاب والبعد عن الأختلاط بالرجال .

مناولة السهام: كانت المرأة المسلمة تقوم بدور فدائي عظيم وذلك بمساعدة المجاهدين فى مناولة السهام حيث أن الرماة يكون لهم مكان مخصص يؤثر تحركهم منه على سير

---

(١) في الصحيح كتاب الجهاد : باب النساء الغازيات :١٢/ ١٩٤ (واللفظ له) .

(٢) في المسند. كتاب الجهاد باب استصحاب النساء فى الغزو :١٤/ ٥٣ (بتقديم وتأخير) (من الفتح الرباني) .

(٣) في السنن. كتاب الجهاد : باب العبيد والنساء يشهدون مع المسلمين :٢/ ٩٥٢ (بنفس اللفظ) .

المعركة كما حدث في غزوة أحد حيث كان سبب هزيمة المسلمين هو مخالفة الرماة لأمر رسول الله (ﷺ) ومغادرتهم لأماكنهم فانكشف بذلك ظهر المسلمين، وأغارت عليهم قريش من خلفهم من مكان الرماة .

فكانت مساعدة المرأة في مناولة السهام وإمداد كل رام بها وهو في مكانه مهمة تساعد على إتمام عمل الجيش كما هو مخطط له كما تدل على شجاعة المرأة وجرأتها في التحرك بين المجاهدين .

روى أبوداود[(١)] وأحمد [(٢)]بإسناديهما عن حشرج بن زياد[(٣)] عن جدته [(٤)] أم أبيه: «أنها خرجت مع رسول الله (ﷺ) في غزوة خيبر سادس ست نسوة فبلغ رسول الله (ﷺ) فبعث إلينا فجئنا فرأينا فيه الغضب فقال مع من خرجتن ؟ وبإذن من خرجتن ؟ فقلنا: يارسول الله خرجنا نغزل الشعر ونعين به في سبيل الله، ومعنا دواء للجرحى ونناول السهام ونسقي السويق[(٥)] . فقال : قمن[(٦)] . حتى إذا فتح الله عليه خيبر أسهم لنا كما أسهم للرجال»[(٧)] .

---

(١) في السنن كتاب الجهاد : باب المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة : ٧/ ٤٠١ ، (واللفظ له) وسكت عنه أبو داود (من عون المعبود) وقال الشوكاني: سكت عنه أبو داود وفى إسناده رجل مجهول وهو حشرج قاله الحافظ فى التلخيص وقال الخطابى : إسناده ضعيف لاتقوم به حجة ، نيل الأوطار: ٧/ ٢٨٠ ، وانظر تحفة الأحوذي: ٥/ ١٦٧- ١٦٨ .

(٢) في المسند كتاب الجهاد: باب استصحاب النساء فى الغزو: ١٤/ ٥٣ (بنحوه) (من الفتح الربانى) .

(٣) حشرج بن زياد الأشجعى . ذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن حزم والقطان إنه مجهول . وقال ابن حجر : قرات بخط الذهبي لايعرف . تهذيب التهذيب لابن حجر : ٢/ ٣٧٧

(٤) لم يرد في ترجمتها سوى ما ذكر ، انظر أسد الغابة لأبن الأثير: ٦/ ٣٣٤ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٥٣- ٤٥٤ .

(٥) السويق شراب يصنع من الحنطة والشعير . انظر لسان العرب لابن منظور : ١٠/ ١٧٠ ، وانظر الفتح الربانى : ١٤/ ٥٣ .

(٦) وفى رواية أحمد «قمن فانصرفن» .

(٧) ليس في الحديث مايدل على عدم جواز خروج المرأة للجهاد أو منعها من ذلك فإن غضب النبي (ﷺ) على أولئك النسوة لعله كان بسبب خروجهن بدون محارم في قوله: «مع من خرجتن »؟ وعدم استئذان أوليائهن في قوله: «وبإذن من خرجتن» أو لغير ذلك . ولو كان مراد النبي (ﷺ) منعهن من الخروج مطلقاً لبين ذلك ولما أعطاهن من الغنيمة ولما خرجت المرأة فى حنين بعد خيبر ، بل بعد الفتح . والله أعلم .

يقول البدر العينى[١] معلقاً على الحديث السابق: «تناول السهام: يعني للغزاة. والمناول للغازي أجره مثل أجر الغازى . كما للمناول السهم للرامي في غير الغزاة، وأجر المناول في الغزاة بطريق الأولى .

حمل القتلى والجرحى: ومن المهام العظيمة التي قامت بها المرأة المسلمة في معارك المسلمين، حمل القتلى وردهم إلى المدينة، تكريماً لهم وحماية لأجسادهم من أن يمثل بها الأعداء وكذلك رد الجرحى الذين تعرضوا في المعركة لإصابات بالغة حتى يتلقوا الرعاية والعلاج في منازلهم .

روى البخاري[٢] بسنده عن الربيع بنت معوذ قالت: «كنا مع النبي (ﷺ) نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة» .

وفي رواية أخرى[٣] قالت: «كنا نغزو مع النبي (ﷺ) فنسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة» .

قال البدر العيني[٤] : «قال ابن التين: كانوا يوم أحد يجمعون الرجلين والثلاثة من الشهداء على دابة وتردهن النساء إلى موضع قبورهم» .

وحال المرأة في رد القتلى والجرحى كحالها في معالجة المرضى، فلا يجوز أن تمس بشرة رجل إلا عند الضرورة .

قال الشوكانى [٥]: «وهكذا يكون حال المرأة في رد القتلى والجرحى فلا تباشر بالمس مع إمكان ما هو دونه» .

---

(١) عمدة القاري : ١٤/١٦٦ .

(٢) في الصحيح كتاب الجهاد : باب مداواة النساء الجرحى فى الغزو : ٦/ ٨٠ (من فتح الباري) .

(٣) في الصحيح :كتاب الجهاد : باب رد النساء الجرحى والقتلى : ٦/ ٨٠ (من فتح الباري) .

(٤) عمدة القاري : ١٤/ ١٦٩ .

(٥) نيل الأوطار : ٧/ ٢٤٠ .

المطلب الثاني: مباشرة المرأة للقتال :

كان خروج المرأة إلى الجهاد بهدف مساعدة الجيش في المهام السابق ذكرها من سقي ومداواة وصنع طعام وغير ذلك، ولم يكن بهدف المقاتلة ابتداء لأن القتال لم يفرض عليها . لكنها ما خرجت لأداء هذه المهام إلا وهي مستعدة لمباشرة القتال والدفاع عن نفسها أو عن المسلمين إذا لزم الأمر وقد حدث هذا بالفعل بأن باشرت المرأة المسلمة القتال في بعض الغزوات مع رسول الله (ﷺ) وبعده حينما اضطرت إلى ذلك .

ومن أبرز الشواهد على ذلك قتال المرأة في أحد والخندق، وحنين، واليمامة، واليرموك . وسنذكر أولاً بعض النماذج النائية التى باشرة القتال مع النبي (ﷺ)، ثم نماذج أخرى لمباشرة المرأة للقتال بعد عهد النبي (ﷺ) .

قتال المرأة في عهد النبي (ﷺ) :

قتال أم عمارة[١] يوم أحد: خرجت أم عمارة مع المسلمين في غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة لسقي العطشى ومداواة الجرحى كغيرها من النساء اللاتي خرجن في هذه الغزوة .

وكانت قريش ومن تبعها من العرب قد خرجت لحرب رسول الله (ﷺ) ثأراً لقتلاها فى بدر . وخرج رسول الله (ﷺ) بالمسلمين وعسكر في أحد جاعلاً الجبل خلفه والعدو أمامه . وحدد للرماة أماكنهم على الجبل وأمرهم ألا يغادروها . ودارت رحى المعركة، وكانت الغلبة للمسلمين، فهزموا المشركين حتى ولوا الأدبار وتركوا الغنائم خلفهم، فاخذ المسلمون يجمعونها، فرآهم الرماة الذين على الجبل فتاقت نفوسهم إلى مشاركة إخوانهم فى الغنيمة فغادرت طائفة منهم مكانها ، فانكشف بذلك ظهر المسلمين واستغل الأعداء ذلك، وأغاروا على المسلمين من خلفهم وفوجيء المسلمون بذلك فتحول النصر إلى هزيمة، واشتد القتل في صفوف المسلمين وتفرق جمعهم، وعلا

---

(١) سبقت ترجمتها .

صوت الكفار أن محمداً قد قتل، فاشتد هلع المسلمين، واضطربت صفوفهم، وانهزم بعضهم، وثبتت طائفة منهم تدافع عن رسول الله (ﷺ) وتحارب الأعداء [(١)].

وفي هذا الموقف الذي تزلزلت فيه الأقدام ، وبلغت القلوب الحناجر، وقفت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية موقفاً بطولياً عظيماً. فهي التي خرجت لتكون خلف الصفوف تسقي العطشى وتداوي الجرحى والمرضى لما رأت ما حل بالمسلمين من الكرب والبلاء، اشتد غيظها على أعداء الله. وزادت حميتها لجند الله، فشدت ثيابها على وسطها ودخلت ساحة المعركة وسط جموع المقاتلين تدافع عن رسول الله (ﷺ) مع المومنين الصادقين الذين التفوا حوله ولم تلفت أنظارهم الغنائم، بل كان كل همهم رد جموع المشركين التى أحاطت بالمسلمين. وقاتلت أم عمارة دون رسول الله (ﷺ) قتال الأبطال وتوالت عليها الضربات ، لكنها كانت ثابتة صامدة . .

وتحكى أم سعد بنت الربيع[(٢)] موقف أم عمارة فتقول: «دخلت على أم عمارة، فقلت لها: ياخالة خبرينى خبرك ، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله (ﷺ) وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين[(٣)]. فلما انهزم المسلمون، انحزت[(٤)] إلى رسول الله (ﷺ) فقمت أباشر القتال، وأذب عنه[(٥)] بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إلي. قالت:

---

(١) انظر السيرة لابن هشام : ٢/ ٦٠-٦٥ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ٣٦-٤٢ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ١٠٣-١٠٥ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٤/ ٩-١٦ .

(٢) أم سعد بنت سعد بن الربيع بن عمر و بن أبى زهير ، من بني الحارث بن الخزرج الأنصارى . وكانت يتيمة فى حجر ابى بكر الصديق . وكان ابوها قتل يوم أحد وهي حمل . أمها خلادة بنت أنس بن سنان من بنى ساعدة ، ولدتها أمها بعد قتل سعد بأشهر . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٣٨ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٥٦ .

(٣) الريح : أى النصر والدولة . لسان العرب لابن منظور : ٢/ ٤٥٥ .

(٤) انحزت : أى تركت مكانى وملت إلى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر لسان العرب لابن منظور : ٥/ ٣٤٠ .

(٥) أذب : أى أدافع وأمنع . لسان العرب لابن منظور : ١/ ٣٨٠ .

فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا ؟ قالت: ابن قمئة، أقمأه الله[١] ! لما ولى الناس عن رسول الله (ﷺ) أقبل يقول: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير[٢]، واناس مما ثبت مع رسول الله (ﷺ)، فضربني هذه الضربة. ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان[٣].

وهكذا لم يكن قيام أم عمارة بمهمة السقي والمداواة، عملاً يصرفها عن متابعة أحداث المعركة. حيث كانت تراقب ما يدور في الساحة، يقظة منتبهة، مستعدة لسد أي ثغرة. وحينما رأت انهزام المسلمين وتشتت جمعهم وإحاطة الأعداء بهم، قامت بدورها البطولي وسط تلك الجموع الهائجة وثبتت تدافع عن رسول الله(ﷺ) بقلب صادق مؤمن فيما عاهد الله عليه وأبلت بلاء حسناً وتصدت لابن قمئة الذي اقترب من الفئة الثابتة حول رسول الله (ﷺ) وقتل البطل الشهيد مصعب بن عمير صاحب اللواء[٤]، ثم مضى يبحث عن رسول الله(ﷺ) مهدداً ومتوعداً، فكانت أم عمارة أمامه تعوقه عن مبتغاه، فضربها في كتفها فأصابها بجرح عميق غائر، لم تقعدها عن أن ترد عليه بضربات عديدة اتقاها بدروعه وحالت دون وصوله إلى رسول الله (ﷺ) ولقد تأثرت بتلك الضربة التي غارت في عاتقها فظلت تداوي جرحها قرابة عام[٥].

ولم تكن ضربة ابن قمئة الجرح الوحيد الذي أصابها بل بلغت جراحها اثني عشر

---

(١) أقمأه الله: أي أذله الله. لسان العرب لابن منظور: ١/ ١٣٤.

(٢) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي العبدري من فضلاء الصحابة ومن السابقين إلى الإسلام. هاجر إلى الحبشة. ثم هاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن. شهد بدراً وأحد ومعه لواء رسول الله(ﷺ) وقتل بأحد شهيداً وكان عمره أربعين عاماً انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ٤٠٥-٤٠٨، الإصابة لابن حجر: ٣/ ٤٢١-٤٢٢.

(٣) السيرة لابن هشام: ٢/ ٨١-٨٢، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٤١٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٤/ ٣٤، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤١٨.

(٤) انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ٤٠٦.

(٥) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٧٩.

جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف [١] . ولم تقعدها هذه الجراح عن مواصلة القتال بل كانت أقوى وأشجع من بعض الرجال الذين أفزعهم الأمر وهالهم الموقف، فألقوا أسلحتهم خلفهم وولوا مدبرين .

وقد التقطت أم عمارة ترس أحد الفارين، وأخذت تدافع به عن رسول الله (ﷺ) . ووقفت أمام رجل من المشركين تصده عن رسول الله (ﷺ)، فضربها فأتقت ضربته بترسها فخاف المشرك وولى هارباً فتبعته وضربة عرقوب فرسه، فألقاه الفرس فأجهزت عليه هى وابنها .

تقول أم عمارة[٢] : «رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله(ﷺ) فما بقى إلا في نفير ما يتمون عشرة، وأنا وابناى وزوجى بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به منهزمين ورآني ولا ترس معي فرأى رجل مولياً ومعه ترس، فقال: ألق ترسك إلى من يقاتل، فألقاه، فأخذته . فجعلت أترس به عن رسول الله. وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ولو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله . فيقبل رجل على فرس فيضربنى وترست له فلم يفعل شيئاً، وولى، فأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبي (ﷺ) يصيح ياابن أم عمارة ، أمك! قالت : فعاونني عليه حتى أوردته شعوب [٣] .

ونال المشرك جزاءه على يد المرأة الفدائية أم عمارة، ولم تحمه فرسة أو ينجيه سلاحه، بل استطاعت وهي المرأة الراجلة العزلاء من السلاح أن تورده الموت .

وكانت أم عمارة تشجع أفراد أسرتها على الدفاع عن دينهم ونبيهم (ﷺ) فكانوا جميعاً درعا واقياً لرسول الله (ﷺ) . وعندما جرح ابنها عبد الله ابن زيد[٤] وهو يقاتل

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٤١٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٧٩، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٤١٤ .

(٣) شعوب: من أسماء المنية . لسان العرب لابن منظور : ١/ ٥٠١ .

(٤) عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف الأنصاري الخزرجي شهد بدراً وقيل أنه شهد أحداً وغيرها ولم يشهد بدراً وهو الصحيح وهو قاتل مسيلمة الكذاب رماه وحشي بالحربة ورماه عبد الله بالسيف فقتله . قتل يوم الحرة سنة ثلاث وسبعين . انظر اسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ١٤٦-١٤٧ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣١٢-٣١٣ .

معها وأخذ الدم ينزف من جرحه أسرعت إليه بلفائفها المعدة لذلك وضمدت جرحه وربطته ثم أمرته أن يعود إلى مقاتلة القوم مرة أخرى فكانت بعملها هذا موضع إعجاب وثناء النبي (ﷺ).

يقول عبد الله بن زيد[(١)] : «جرحت يومئذ جرحاً في عضدي اليسري، ضربني رجل كأنه الرقل [(٢)]، ولم يعرج على ومضي عني، وجعل الدم لا يرقأ [(٣)] فقال رسول الله(ﷺ): اعصب جرحك. فتقبل أمي إليّ، ومعها عصائب في حقويها[(٤)] قد أعدتها للجراح فربطت جرحي والنبي (ﷺ) واقف ينظر إليّ. ثم قالت: انهض بني فضارب القوم، فجعل النبي (ﷺ) يقول: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة قالت: وأقبل الرجل الذى ضرب ابني فقال رسول الله (ﷺ): هذا ضارب ابنك. قالت فأعترض له فأضرب ساقه فبرك. قالت: فرأيت رسول الله (ﷺ) يبتسم حتى رأيت نواجذه وقال: استقدت[(٥)] يا أم عمارة، ثم أقبلنا نعله[(٦)] بالسلاح حتى أتينا على نفسه فقال النبى(ﷺ) : الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك».

وهكذا يفوق حب أم عمارة لدينها ونبيها حبها لأبنائها. ويصبح أمر الدفاع عن الدعوة والحرص عليها أعظم شيء لديها وتوجه أم عمارة عاطفة الأمومة وحب الأبناء إلى مسارها الصحيح فتنشيء في نفس الإبن روح الفداء والتضحية بنفسه وأهله إذا رأى دعوة الله يحفها الخطر ويحيط بها الأعداء. وتحبب إليه الحصول على الشهادة التي هي مطلب المؤمنين الصادقين الموفين بالعهود. وتعطينا درساً بأن الحب الحقيقي للأبناء هو الذي يدفعهم إلى الإعتزاز بدينهم والدفاع عنه بكل ما يملكون وليس الذي يثبطهم

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤١٤، وانظر سير اعلام النبلاء للذهبي : ٢/ ٢٨٠ .
(٢) الرقل : النخلة الطويلة . النهاية لابن الأثير : ٢/ ٢٥٣ .
(٣) يرقأ: يسكن وينقطع . النهاية لابن الأثير : ٢/ ٢٤٨ .
(٤) الحقو : الخصر ومشد الإزار من الجنب . لسان العرب لابن منظور : ١٤/ ١٨٩ .
(٥) استقدت : أى انتقمت . والقود : القصاص . لسان العرب لابن منظور : ٣/ ٣٧٢ .
(٦) نعله : أى نتابع عليه الضرب . لسان العرب لابن منظور : ١١/ ٤٦٨ .

ويقعدهم عن نصرة دين الله ويجعل منهم جيلاً مدللاً متخاذلاً لا يقوى على مجاهدة الأعداء ولايصبر على تحمل المكروه ولم تكن أم عمارة المرأة التي تأمر ابنها بالأمر وتتقاعس عن أدائه، بل كانت القدوة الحيه أمامه، تجسد ما تأمر به عملاً حياً يشاهده الابن، فيزداد حماساً وإيماناً بما يفعل.

وقد شهد رسول الله (ﷺ) لأم عمار ة بأن موقفها هذا خير من مواقف غيرها من الرجال . ودعا لها ولأسرتها بمرافقته في الجنة. فازدادت بهذه البشرى التي تصغر دونها أعظم المصائب إيماناً وثباتاً على ما هي عليه، وعزماً وإصراراً على مواصلة الجهاد في سبيل الله ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

يقول عبد الله بن زيد[١]: «شهدت أحداً مع رسول الله(ﷺ) فلما تفرق الناس عنه دنوت منه أنا وأمي نذب عنه، فقال: ابن أم عمارة ؟ قلت: نعم. قال: ارم. فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر وهو على فرس فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت[٢] عليه منها وقراً[٣]. والنبي (ﷺ) ينظر يبتسم. ونظر جرح أمي على عاتقها فقال: أمك أمك، اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل البيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت، ومقام ربيبك – يعني زوج أمه[٤] – خير من مقام فلان وفلان. رحمكم الله أهل البيت. قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة. فقال : اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة. فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا».

إنها الصورة المشرقة للمرأة المسلمة التي وفت بالبيعة فجاهدت في سبيل الله

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤١٤-٤١٥ . وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢/ ٢٨٠-٢٨١ .

(٢) نضدت : أي جعلت الحجارة علية متراكمة بعضها فوق بعض . لسان العرب لابن منظور : ٣/ ٤٢٣-٤٢٤ .

(٣) وقراً : أي حملاً ثقيلاً . لسان العرب لابن منظو ر : ٥/ ٢٨٩ .

(٤) هو غزية بن عمرو ، زوج أم عمارة الذي شهد معها أحداً كما صرح بذلك ابن سعد انظر الطبقات الكبرى : ٨/ ٤١٢ ، وانظر إمتاع الأسماع للمقريزي : ١/ ١٣١ .

ودافعت عن رسول الله (ﷺ) وآمنت بصدق وعد الله للمجاهدين في سبيله بالنصر والتمكين في الدنيا، وبالجنة في الآخرة، فهانت فى عينها كل المحن والابتلاءات، وارتفعت فوق مستوى الألام الدنيوية ، لأن همتها ترمي إلى الغاية العظمى إلى مرافقة النبي (ﷺ) في الجنة .

وتزداد صورة المرأة المسلمة وضوحاً وإشراقاً إذا ما قورنت بحال المرأة المشركة ودورها في الحرب. فهذه هند بنت عتبة ، قائدة النساء المشركات اللاتي خرجن في أحد، وملهبة الحماس في نفوس الرجال ، كانت أثناء المعركة تؤجج نيران الثأر ، وتنادى بإبادة المسلمين. وعندما كان النصر للمسلمين ورفع عليها أحد الصحابة سيفه أخذت تصيح وتولول وكان هذا الصحابى هو أبو دجانة[(١)] الذي أعطاه رسول الله(ﷺ) سيفه ليقاتل به يوم أحد .

يقول الزبير ابن العوام[(٢)] متحدثاً عن أبى دجانة : «ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها»[(٣)] .

ويفسر أبو دجانة عدوله عن قتل هند بنت عتبة بقوله: «رأيت انساناً يحمش[(٤)] الناس حمشاً شديداً، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت

(١) أبو دجانه الأنصاري، اسمه سماك بن خرشة وقيل: سماك بن أوس بن خرشة الأنصاري الخزرجي، متفق على شهوده بدراً ، قاتل مع رسول الله يوم أحد حتى كثرت فيه الجروح ز واخذت سيف رسول الله(ﷺ) ففلق به هام المشركين . استشهد يوم اليمامة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٥/ ٩٥-٩٦ ، الإصابة لابن حجر : ٤/٥٨-٥٩ .

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي ابن عمة رسول الله (ﷺ) صفية بن عبد المطلب. وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وحواري رسول الله عليه السلام . أسلم وعمره اثنتا عشر ة عاماً، وهاجر الهجرتين . قتل في جماد الأولى سنة ست وثلاثين وله ست أو سبع وستون سنة. وكان الذي قتله رجل من بنى تميم غدراً بمكان يقال له وادى السباع . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢/٩٧-١٠٠ ، الإصابة لابن حجر : ١/ ٥٤٥-٥٤٦ .

(٣) السيرة لابن هشام : ٢/ ٦٩

(٤) يحمش : أي يحرضهم على القتال ويسوقهم إليه بغضب . لسان العرب لابن منظور : ٦/ ٢٨٨ .

سيف رسول الله(ﷺ) أن أضرب به امرأة» [١] .

هكذا كان حال النساء الكافرات اللاتي خرجن بدافع الثأر سرعان ماتخور قواهن ، وينهرن أمام الموقف الذي يستدعى الجرأة والشجاعة . أما النساء المسلمات اللاتي خرجن بدافع نصرة الله ورسوله (ﷺ) ، فقد ثبتن يقاتلن قتال الأبطال ، ولم يهربن أو ينهزمن كما فعل نساء الكفار عندما فررن هوارب من الموت يوم أحد .

يقول الزبير ابن العوام [٢]: «والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل ولا كثير» .

وقد بينت أم عمارة حال النساء الكافرات ودورهن في الغزو عندما سئلت: هل كان نساء قريش يوميذ يقاتلن مع أزواجهن؟ فقالت: أعوذ بالله مارأيت امرأة منهن رمت بسهم ولا بحجر ، ولكن رأيت الدفاف [٣] يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر ، ومعهن مكاحل ومراود ، فكلما ولى رجل أو تكعكع ناولته إحداهن مردوداً [٤] ومكحلة ويقلن: إنما أنت امرأة ، ولقد رأيتهن ولين منهزمات مشمرات ولـها عنهن الرجال على الأقدام ، فجعلن يسقطن في الطريق» [٥] فلم يزد دور المرأة المشركة عن إثارة الحماس ورد الهاربين ، وحين الكرب واشتداد الأمر لا ترى إلا مولولة أو هاربة .

وانتهت معركة أحد ورجعت قريش إلى مكة فرحة بنصرها وبهزيمة المسلمين . ولما كان الغد نادى رسول الله (ﷺ) بالخروج إلى حمراء الأسد [٦] لإرهاب الكفار وإشعارهم أن المسلمين لازالو على قوتهم وأن هزيمتهم لم تضعف قوتهم القتالية . وأمر أن لايخرج

---

(١) السيرة لابن هشام : ٢/ ٦٩ .
(٢) المرجع السابق : ٢/ ٧٧ .
(٣) الدفّ : والدُّف : الذي يضرب به النساء . لسان العرب لابن منظور : ٩/ ١٠٦ .
(٤) المرود : بكسر الميم – الميل الذي يكحل به لسان العرب لابن منظور : ٣/ ١٩١ .
(٥) المغازى للواقدى : ١/ ٢٧٢ .
(٦) حمراء الأسد : جبل احمر جنوب المدينة على عشرين كيلاً . تقع على الضفة اليسرى لعقيق الحساء انظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق البلادي : ١٠٥-١٠٦ .

معه أحد إلا من خرج إلى أحد . وكانت أم عمارة رضي الله عنها قد رجعت إلى المدينة وجراحها تنزف وآلامها تزداد ولكنها ما أن سمعت المنادي حتى عزمت على الخروج مع رسول الله(ﷺ) إلى حمراء الأسد إلا أن آلام الجراح اشتدت عليها ، فأقعدتها عن الخروج وبقيت في المدينة تداوى جراحها .

وعند قدوم رسول الله (ﷺ) من حمراء الأسد أرسل إليها شقيقها عبد الله بن كعب المازنى[(١)] يسأل عن حالها ، اهتماماً بشأنها وتقديراً لجهودها العظيمة ، واعترافاً بموقفها البطولى ، فطمأنه على صحتها فإبتهج النبى(ﷺ) لذلك .

قالت جدة ضمرة بن سعيد [(٢)]– وكانت قد شهدت أحداً تسقى الماء – سمعت النبى (ﷺ) يقول: «لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ، وكان يراها تقاتل يومئذ أشد القتال . وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشرة جرحاً فلما حضرتها الوفاة كنت فيمن غسلها ، فعددت جراحها جرحاً جرحاً فوجدتها ثلاثة عشر جرحاً . وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها وكان أعظم جراحها . فداوته سنة ثم نادى منادي رسول الله (ﷺ) إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم ، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح حتى أصبحنا ، فلما رجع رسول الله(ﷺ) من الحمراء ما وصل رسول الله (ﷺ) إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها ، فرجع إليه يخبره بسلامتها فسر بذلك النبى(ﷺ)»[(٣)] .

وقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) بعد رسول الله(ﷺ) يجلون أم عمارة ويحفظون لها جهودها العظيمة .

---

(١) عبد الله بن كعب بن عمر بن عوف بن مبذول الخزرجى النجاري المازني شهد بدراً وكان على غنائم رسول الله (ﷺ) يوم بدر شهد المشاهد كلها مع رسول الله(ﷺ) توفي سنة ثلاثين بالمدينة . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٢٦٨-٢٦٩ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣٦٢ .

(٢) جدة ضمرة بن سعيد ، صلت مع رسول الله (ﷺ) القبلتين : قالت : دخلت على رسول الله (ﷺ) فقال: اختضبي . قالت : فما تركت الخضاب . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٤٢٢-٤٢٣ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤١٣ .

فهذا عمر بن الخطاب أُتي بمروط ، فكان فيها مرط جيد واسع ، فقال بعضهم: إن هذا المرط لثمن كذا وكذا ، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد[١] فقال أبعث به إلى من هو أحق به منها . أم عمارة نسيبة بنت كعب ، سمعت رسول الله(ﷺ) يقول يوم أحد : ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني[٢] .

قتال صفية[٣] يوم الخندق: في غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة ، خرج نفر من اليهود إلى قريش ودعوهم إلى حرب رسول الله (ﷺ) . ثم ذهبوا إلى غطفان لمثل ذلك ، فاجتمعوا جميعاً وخرجوا لحرب رسول الله (ﷺ) ولما سمع رسول الله (ﷺ) بما أجمعوا عليه أمر بضرب الخندق على المدينة وجعل النساء والذرية في الحصون[٤] .

وكانت صفية بنت عبد المطلب في حصن لحسان بن ثابت . وقد أبقاه رسول الله(ﷺ) مع النساء في الحصن ، وذهب مع أصحابه إلى الخندق لصد الأعداء ومحاربتهم .

وفي أثناء انشغال المسلمين بأعدائهم ، أخذ أحد اليهود يدور حول حصن النساء ويحاول اقتحامه عليهن ، فرأته صفية (رضي الله عنها) وعرفت ما ينوى فعله ، فأسرعت بإخبار حسان بن ثابت بالأمر ليتصدى لليهودي ، ويحول دون اقتحامه للحصن ، فاعتذر حسان عن ذلك ، فرأت صفية أن من الواجب الدفاع عن الحصن وحماية من فيه من النساء والذرية ولم تتردد في أن تقوم بذلك وأخذت عموداً فهوت به على رأس اليهودي ، فقتلته .

---

(١) صفية بنت أبي عبيد . أخت المختار بن أبي عبيد الثقفي ، امرأة عبد الله ابن عمر بن الخطاب . لايصح لها سماع من النبي (ﷺ) . انظر اسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٧٤ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٥١-٣٥٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤١٥ ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٨١ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٧٩ .

(٣) صفية بنت عبد المطلب : سبقت ترجمتها ص ٢٥٤ من الرسالة .

(٤) انظر السيرة لابن هشام : ٢/ ٢١٤ -٢٢٠ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ٦٥-٧٤ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ١٢٢-١٢٦ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٤/ ٩٣-١٠٢ .

وفي رواية أن هذا اليهودي تسور على النساء الحائط، ولما اعتذر حسان عن قتله قامت صفية بقتله، ولم تكتف بذلك، بل أرادت أن ترهب من خلفه من اليهود وتوهمهم بأن في الحصن رجالاً أبطالاً قد تركهم رسول الله (ﷺ) لحماية النساء، فقامت بقطع رأس اليهودي ثم رمت به إلى اليهود من خلف الحصن. ففزع اليهود، وظنوا أن محمداً (ﷺ) قد ترك مع النساء من يدافع عنهن فولوا هاربين .

جاء في السيرة لابن هشام[١]: «كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت. قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت مابينها وبين رسول الله (ﷺ)، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله (ﷺ) والمسلمون في نحور عدوهم، لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن آتانا آت. قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله (ﷺ) وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجزت[٢] ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يابنة عبد المطلب» .

---

(١) السيرة لابن هشام : ٢/ ٢٢٨، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤١ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ١٢٥ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٧٣ -١٧٤، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٧٠ ، البداية والنهاية لابن كثير: ٤/١٠٨-١٠٩ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٩٤ . وأخرجه الحاكم في المستدرك . كتاب معرفة الصحابة : ذكر عمات الرسول ﷺ : ٤/ ٥١ (عن عروة عن صفية) وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين . وتعقبه الذهبي بقوله: عروة لم يدرك صفية . مجمع الزوائد : كتاب المغازي: باب غزوة الخندق : ٦/ ١٣٤ (بنحوه) وقال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح لكنه مرسل .

(٢) احتجزت : أي شددت الإزار على وسطي . لسان العرب لابن منظور : ٥/ ٣٣٢ .

وفي رواية أخرى عند الحاكم[١] عن الزبير عن أمه صفية بنت عبد المطلب أن رسول الله(ﷺ) لما خرج إلى الخندق جعل نساءه في أطم يقال له فارع وجعل معهن حسان بن ثابت فجاء اليهود إلى الأطم يلتمسون غرة نساء النبي(ﷺ) فترقى إنسان من الأطم علينا، فقلت له: يا حسان قم إليه فاقتله، فقال والله ماكان ذلك في ولوكان ذلك في لكنت مع النبي (ﷺ) فقلت له: اربط هذا السيف على ذراعي فربطه، فقمت إليه فضربت رأسه حتى قطعته. فقلت له: خذ بأذنيه فارم به عليهم. فقال: والله ماذلك فى فأخذت برأسه فرميت به عليهم فتضعضعوا[٢] وهم يقولون : قد علمنا أن محمداً لم يكن ليترك أهله خلوفاً ليس معهن أحد ...».

وبذا قامت صفية (رضي الله عنها) بمهمة حماية الحصن والمحافظة على من فيه، ولم تتأخر عن القيام بالواجب والنهوض بالمسؤولية حينما احتاج الأمر إلى تضحية وفداء بل عرفت أن مسؤوليتها عظيمة وقد أحاط الخطر بالحصن وشغل المسلمون بعدوهم . فقامت بدورها بجراة وشجاعة قل أن تتصف بهما امرأة بل ولا بعض الرجال.

ويلاحظ أن صفية وقفت هذا الموقف الشجاع وقتلت اليهودي حينما اضطرت إلى ذلك ولم تجد من يقوم بالدفاع عن الحصن وقد تعرض للخطر، وهي مع جراتها تلك لم تتجاوز قدر الضرورة، فحين قتلت اليهودي لم تستولِ على سلبه بحجة أنها قتلته، وأنها أو المسلمين أولى بمامعه، إنما عرفت أن دورها انتهى بالقضاء عليه وتحقيق سلامة الحصن، فسألت حسان بن ثابت أن يستلبه بقولها: «انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل» وعندما رغب حسان عن ذلك. تركته وسلبه، واكتفت بقطع رأسه وإرهاب العدو بذلك .

---

(١) في المستدرك : كتاب معرفة الصحابة : ذكر عمات الرسول(ﷺ) : ٤/ ٥٠-٥١، وقال الحاكم: هذا حديث كبير غريب بهذا الإسناد وقد روى بإسناد صحيح. ووافقه الذهبي. انظر الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٤٩ .

(٢) تضعضعوا : أى ضعفوا وذلوا . لسان العرب لابن منظور : ٨/ ٢٢٤ .

قتال أم سليم[(١)] **يوم حنين:** فى غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة، خرج رسول الله (ﷺ) للقاء هوازن في عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح بهم مكة وألفين من أهل مكة. وعندما استقبل المسلمون وادي حنين انحدروا في واد من أودية تهامة، فوجدوا أن القوم قد سبقوهم إلى هذا الوادي، وكمنوا لهم في شعابة ومضايقة، فراعتهم تلك الكتائب وقد شدت عليهم شدة رجل واحد، فانهزم المسلمون عن رسول الله (ﷺ) وتفرقوا. ولم يبق معه إلا نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته[(٢)].

وكانت أم سليم ممن خرج مع رسول الله (ﷺ) إلى حنين لسقي الماء والمداواة وخدمة الجيش. ولم يغب عنها وهي تخرج لهذه المهام أن تتخذ معها خنجراً تدافع به عن نفسها أو عن المسلمين إذا لزم الأمر.

وعندما رأت ما حدث من انهزام المسلمين عن رسول الله(ﷺ) اشتد غيظها، وراعها منظرهم وهم يولون الأدبار. فثبتت مع النبى(ﷺ) فى قلة من أصحابه مستعدة لمباشرة القتال إن دعت الحاجة إليه.

وروى مسلم[(٣)] وأحمد[(٤)] بإسناديهما عن أنس بن مالك: «أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها، فرآها أبو طلحة فقال: يارسول الله هذه أم سليم معها خنجر. فقال لها رسول الله (ﷺ) ماهذا الخنجر؟ قالت: اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعل رسول الله (ﷺ) يضحك قالت: يارسول الله أقتل من بعدنا من

---

(١) سبقت ترجمتها ص ٢٣٩ من الرسالة.

(٢) انظر السيرة لابن هشام: ٢/ ٤٣٧ -٤٤٦، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/ ١٤٩-١٥١، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢/ ١٧٧ -١٨٠، البداية والنهاية لابن كثير: ٤/ ٣٢٢-٣٢٧.

(٣) في الصحيح. كتاب الجهاد: باب غزوة النساء مع الرجال: ١٢/ ١٨٧ -١٨٨ (واللفظ له).

(٤) في المسند. كتاب المناقب: باب ما جاء في الرميصاء أم سليم: ٢٣/ ٤٢٧ (بنحوه) (من الفتح الرباني).

الطلقاء[١] انهزموا بك . فقال رسول الله(ﷺ) : ياأم سليم إن الله كفى وأحسن»[٢] .

وفي رواية لابن هشام[٣] : أن رسول الله(ﷺ) التفت فرأى أم سليم بنت ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها ببرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة [٤] ، ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يعزها[٥] الجمل فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله (ﷺ) أم سليم ؟ قلت نعم بأبي أنت وأمي يارسول الله ، اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله (ﷺ): أو يكفي الله يا أم سليم ؟ قال: ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك ياأم سليم ؟ قالت: خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته[٦] به . قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرميصاء[٧] ؟» .

---

(١) الطلقاء هم الذين خلى عنهم رسول الله يوم فتح مكة وأطلقهم . النهاية لابن الأثير: ٣/ ١٣٦ ، وقال النووي: هم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح . شرح مسلم : ١٢/ ١٨٨ .

(٢) قال صاحب الفتح الرباني : "لم يرتض رسول الله (ﷺ) ماأشارت به أم سليم إذ أنه «بالمؤمنين رؤوف رحيم» وقد جعل الله العاقبة خيراً كما قال تعالى" ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم" التوبة ٢٦-٢٧ . الفتح الرباني للساعاتي : ٢٢/ ٤٢٧ .

(٣) السيرة : ٢/ ٤٤٦-٤٤٧ ، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤٢٥ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٤/ ٣٢٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٦١ .

(٤) عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري الخزرجي: أخو أنس بن مالك لأمه ، أمهما أم سليم بنت ملحان ، حنكة رسول الله (ﷺ) وسماه عبد الله . ولدت له عشرة من الذكور كلهم قرآوا القرآن ، شهد صفين مع علي قتل بفارس شهيداً ، وقيل مات بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ١٨٠-١٨١ .

(٥) يعزها : أي يغلبها . لسان العرب لابن منظور : ٥/ ٣٧٤-٣٧٨ .

(٦) بعجته به : أي شققت بطنه . انظر النهاية لابن الأثير : ١/ ١٣٩ .

(٧) قال النووي قال ابن عبد البر أم سليم هي الرميصاء والغميصاء والمشهور فيه الغين ، وأختها أم حرام الرميصاء ومعناهما متقارب والرمص والغمص قذى يابس وغير يابس يكون في أطراف العين . شرح مسلم : ١٦/ ١١ ، وانظر النهاية لابن الأثير : ٢/ ٢٦٣ .

لقد راع أم سليم منظر المسلمين وهم يتفرقون عن رسول الله (ﷺ)، ويتركون مواجهة عدوهم بعد أن استعدوا له، فثبتت واستلت خنجرها وحرضت رسول الله على قتال أولئك الفارين، الذين أسلموا يوم فتح مكة وكان في إسلامهم ضعف، فظنت أم سليم أنهم بانهزامهم أصبحوا منافقين يستحقون القتل(١)، وأن التخلص منهم لا يقل أهمية عن التخلص من أعدائهم فطمأنها رسول الله(ﷺ) بأن الله قد كفى وأحسن. وأم سليم وإن لم تباشر القتال إلا أنها كانت متأهبة له متخذة الأسباب التى تمكنها منه .

وقد شهدت أم سليم حنيناً وهى حامل فى شهرها الأخير(٢)، ولم تقعدها متاعب الحمل ووعثاء السفر عن شهود هذه المعركة والاستعداد للقتال فيها . وليس بمستغرب على أم سليم ان تقف هذه المواقف العظيمة المشرقة في اوقات المحن، ولحظات الشدة وقد سبق موقفها في أحد حين أصاب المسلمين الفزع وأحاط بهم الكفار من كل جانب فكانت وسط القوم تملأ القرب وتسقي العطشى جيئة وذهاباً .

لقد امتازت أم سليم بما امتاز به المجاهدون الصادقون من الثبات والجرأة والإقدام، وكانت تتمتع بهمة عالية وشجاعة نادرة .

يقول القسطلاني(٣) : «روي أن أم سليم كانت تسبق الشجعان في الجهاد، وثبتت يوم حنين والأقدام قد تزلزت والصفوف قد انقضت والمنايا فغرت فاها» .

ولا عجب أن تقف أم سليم هذه المواقف وتدافع عن الإسلام وتفتديه بنفسها وهي التي اشترطت أن يكون مهرها الإسلام عندما خطبها أبو طلحة وكان مشركاً فقالت

---

(١) انظر شرح مسلم للنووى : ١٢/ ١٨٨ .

(٢) ذكر ابن هشام أنها كانت فى هذه الغزوة حاملاً بابنها عبد الله (السيرة : ٢/ ٤٤٦) وثبت فى صحيح مسلم أنها ولدت وقت قدومها المدينة من سفر كانت فيه مع رسول الله (ﷺ) ولم يثبت أنها خرجت فى سفر مع رسول الله بعد حنين . فتكون ولادة ابنها عبد الله بعد قدومها من حنين مما يدل على أنها كانت حاملاً به فى شهرها الأخير، والله أعلم . انظر صحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل أم سليم : ١٦/ ١٢-١٣ .

(٣) إرشاد الساري: ٥/ ٨٤ .

له: «والله مامثلك يا أبا طلحة يرد ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولايحل لى أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهرى وما أسالك غيره، فأسلم، فكان ذلك مهرها»(١) .

فكان إسلام زوجها أعظم لديهامن مغريات الدنيا من مال وجاه وحسب واستحقت أم سليم – بفضل الله – بشرى رسول الله (ﷺ) لها بالجنة .

روى مسلم(٢) وأحمد(٣) بإسناديهما عن أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) قال: «دخلت الجنة فسمعت خشفة ،(٤) فقلت: من هذا ؟ قالوا هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك» .

وفي رواية لمسلم(٥) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ﷺ) قال: «أريت الجنة فرأيت امرأة أبى طلحة» .

وفي رواية للبخاري(٦) عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله (ﷺ) قال: «رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة» .

قتال المرأة بعد وفاة النبي (ﷺ): استمر خروج المرأة للجهاد بعد وفاة النبى (ﷺ) وقامت بخدمة المجاهدين في السقي والمداواة وصنع الطعام وغير ذلك وحين تجبرها المواقف على القتال لم تتأخر عن ذلك بل كان لها مواقفها البطولية العظيمة. والشواهد على ذلك كثيرة . اكتفى بذكر بعض النماذج التي تدل على استمرار سير المرأة المسلمة فى درب الجهاد وإعلاء كلمة الله . وحرصها على شهود المواقف العظيمة مع المسلمين .

---

(١) سنن النسائي . كتاب النكاح : باب التزوج على الإسلام : ٦/ ١١٤ .
(٢) في الصحيح : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل أم سليم : ١٦/ ١١ (واللفظ له) .
(٣) في المسند كتاب المناقب: بب ما جاء فى الرميصاء أم سليم : ٢٢/ ٤٣٣ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .
(٤) الخشفة : – بالسكون – الحس والحركة . وقيل هو الصوت . النهاية لابن الأثير : ٢/ ٣٤ .
(٥) في الصحيح . كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل أم سليم : ١٦/ ١١ .
(٦) في الصحيح .كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب : ٧/ ٤٠ (من فتح الباري) .

قتال أم عمارة يوم اليمامة[١]: لما ادعى مسيلمة الكذاب النبوة وعلم رسول الله (ﷺ) بذلك أرسل إليه حبيب بن زيد بن عاصم[٢]، ابن أم عمارة ليدعوه إلى الإيمان بالله وترك الكفر. فغدر به مسيلمة وقتله شر قتلة حيث قطعه عضواً عضواً حتى استشهد (رضي الله عنه). ولما بلغ أم عمارة الخبر احتسبت مصيبتها عند الله تعالى، وعزمت على الإنتقام من مسيلمة الكذاب، يدفعها الإيمان العميق، والأمومة المصابة.

ولما جهز أبو بكر جيشاً إلى اليمامة في السنة الحادية عشرة لحرب مسيلمة وأتباعه المرتدين[٣]، تجهزت أم عمارة للخروج مع الجيش برفقة ابنها عبد الله بن زيد للقضاء على مسيلمة الذى افترى على الله كذباً .والأخذ بثأر ابنها حبيب.

وهنال خاض المسلمون المعركة مع مسيلمة ورجاله. واقتحموا صفوف المرتدين، واحتدم القتال واستشهد عدد كبير من المسلمين وهرب مسيلمة ورجاله إلى بستان مسور وأغلقوه عليهم فاقتحم المسلمون السور وقاتلوهم ولم تكن أم عمارة في تلك الأثناء بعيدة عن ساحة المعركة بل كانت وسط تلك الجموع تقاتل قتال الأبطال. وتبحث عن مسيلمة الكذاب قاتل ابنها وتوالت عليها الضربات وجرحت عدة جراح. وقطعت يدها أثناء القتال[٤] فلم تجزع أو تهرب من الميدان واستمرت تقاتل حتى انتهت إلى مسيلمة

---

(١) اليمامة : معدودة في نجد بينها وبين البحرين عشرة أيام. معجم البلدان لياقوت الحموي: ٥/ ٤٤٢ .

(٢) حبيب بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصارى الخزرجى شهد العقبة ، وأرسله رسول الله(ﷺ) إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، فكان مسيلمة إذا قال له أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، وإذا قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : أنا أصم لا أسمع .ففعل ذلك مراراً ، فقطعه مسيلمة عضواً عضواً . فمات شهيداً رضي الله عنه . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٤٤٣ . الإصابة لابن حجر : ١/ ٣٠٦-٣٠٧ .

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير : ٦/ ٣٢٦ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٢/ ٢٤٣-٢٤٨ .

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤١٦ ، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٣٧١ ، الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٧٩ .

وقد أصابه ابنها عبد الله بضربة قاتلة ، وقذفه وحشي بن حرب(١) بحربته فمات فحمدت الله أن رأت ذلك بعينها . فبالأمس يوم أحد يوم أن أخذت بثأرها وقتلت ضارب ابنها ورسول الله (ﷺ) ينظر هنأها بقوله: «الحمد لله الذى ظفرك وأقر عينك من عدوك ، وأراك ثأرك بعينك» ، ويوم اليمامة كانت أشد فرحاً وأعظم سروراً بقتل مسيلمة الذي كذب على الله ورسوله وقتل ابنها شر قتله .

وقد سئلت أم عمارة عما أصاب يدها يوم اليمامة فقالت: «أصيبت يوم اليمامة لما جعلت الأعراب ينهزمون بالناس ، نادت الأنصار «أخلصونا» فأخلصت الأنصار فكنت معهم حتى انتهينا إلى حديقة الموت . فاقتتلنا عليها ساعة ، حتى قتل أبو دجانة على باب الحديقة ، ودخلتها وأنا أريد عدو الله مسيلمة ، فيعترض لي رجل منهم فضرب يدي فقطعها ، فوالله ماكانت لي ناهية ولاعرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولاً ، وابني عبد الله المازني يمسح سيفه بثيابه . فقلت: قتلته ؟ قال: نعم . فسجدوا شكراً لله »(٢) .

وعادت أم عمارة إلى المدينة وقد اثخنتها الجراح وقطعت يدها . وعلم أبو بكر الصديق خليفة رسول الله (ﷺ) بخبرها . فكان يأتي إليها يعودها ، ويطمئن عليها ويتفقد أحوالها(٣) .

قتال المرأة يوم اليرموك(٤): في السنة الثالثة عشرة للهجرة(٥) ، عندما توجهت جيوش

---

(١) وحشي بن حرب الحبشي مولى لطعيمة بن عدى ، وقيل لجبير بن مطعم قاتل حمزة يوم أحد . قدم مع وفد الطائف فأسلم . وشارك فى قتل مسيلمة الكذاب . شهد اليرموك . ومات بحمص في خلافة عثمان . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٦٦٢-٦٦٤ ، افصابة لابن حجر : ٣/ ٦٣١

(٢) المغازي للواقدي : ١/ ٢٦٩ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى لاين سعد : ٨/ ٤١٦ .

(٤) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور يصب فى نهر الأردن . معجم البلدان لياقوت الحموي: ٥/ ٤٣٤ .

(٥) ذكرها ابن الأثير فى حوادث سنة ثلاثة عشرة . انظر الكامل فى التاريخ : ٢/ ٢٧٥-٢٨١ .

المسلمين نحو الشام لملاقاة الروم في وقعة اليرموك، خرجت نساء مسلمات مع الجيش الإسلامى، للقيام بمساعدة الجيش في السقي والمداواة وصنع الطعام وغير ذلك. وقمن بدورهن في خدمة المجاهدين خير قيام، وعندما احتدم القتال وحمل الروم على المسلمين حملة شديدة، وأخذ بعض المسلمين فى التراجع والانهزام بسبب كثرة جيش الروم وضخامته بالنسبة لجيش المسلمين[١]، كان للنساء دور عظيم في رد المنهزمين وتأنيبهم وتحريضهم على القتال بل وضربهم بالخشب والحجارة لئلا يفروا، ويتركوا مواجهة عدوهم فيصبحوا ونساءهم غنائم للعدو .

يقول ابن كثير[٢] عن دور النساء يوم اليرموك: «وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن أين تذهبون وتدعوننا إلى العلوج [٣]، فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال» .

وكن يشكلن صفوفاً متراصة خلف الرجال وكلما أراد أحد الانهزام استقبلته النساء بالحجارة والصراخ يذكرن المجاهدين بالله وبواجبهم تجاه دينهم، وملاقاة عدوهم، فيرجع المقاتلون بكل حماس وشجاعة يبتغون النصر أو الشهادة مقبلين غير مدبرين يوغلون فى صفوف الروم إيغالاً شديداً .

يقول ابن كثير [٤]: «انهزم عمرو ابن العاص في أربعة حتى وصلوا إلى النساء، ثم رجعوا حين زجرهم النساء» .

---

(١) ذكر ابن كثير أن المسلمين كانوا أربعة وعشرون ألفاً . والروم عشرون ومئة ألفاً، انظر البداية والنهاية: ٧/ [redacted] . وذكر ابن الأثير عدة أقوال في ذلك منها أن المسلمين كانوا سبعة وعشرون ألفاً والروم مائتي ألف واربعون مقاتل . انظر الكامل فى التاريخ : ٢/ ٢٨١ .

(٢) البداية والنهاية : ٧/ ١٣ .

(٣) العلج : الرجل من كفار العجم . ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار : علج والمعنى تتركوننا للكفار الأقوياء الشداد . لسان العرب لابن منظور : ٢/ ٣٢٦ .

(٤) البداية والنهاية : ٧/ ١٤ .

ويقول[١]: «. . . واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة ، وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول[٢] :

يا هارباً عن نسوة تقيات فعن قليل ماترى سبيات

ولا حصيات ولا رضيات . قال: فتراجع الناس إلى مواقفهم» .

وحين هجمت جيوش الروم على المسلمين واقتحموا صفوفهم واشتد بينهم القتال وسقط الكثير من الشهداء ، وعظم بالمسلمين الكرب ، لم تواجه النساء المسلمات هذا الموقف بالخوف أو الهرب ، بل كان لهن دورهن المشرف ، وأضحى الأمر لديهن أكبر من تحريض المقاتلين وتحميسهم فقمن يباشرن القتال ويواجهن جيش الروم يقتلن الرجال بأعمدة الفسطاط[٣] ويحملن السيوف على هام الكفار وأبلين في هذه المعركة بلاء حسناً سجله لهن التاريخ .

يقول القسطلاني[٤]: «وقد قاتل نساء قريش يوم اليرموك حين داهمتهم جموع الروم ، وخالطوا عسكر المسلمين يضربن النساء يومئذ بالسيوف وذلك في خلافة عمر» .

ويقول ابن كثير[٥]: «وقد قاتل نساء المسلمين فى هذا اليوم ، وقتلوا خلقاً كثيراً

---

(١) المرجع السابق : ٧/ ١١ .

(٢) خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت . قالت : في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة وقصتها في ذلك معروفة . روى أن عمر بن الخطاب خرج ومعه الناس فمر بعجوز فجعل يحدثها وتحدثه . فقال رجل يا أمير المؤمنين ، حبست الناس على هذه العجوز . قال ويلك تدري من هذه ؟ هى امرأة سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سموات . هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا إلى الصلاة ثم أرجع . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٩١-٩٣ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٨٩-٢٩١ .

(٣) الفسطاط : بيت من شعر . وقيل ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق لسان العرب لابن منظور: ٧/ ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٤) ارشاد الساري : ٥/ ٨٤ .

(٥) البداية والنهاية : ٧/ ١٣ .

من الروم» .

ويقول ابن الأثير(١): «وقاتل النساء ذلك اليوم – أى يوم اليرموك – وأبلوا» .

ومن أبرز من قاتل من النساء المسلمات في هذا اليوم أسماء بنت يزيد الأنصارية(٢): حيث «قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط»(٣)، وأم حكيم بنت الحارث المخزومية(٤): زوجة عكرمة بن أبي جهل (٥)، التى أخذت له الأمان من رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكة عندما ولى هارباً إلى اليمن، فلحقته وعادت به إلى رسول الله (ﷺ) فأعلن إسلامه .أبلت بلاء حسناً يوم اليرموك مع زوجها عكرمة بن أبى جهل حتى استشهد (ﷺ) وبعد أشهر تزوجها خالد بن سعيد بن العاص (٦) . وفي صبيحة عرسه داهمتهم جموع الروم، وقاتل خالد حتى استشهد . فتجلدت أم حكيم وقد

---

(١) الكامل في التاريخ : ٢/ ٢٨٤ .

(٢) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية بنت عمة معاذ بن جبل من المبايعات المجاهدات قيل أنها حضرت بيعة الرضوان يومئذ روت عن النبي (ﷺ) أحاديث عاشت إلى خلافة يزيد بن معاوية انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢/٢٩٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٣٥ ، أسد الغابة لابن الأثير : ١٨/٦ .

(٣) مجمع الزوائد كتاب المناقب : باب مناقب أسماء بنت يزيد : ٩/ ٢٦٠ : وقال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٤) أم حكيم بنت الحارث بن هشام القرشية المخزومية أمها فاطمة بنت الوليد أخت خالد ، شهدت أحداً كافرة ثم أسلمت يوم الفتح وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل ثم قتل عنها فتزوجها خالد بن سعيد فقتل عنها . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٢١، الإصابة لابن حجر : ٤/٤٤٣-٤٤٤ .

(٥) عكرمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة القرشى أسلم بعد الفتح وكان شديد العداوة لرسول الله (ﷺ) في الجاهلية ولما فتح رسول الله مكة هرب منها ولحق باليمن فردته زوجته أم حكيم إلى رسول الله فأسلم وحسن إسلامة سار إلى الشام مجاهداً واستشهد يوم اليرموك وقيل يوم الصفر . انظر أسد الغابة لابن الأثير :٣/ ٥٦٧-٥٧٠ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٤٩٦-٤٩٧ .

(٦) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي أسلم قديماً وعذبه أبوه على إسلامه . وهاجر مع المسلمين الهجرة الثانية إلى الحبشة وقدم إلى المدينة مع جعفر بن أبى طالب شهد مع النبي (ﷺ) القضية ، فتح مكة ، وحنين ، والطائف ، وتبوك ، خرج مع جيوش المسلمين إلى الشام وقتل بمرج الصفر . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٥٧٤-٥٧٥ . الإصابة لابن حجر : ١/ ٤٠٦-٤٠٧ .

فجعت بزوجها فشدت عليها ثيابها وقاتلت مع المسلمين قتالاً شديداً فقتلت سبعة من الروم بعمود الفسطاط (١) .

وهكذا أسهمت النساء المسلمات فى معركة اليرموك ، وقمن بأدوار عظيمة سواء في خدمة الجيش أو تحريض المقاتلين أو مباشرة القتال ، وكان من هؤلاء النسوة المقاتلات من شهد أحداً مع المشركين وولت هاربة حين انهزم المشركون. منهن أم حكيم بنت الحارث فقد كانت ممن ولين مشمرات هوارب يوم أحد مادون أخذهن قليل ولا كثير ، وإذا بها بعد أن أسلمت يدفعها الإيمان فتخوض المعركة وتقاتل الروم دون خوف أو تراجع . ومثلها فى ذلك هند بنت عتبة التي فرتِ يوم أحد مع النساء الكافرات أبلت بلاء حسناً يوم اليرموك(٢) وقادت النساء المسلمات إلى الوقوف في وجه الفارين ومواجهة الروم حتى تحقق النصر للمسلمين .

إن هذه النماذج تبين لنا دور الإيمان في بناء الإنسان وفي إنقاذه من طريق الضلال والصد عن سبيل الله إلى طريق الهدى والجهاد فى سبيل الله .

غزو المرأة في البحر: «كما شاركت المرأة المسلمة في الجهاد فى سبيل الله في البر ، فقد كان الغزو في البحر أمنية غالية حرصت على تحقيقها لما علمت ما للغزو في البحر من فضل عظيم . فإن رسول الله (ﷺ) يقول: غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر»(٣) .

وحين ركب المسلمون البحر لأول مرة غزاة في سبيل الله كان للمرأة شرف خوض

---

(١) انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣٢١ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

(٢) انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٢٩٣ .

(٣) انظر مجمع الزوائد . كتاب الجهاد : باب الجهاد فى البحر : ٥/ ٢٨١ . وقال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث قال عبد الملك بن شعيب بن الليث ثقة مأمون وضعفه غيره . (واللفظ له) مستدرك الحاكم : كتاب قسم الفيء : غزوة فى البحر خير من عشر غزوات في البر : ٢/ ١٤٣ (بنفس اللفظ) وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

هذه المغامرة الجديدة معهم مما يدل على حرصها على الجهاد في سبيل الله في أي مكان ويبرز شجاعتها وجرأتها حيث لم يكن ركوب البحر أمراً معتاداً أو مألوفاً عند المسلمين .

فهذه أم حرام بنت ملحان[١] تطلب من رسول الله(ﷺ) أن يدعو الله لها بأن تكون ممن يركبون البحر غزاة في سبيل الله فدعا لها رسول الله (ﷺ) بذلك وعاشت تنتظر تحقيق هذا الأمل إلى أن كان عهد عثمان بن عفان وركب المسلمون البحر لأول مرة غزاة في سبيل الله ، فخرجت أم حرام مع زوجها عبادة بن الصامت في جيش معاوية بن أبي سفيان[٢] . حين غزا قبرص[٣] وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان سنة سبع وعشرين[٤] . وشاركت مع المسلمين في تلك الغزوة . وفي طريق عودتهم قربت إليها دابتها لتركبها فسقطت عنها فماتت شهيدة .

روى البخاري[٥] والنسائي [٦]والترمذي[٧] وأبو داود[٨] بأسانيدهم عن أنس بن

---

(١) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية الخزرجية . خالة أنس بن مالك وزوجة عبادة بن الصامت كان رسول الله(ﷺ) يزورها في بيتها ويقيل عندها . وأخبرها أنها شهيدة . واستشهدت في قبرص سنة سبع وعشرين . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٣١٧-٣١٨ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٤١-٤٤٢ .

(٢) معاوية بن صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، أمه هند بنت عتبة ، أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله حنين سيره أبو بكر إلى الشام فكان والياً إلى خلافة عمر فلما استخلف عثمان جمع له الشام جميعه توفي سنة ستين وهوابن ثمان وسبعين سنة انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ٤٣٣-٤٣٦ . الإصابة لابن حجر : ٣/ ٤٣٣-٤٣٤

(٣) قبرص : جزيرة في بحر الروم . معجم البلدان لياقوت الحموي : ٤/ ٣٠٥ .

(٤) انظر البداية والنهاية : ٦/ ٢٢٣ . وذكر ابن الأثير أن ذلك كان سنة ثمان وعشرين . انظر الكامل في التاريخ : ٣/ ٤٨-٤٩ . وكذا ابن حجر في فتح الباري : ١١/ ٧٥ .

(٥) في الصحيح : كتاب الجهاد : باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء : ٦/ ١٠ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٦) في السنن : كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد في البحر: ٦/ ٤٠-٤١ (بنفس اللفظ) .

(٧) في السنن: كتاب الجهاد: باب ماجاء في غزو البحر: ٥/ ٢٧٦ ٢٧٩ (بنحوه) (من تحفة الأحوذي) .

(٨) في السنن : كتاب الجهاد: باب فضل الغزو في البحر : ٧/ ١٦٧-١٦٨ (بنحوه) (من عون المعبود) . وانظر أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٣١٧-٣١٨ . سير أعلام النبلاء : ٢/ ٣١٦-٣١٧ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٤٤١-٤٤٢ .

مالك ﷺ قال: «كان رسول الله (ﷺ)يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله(ﷺ) فأطعمته وجعلت تفلي[(١)] رأسه ، فنام رسول الله (ﷺ)[(٢)] . ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت: فقلت وما يضحكك يارسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله ، يركبون ثبج[(٣)] هذا البحر ملوكاً على الأسرة – أو مثل الملوك على الأسرة ، شك إسحاق – قالت فقلت : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله(ﷺ) ثم وضع رأسه ، ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: وما يضحكك يارسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله – كما قال في الأول – قالت: فقلت يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال أنت من الأولين . فركبت البحر[(٤)] فى عهد معاوية بن أبي سفيان[(٥)]

---

(١) تفلى : بفتح المثناة وسكون الفاء وكسر اللام – أى تفتش ما فيه . انظر فتح الباري: ١١/ ٧٣ ، النهاية لابن الأثير : ٣/ ٤٧٤ .

(٢) أشكل على جماعة من العلماء نومه (ﷺ) عند أم حرام بنت ملحان فقال النووى اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له (ﷺ)واختلفوا فى كيفية ذلك . فقال ابن عبد البر وغيرة كانت إحدى خالاته من الرضاعة وقال آخرون بل كانت خالة لأبيه أو لجده عبد المطلب كانت أمه من بنى النجار شرح مسلم: ١٣/ ٥٧ – ٥٨ ،وقال البعض أن ذلك خصوصية للنبى (ﷺ) لأنه منزه عن فعل كل قبيح ورد بعضهم ذلك بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال وثبوت العصمة مسلم لكن الأصل عدم الخصوصية وجواز الأقتداء به في أفعاله حتى يقوم على الخصوصية دليل . انظر فتح الباري: ١١/ ٧٨-٧٩

(٣) ثبج البحر : أى وسطه ومعظمه . النهاية لابن الأثير : ١/ ٣٠٦ .

(٤) المشهور من قول العلماء جواز ركوب البحر للغزو عند عدم ارتجاجه ومنهم من فرق بين الرجل والمرأة وهو مالك ، فكره ركوب النساء مطلقاً لما يخشى من إطلاعهن على عورات الرجال فيه إذ يتعسر الاحتراز من ذلك وخص أصحابه ذلك بالسفن الصغار أما الكبار التي يمكنهن فيهن الاستتار بأماكن تخصهن فلا حرج فيه . وحديث أم حرام حجة للجمهور . انظر فتح الباري: ١١/ ٧٧، ٦/ ٨٨ .

(٥) قال ابن حجر وكان ذلك فى خلافة عثمان ومعاوية يؤمئذ أمير الشام وظاهر سياق الخبر يوهم أن ذلك كان في خلافته وليس كذلك وقد اغتر بظاهره بعض الناس فوهم ، فإن القصة إنما وردت في حق أول من يغزو فى البحر وكان عمر ينهى عن ركوب البحر فلما ولى عثمان استأذنه معاوية في الغزو في البحر فأذن له ، فتح الباري: ١١/ ٧٥ ، انظر شرح مسلم للنووي: ١٣/ ٥٩ .

فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت»[١] .

يصور لنا هذا الحديث اهتمام المرأة بالخروج للجهاد فى سبيل الله ، وحرصها على نيل الشهادة . والحديث لم يثبت لأم حرام القتال ، ولم ينفه عنها ، لكنه يثبت لها حرصها على المشاركة فى الغزو فى البحر والقيام بأى عمل يحقق العون للمجاهدين ، كما يبرز رغبتها في الشهادة التي هي الثمرة العظمى للجهاد في سبيل الله ورغبة من أم حرام على الحصول على أجر الغزو مع الطائفتين اللتين أخبر عنهما رسول الله (ﷺ) طلبت منه أن يدعوا لها بأن تكون مع الطائفة الأولى والثانية ، فأخبرها رسول الله بأنها من الأولين وليست من الأخرين .

وليس في طلبها أن تكون مع الطائفة الثانية شك في صدق دعوة رسول الله (ﷺ) بأنها من الطائفة الأولى ، وإنما أرادت أن يكون لها نصيب في الغزوتين فتفوز بالأجر العظيم ولم تكن تعلم أن وفاتها ستكون في الغزوة الأولى .

يقول ابن حجر [٢]: «لا تنافى بين إجابة دعائه وجزمه بأنها من الأولين وبين سؤالها أن تكون من الآخرين لأنه لم يقع التصريح لها أنها تموت قبل زمان الغزوة الثانية ، فجوزت أنها تدركها فتغزو معهم ويحصل لها أجر الفريقين ، فأعلمها أنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية فكان كما قال(ﷺ) .

لقد تمنت (رضي الله عنها) الشهادة فأكرمها الله تعالى بها ، وتمني الشهادة من الأمور التي رغب فيها الإسلام لأن النبي (ﷺ) أقرها على أمنيتها تلك ودعا لها[٣] .

واعتبرت شهيدة مع انها لم تقتل في المعركة ولكنها ماتت في سبيل الله ورسول الله

---

(١) ذكر ابن حجر أقوالاً للعلماء في تحديد مكان وفاة أم حرام هل كان بساحل الشام لما خرجت من البحر بعد رجوعهم من غزاة قبرص ، أم كان بساحل قبرص ؟ ومال إلى أن وفاتها كانت بجزيرة قبرص . انظر فتح الباري: ١١/ ٧٦

(٢) فتح الباري: ١١/ ٧٥ .

(٣) قال ابن حجر : أغرب ابن التين فقال: ليس في الحديث تمنى الشهادة وإنما فيه تمني الغزو ، ويجاب بأن الشهادة هي الثمرة العظمى المطلوبة في الغزو . فتح الباري: ٦/ ١١ .

(ﷺ) يقول من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد[١] .

وقد ماتت بسقوطها عن الدابة وهي في طريق عودتها من الغزو ومن مات ذاهباً إلى المعركة أو راجعاً منها بأي سبب فهو شهيد[٢] دل ذلك على قوله (ﷺ): «من صرع عن دابته فى سبيل الله فمات فهو شهيد» . وفي رواية : «من صرع عن دابته فهو شهيد»[٣] .

قال ابن حجر[٤]: «في الحديث جواز تمني الشهادة وأن من يموت غازياً يلحق بمن يقتل فى الغزو» .

وقال ابن بطال[٥] : «في حديث أم حرام أن حكم الراجع من الغزو حكم الذاهب إليه في الثواب» .

المطلب الثالث: صبر المرأة على فقد الأهل فى الجهاد :

كما كان للمرأة المسلمة مواقف إيمانية وأدوار مشرفة في ساحات الجهاد تدل على قوة الإيمان وشدة الثبات ، فقد كانت أقوى إيماناً وأشد ثباتاً عند سماعها خبر استشهاد أحد من أهلها في سبيل الله ، فكانت المرأة الصابرة التي يسرها ويشرفها أن ترى أحد من اهلها قد نال شرف الشهادة في سبيل الله ؛ لأنها تعلم الغاية التي خرج من أجلها أبوها أو ابنها أو زوجها مجاهداً في سبيل الله وتعلم ما أعده الله للشهداء من حياة الخلد والكرامة . فصبرت على فقدهم واحتسبت أجرها عند الله تعالى .

والمواقف التى تدل على ماتمتعت به المرأة المسلمة من قوة في الإيمان جعلتها تدفع

(١) صحيح مسلم : كتاب الأمارة : باب فضل الرباط في سبيل الله : ١٣/ ٦٢ .

(٢) مجمع الزوائد : كتاب الجهاد : باب من خارج غازياً فمات : ٥/ ٢٨٣ وقال الهيثمي: رواة أبو يعلى وفيه من لم أعرفه وقال ابن حجر : هو عند الطبرانى وإسناده حسن . فتح الباري: ٦/ ١٨ .

(٣) مجمع الزوائد : كتاب الجهاد : باب فيما تحصل به الشهادة : ٥/ ٣٠١ وقال الهيثمي: رواة الطبراني ورجاله ثقات .

(٤) فتح الباري: ١١/ ٧٧ .

(٥) فتح الباري: ٦/ ١٨ .

أهلها للجهاد في سبيل الله ثم تفرح وتستبشر بنيلهم الشهادة مواقف كثيرة في عهد النبى(ﷺ) وبعده ، أكتفي منها بإيراد بعض النماذج التي ترسم المرأة المسلمة اليوم طريق الإيمان والتضحية والفداء لتسير على درب أولئك النسوة المؤمنات اللاتي آثرن الآخرة الدائمة على الدنيا الفانية وآمن بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، فصغرت في أعينهن المصائب وهانت الآلام أمام قوة الإيمان ورسوخ اليقين .

وأبدأ أولاً بالحديث عن صبر المرأة على فقدها أهلها فى عهد النبي (ﷺ) ثم صبرها على فقدهم بعد عهد النبي (ﷺ) .

صبر المرأة فى عهد النبي (ﷺ) :

الصبر على فقد الولد: خرج حارثة بن سراقة[١] مجاهداً في سبيل الله في غزوة بدر فاستشهد فى المعركة ، رماه رجل بسهم في حنجرته فقتله ، وبلغ أمه الربيع بنت النضر[٢] خبر استشهاده فكان أول ما صنعته أن ذهبت إلى رسول الله (ﷺ) لتتحقق من فوز ابنها بالشهادة فإن كان ابنها قد حصل على الشهادة ونال مكانة الشهداء في الجنة فتلك أغلى أمنية وأعظم شرف وستصبر على فراقه إن شاء الله وإن لم يكن كذلك فتلك المصيبة التي ستجعلها تبكي عليه بصورة يراها عليها كل أحد فبشرها رسول الله (ﷺ) بأن ابنها من أهل الجنة وأنه في الفردوس الأعلى .

روى البخاري[٣] والبيهقي[٤] بإسناديهما عن أنس بن مالك: «أن أم الربيع بنت

---

(١) حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك النصاري النجاري ، أمه الربيع بنت النضير . استشهد يوم بدر ولم يختلف أهل المغازى في ذلك قتله حبان بن العرقة ، رماه بسهم وهو يشرب من الحوض فأصاب حنجرته فقتله . انظر أسد الغابة لابن الأثير: ١/ ٤٢٥ -٤٢٦ ، الإصابة لابن حجر:١/ ٢٩٧ .

(٢) الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية أخت أنس بن النضير وعمة أنس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ)وهى من بني عدي بن النجار ، والدة حارثة بن سراقة . لأنس عنها رواية في صحيح مسلم فى قصة قتل أخيها أنس بن النضر لما استشهد بأحد . قال أنس فقالت أخته الربيع عمتي بنت النضير ما عرفت أخي إلا ببنانه . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٤٢٤ ، أسد الغابة لابن الأثير : ١٠٨/٦ ، الإصابة لابن حجر : ٣٠١/٤ .

(٣) في الصحيح : كتاب الجهاد: باب من أتاه سهم غرب فقتله: ٦/ ٢٥-٢٦ ، (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٤) في السنن : كتاب السير : باب من أتاه سهم غرب فقتله : ٩/ ١٦٧ ، (بنفس اللفظ) .

البراء[١] وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي (ﷺ) فقالت: يا نبى الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب[٢] – فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء [٣]، قال: يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس [٤]الأعلى» .

وفي رواية أخرى للبخاري[٥] عن أنس قال: «أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبى (ﷺ) فقالت: يارسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن من أهل الجنة أصبر واحتسب وإن تكن الأخرى تر ما أصنع. فقال: ويحك[٦] – أوهبلت[٧] – أوجنة واحدة هي ؟ أنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس» .

خرجت أم حارثة من عند رسول الله (ﷺ) وهي مسرورة بهذا المصير السعيد الذى هو غاية كل مؤمن ورجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ[٨]: لك يا حارثة [٩] .

---

(١) ذكر ابن حجر أن لفظ «أم» وهم من الرواة وإنما هي الربيع بنت النضر وليس في نسب الربيع بنت النضر أحد أسمه البراء . فلعله كان فيه الربيع عمة البراء فإن البراء بن مالك أخو أنس بن مالك فكل منهما ابن أخيها أنس بن النضر . وذكر ابن حجر عدة روايات للقصة تؤكد ان أسمها الربيع بنت النضر . انظر فتح الباري: ٦/ ٢٦-٢٧ .

(٢) غرب- بسكون الراء وقيل فتحها - : أى لايعرف راميه أو لايعرف من أين أتا أو جاء على غير قصد من راميه . انظر النهاية لابن الأثير : ٣/ ٣٥٠-٣٥١ .

(٣) قال ابن حجر: كان ذلك قبل تحريم النوح فلادلالة فيه على جوازه فإن تحريمه كان عقب غزوة أحد. انظر فتح الباري: ٦/ ٢٧ .

(٤) الفردوس هو البستان الذي فيه الكرم والأشجار ومنه جنة الفردوس انظر النهاية لابن الأثير: ٣/ ٤٢٧ ، وقال قتادة : الفردوس ربوة في الجنة وأوسطها وأفضلها . انظر سنن البيهقى : ٩/ ١٦٧ .

(٥) في الصحيح كتاب المغازي باب فضل من شهد بدراً : ٧/ ٣٠٤ ، (من فتح الباري) وانظر البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٢٧٤ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٠٨ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٣٠١ .

(٦) ويح : كلمة ترحم وتوجع وتقال بمعنى المدح والتعجب . النهاية لابن الأثير : ٥/ ٢٣٥ .

(٧) هبلته أمه : أى ثكلته هذا هو الأصل ، ثم استعمل في المدح والإعجاب ، قال ابن الأثير فى معناها في الحديث: «استعاره هاهنا لفقد الميز والعقل مما اصابها من الثكل بولدها كأنه قال : أفقدت عقلك بفقد ابنك حتى جعلت الجنان جنة واحدة» . النهاية : ٥/ ٢٤٠

(٨) كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء وتكرر المبالغة ومعناها : تعظيم الأمر وتفخيمه . النهاية لابن الأثير ١/ ١٠١ .

(٩) أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٤٢٦ .

لقد ربت أم حارثة ابنها على الشجاعة وحب الجهاد حتى جعلت الشهادة أمنية غالية دفعته أن يطلب من رسول الله (ﷺ) أن يدعوا له بها قائلاً: «يارسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله (ﷺ) فنودي يوماً في الخيل فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد» [١].

هكذا كانت أم حارثة مثلاً للمرأة المؤمنة التي عرفت كيف وأين تكون سعادة الابن فعلى الرغم من شدة حبها لابنها ومكانته العظيمة لديها التي عبرت عنها بقولها لرسول الله (ﷺ) قد عرفت منزلة حارثة مني[٢]: إلا إنها آثرت ما أعده الله لابنها من الكرامة والجنان على متاع الدنيا فدفعته إلى الجهاد واستبشرت بنيله الشهادة وصبرت على فراقه فلا جزع ولا نياحة بل إيمان بقضاء الله وصبر على أقداره .

الصبر على فقد الأخ : استشهد حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ﷺ) في أحد ومثل به المشركون أسوأ تمثيل «ولما بلغ النبي قتل حمزة بكى فلما نظر إليه شهق» [٣] للحالة التى رآه عليها فوقف عليه وقال: «لن أصاب بمثلك أبداً ماوقفت موقفاً أغيظ إليّ من هذا»[٤] .

وجاءت صفية بنت عبد المطلب شقيقة حمزة تسأل عنه تود أن تراه ، فخشي عليها رسول الله(ﷺ) أن يصيبها شيء إن رأت ما فعل بأخيها فأمر بإرجاعها ولكن صفية كانت المرأة المؤمنة التى تعلم ما أعد الله للشهداء من عظيم الأجر ، وعلو المنزلة فأخبرتهم أنها تعلم أنه مثل بأخيها وأن رؤيته لن تزلزل إيمانها بالله وصبرها على أقداره بل استعدت لمثل هذا حيث جاءت إلى المعركة ومعها أكفان لتكفن فيها من يستشهد من أهلها .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الرقائق : باب صفة الجنة والنار : ٤١٨/١١ (من فتح الباري) .

(٣) انظر مجمع الزوائد : كتا ب المغازي والسير : باب مقتل حمزة : ١١٨/٦ . وقال الهيثمي رواه البزار وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهوحسن الحديث على ضعفه .

(٤) السيرة لابن هشام : ٩٦/٢ .

روى ابن هشام[١] أن صفية بنت عبد المطلب أقبلت «لتنظر على حمزة وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله (ﷺ) لابنها الزبير بن العوام: القها فأرجعها، لاترى ما بأخيها، فقال: لها يا أمه إن رسول الله (ﷺ) يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله (ﷺ) فأخبره بذلك قال خل سبيلها فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت[٢] واستغفرت له ثم أمر به رسول الله(ﷺ) فدفن».

وقال ابن سعد[٣]: «وكان حمزة قد بقر بطنه فكره رسول الله (ﷺ) أن تراه وكانت أخته، فقال الزبير : يا أمه إليك إليك ، فقالت تنح لا أم لك فجاءت فنظرت إلى حمزة».

وروى الطبراني[٤] بسنده عن ابن عباس قال قتل حمزة يوم أحد وقتل معه رجل من الأنصار فجاءته صفية بنت عبد المطلب بثوبين ليكفن فيهما حمزة فلم يكن للأنصاري كفن فأسهم النبي (ﷺ) بين الثوبين ثم كفن كل واحد منهما في ثوب».

إن سمو الهدف الذي أخرج المسلم من بيته مجاهداً في سبيل الله يهون عليه ما يلقاه في طريق جهاده من مصاعب جمة أو صور مؤلمة تذهل من لم تسم غايته التى خرج من أجلها. أما المسلم الذي خرج طالباً الشهادة أو النصر فإنه يستصغر الآلام ويتجاوز المصاعب صابراً محتسباً ذلك عند الله تعالى.

فرؤية ميت قد شق بطنه واستخرجت كبده[٥] منظر تذهل عنده العقول وتجزع النفوس، وتنهار القوى، وحين يكون هذا الميت قريباً تكون المصيبة أعظم والفاجعة

---

(١) المرجع السابق : ٢/ ٩٧ ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير : ٤/ ٤٢ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٧٣ ، سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢/ ٢٧٠ .

(٢) استرجعت: أى قالت إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١-٤٢ .

(٤) انظر مجمع الزوائد : كتاب المغازي والسير: باب قتل حمزة رضي الله عنه: ٦/ ١٢٠ . وقال الهيثمي: رواة الطبراني ورجاله ثقات .

(٥) انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٥٣٠ .

أعمق والجرح أشد إيلاماً وصفية رضي الله عنها قد علمت أنه مُثل بأخيها قبل أن تراه فهانت عليها هذه المصيبة في ذات الله ، وما كان منها إلا الثبات عند الفاجعة ، والتجلد عند المصيبة فأقبلت إليه ووقفت عليه تكفنه في الأثواب التي أعدتها لذلك ، صابرة على مصيبتها محتسبة الأجر عند الله في مقتل أسد الله ورسوله (ﷺ) .

إن هذا الإيمان حين يستقر فى قلب المرأة أماً وأختاً ، وزوجاً وبنتاً يجعل المجاهد يخرج من بيته بنفس قوية مستعدة لقتال أعداء الله ومستبشرة بلقاء الله ، يخرج وهو يعلم أن وراءه أسرة ربانية يشد بعضها إزر بعض قد عرفت واجبها ومسؤليتها تجاه دينها ولن يتزعزع إيمانها بالله وصبرها على أقداره إن عاد إليها شهيداً أو مصاباً ، فقوة إيمانها بالله وثقتها بموعود الله خير عاصم لها من الوقوع في الجزع أو التسخط .

الصبر على فقد الزوج والأب: لقد كان حب المرأة المسلمة لرسول الله (ﷺ) عظيماً ومكانته لديها لا تعدلها مكانة أحد من أهلها . فهو رسول الله ، والمبلغ للدعوة وحمايته حماية لها وما وقوفها يوم أحد تدافع عنه وتفديه بنفسها وتتحمل الضربات دونه إلا دليل صادق على عظم منزلته لديها . وحين تنتهي المعركة ويتفقد الناس قتلاهم يكون اهتمام المرأة الأكبر السؤال عن رسول الله(ﷺ) والاطمئنان عليه فإذا اطمانت عليه سألت بعد ذلك عن أهلها وهانت عليها المصيبة فى فقدهم مادام رسول الله (ﷺ) بخير .

فهذه المرأة من بني دينار[1] أتاها نعى زوجها وأبيها وأخيها الذين استشهدوا فى أحد فسألت عن رسول الله (ﷺ) وطلبت أن تراه بنفسها ، فلما رأته هانت عليها مصيبتها فى فقد الزوج والأب والأخ .

---

(١) لم أقف على ترجمة لها في من لم يسم من الصحابيات والذي يظهر أنها السميراء بنت قيس بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار تزوجها الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار شهد بدراً وقتل يوم أحد شهيداً أسلمت وبايعت رسول الله والذي رجح أنها السميراء ان ابن سعد اورد تراجم نساء بنى دينار ولم تكن واحدة منهن استشهد زوجها في أحد إلا هذه . والله أعلم . انظر الطبقات الكبرى : ٨/ ٤٣٨ .

روى ابن هشام[١] عن سعد بن أبي وقاص[٢] قال: مر رسول الله (ﷺ) بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله (ﷺ) بأحد فلما نعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله (ﷺ)؟ قالوا: خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه قال: فأشير لها، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة».

وهذه هند بنت عمرو[٣] خرج زوجها عمرو بن الجموح[٤]، وأخوها عبد الله ابن عمر بن حرام[٥] وابنها خلاد بن عمرو[٦] مع رسول الله (ﷺ) إلى أحد فاستشهدوا جميعاً وبعد انتهاء المعركة حملتهم على بعيرها راضية بقضاء الله وقدره مستبشرة بما أعده الله

---

(١) في السيرة: ٢/ ٩٩ وقال ابن هشام: الجلل يكون من القليل ومن الكثير وهو ها هنا من القليل. انظر البداية والنهاية لابن كثير: ٤/ ٤٧.

(٢) سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف القرشي. اسلم بعد ستة وكان عمره سبع عشرة سنة أحد العشرة المشهود لهم بالجنة شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) وهو أول أرق دماً في سبيل الله وأول من رمى بسهم في سبيل الله توفي سنة خمس وخمسين انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٢/ ٢١٤-٢١٨.

(٣) هند بنت عمرو بن حرام بن كعب الأنصارية أخت عبد الله بن عمرو عمة جابر بن عبد الله. تزوجها عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام فولدت له. وأسلمت هند وبايعت وشهدت خيبر مع رسول الله (ﷺ). انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٣٩٤، أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ٢٩٣.

(٤) عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي شهد بدراً واستشهد يوم أحد حمل هو وابنه خلاد على المشركين حين انكشف المسلمون فقتلا جميعاً وجاءت زوجته هند بنت عمرو وحملته مع أخيها عبد الله بن عمرو فدفنا في قبر واحد انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ٧٠٣-٧٠٥ الإصابة لابن حجر: ٢/ ٥٢٩-٥٣٠.

(٥) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي عقبياً بدرياً نقيباً كان فيمن شهد بدراً وأحداً وقتل يوم أحد ومثل به المشركون انظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ٢٤٢-٢٤٤، الإصابة لابن حجر: ٢/ ٣٥٠.

(٦) خلاد بن عمرو بن الجموح الأنصارى السلمى. استشهد بأحد وحملته أمه هند هو وزوجها وأخاها بعد قتلهم على بعير ثم أمرت بهم فردوا إلى أحد فدفنوا هناك. انظر أسد الغابة لابن الأثير: ١/ ٦٢٠، الإصابة لابن حجر: ١/ ٤٥٤.

للشهداء من عظيم الأجر بعد أن اطمأنت أن رسول الله (ﷺ) بخير .

ولقيتها عائشة (رضي الله عنها): «وهي تسوق بعيرها لها ، عليه زوجها عمرو بن الجموح وابنها خلاد بن عمرو وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر فقالت عائشة: عندك الخبر . فما وراءك؟ فقالت هند: خيراً أما رسول الله فصالح وكل مصيبة بعده جلل . . فقالت لها عائشة : ومن هؤلاء ؟ قالت: أخي وابني خلاد وزوجي عمرو بن الجموح» [(١)] .

بهذا الإيمان وهذا الصبر تقابل المرأة المسلمة مصيبتها في فقد أهلها بعد أن علمت أن رسول الله بخير .

لقد بلغت الصحابيات مرتبة الإيمان التي قال عنها رسول الله (ﷺ): «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[(٢)] ، ووقر هذا الإيمان في قلوبهن وهوّن عليهن ما يجدنه فى سبيل الله . وإن هذا الإيمان الذى يجعل المرأة تفتدي رسول الله (ﷺ) بكل غال لديها وهو ما تفتقده الكثير من النساء اليوم وإذا كان رسول الله (ﷺ) قد انتقل إلى جوار ربه فإن تحقيق محبته تتجلى فى محبة سنته والعمل بشريعته وبذل النفس والنفيس لتبليغ دعوته وتقديم كل غال فداء لها أن تقدم المرأة الابن والزوج والأخ ، تحثهم على نشر دعوة الله والجهاد فى سبيل الله والثبات عند اللقاء ، وإذا نالوا الشهادة استقبلت الخبر بكل الرضا والتسليم دون أن يستبد بها الجزع أو تنال منها المصيبة موقنة أن كل مصيبة بعد رسول الله (ﷺ) صغيرة وهينة .

صبر المرأة بعد عهد النبي (ﷺ): كما كانت المرأة فى عهد النبي (ﷺ) تحث أبنائها على الجهاد وتصبر على فقدهم فكذا كان شأنها بعد وفاة النبي (ﷺ) حيث سارت على نفس الدرب فدفعت أبناءها إلى طريق الجهاد وزينته لهم ثم ضربت أروع الأمثلة على الصبر والإحتساب حين يبلغها خبر استشهاد أحدٍ منهم .

---

(١) المغازي للواقدي: ١/ ٢٦٥ ، وانظر أسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ٧٠٥ ، الإصابة لابن حجر: ١/ ٤٥٤ .

(٢) صحيح البخاري . كتاب الإيمان : باب حب الرسول (ﷺ) من الإيمان : ١/ ٥٨ (من فتح البارى) .

وأكتفي بالحديث عن أحد المواقف البارزة في هذا الشأن وهو موقف أسماء بنت أبي بكر (ﷺ) مع ابنها عبد الله بن الزبير .

وقفت أسماء بنت أبي بكر (ﷺ) موقفاً إيمانياً عظيماً عندما جاءها ابنها عبد الله ابن الزبير يستشيرها في حربه مع الحجاج بن يوسف الثقفي[(١)] ويشكو إليها ما فعل الناس به[(٢)] فشجعته على المضي في جهاده إن كان يرى أنه على الحق ونصحته إلا يتقاعس عن نصرة دينه ، وإلا يهاب الموت فالشهادة شرف سبقه إليه الكثير من أصحابه فخرج من عندها بطلاً شجاعاً وخلفه قلب مؤمن صابر يدعوا له بالنصر أو الشهادة فكان ذلك اللقاء آخر لقاء له بها رضى الله عنهما جميعاً .

روى ابن كثير [(٣)] قصة أسماء وابنها عبد الله فقال: «دخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له ، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله[(٤)] وأنه لم

---

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي: كان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن . وكان ظلوماً جباراً سفاكاً للدماء حاصر عبد الله بن الزبير بالكعبة ورماه بالمنجتيق .وأذل أهل الحرمين ولى العراق والمشرق عشرين سنة له حسنات مغمورة في بحر ذنوبه أهلكه الله في رمضان سنة خمسة وتسعين كهلاً انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٤/ ٣٤٣ . وانظر البداية والنهاية لابن كثير :٨/ ٣٢٩ .

(٢) لما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد استفحل أمر عبد الله ابن الزبير وبويع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية وكانت ولايته سنة أربع وستين ولكن عارضه مروان بن الحكم في ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ثم جهز السرايا على العراق ومات وتولى بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير بالعراق وأخذها ثم بعث إلى الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر ونادى الحجاج في الناس وقال: إنا لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير وخير ابن الزبير بين ثلاث: إما أن يذهب في الأرض حيث شاء أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد أو يقاتل حتى يقتل . فشاور أمه فأشارت عليه بالثالث فخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالاً شديداً فظفر به الحجاج وقومه فقتلوه وصلبوه . انظر البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٣٩ ، ٣٤١ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٤/ ٢٢-٢٥ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ١٤٠ ، سير أعلام النبلاء للذهبي : ٣/ ٣٦٤ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣١١ .

(٣) البداية والنهاية : ٨/ ٣٣٠ ، وانظرالكامل في التاريخ : ٤/ ٢٣-٢٤ .

(٤) لما خرج من كان مع عبد الله بن الزبير إلى الحجاج يطلبون الأمان ، خرج معهم ابنا عبد الله : حمزة وخبيب فأخذا لأنفسهم أماناً من الحجاج فأمنهما . انظر البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٣٠ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٤/ ٣٣ .

يبق معه إلا اليسير ولم يبق لهم صبر ساعة قال والقوم يعطوننى ما شئت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: يابنى أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى الحق فاصبر عليه، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، وأن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن. فدنا منها فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي. ثم قال والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي فانظري يأماه فإنى مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك، وسلمى لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمل فاحشة قط، ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغنى ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته ولم يكن عندي آثر من رضى ربي عز وجل اللهم إني أقول هذا تزكية لنفسي، اللهم أنت أعلم بى منى ومن غيري ولكني أقول ذلك تعزية لأمى لتسلو عنى فقالت أمه: إني لأرجوك من الله أن يكون عزائي فيك حسناً أخرج يا بني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك. فقال جزاك الله يا أمة خيراً فلا تدعي الدعاء قبل وبعد. فقالت: لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبي، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها – وكانت قد أضرت في أخر عمرها – فوجدته لابساً درعاً من حديد فقالت: يا بني ما هذا لباس من يريد ما تريد من الشهادة فقال يا أماه إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به فقالت: لايابنى ولكن انزعه فنزعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهى تقول شمر ثيابك وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل، وجعلت تذكره بأبيه الزبير وجده أبي بكر الصديق وجدته صفية بنت عبد المطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله (ﷺ) وترجيه

القدوم عليهم إذا هو قتل شهيداً ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضي الله عنهما وعن أبيه وأبيها» .

هذا الحوار الذى دار بين هذه الأم العظيمة وابنها المجاهد يعد من أعظم المواقف التي يصدق فيها العمل ما وقر في القلب من إيمان . موقف أم ترى ابنها بمفرده ليس معه إلا بضعة رجال يحاصرهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل[١] وقد تخلى عنه من معه حتى أولاده فيشكو إليها تخلي الناس عنه ويستشيرها فيما يفعل فتذكره بإصلاح نيته اولاً ثم تحثه على الجهاد وتزين له الشهادة وتدعو له وتذكره بفضائله وتحبب إليه اللحاق بركب كبار المجاهدين فيزداد إيمانه ويقوى يقينه ويخرج مستعيناً بالله لملاقاة عدوه .

تلك هي أسماء الأم العظيمة والمجاهدة الصابرة التي بلغت المئة عام تعلمنا من هذا الموقف كيف الإعداد الأم أبناءها على الإخلاص لله تعالى وكيف تعدهم الإعداد الجاد لنصرة دين الله حتى لا تستولي المومة الجاهلة والخوف على الإبن من الأذى أو الموت على عقول الأمهات وقلوبهن فلا يبصرن أين تكون سعادة الأبن وما السبيل إليها .

خرج عبد الله بن الزبير من عند أسماء وأخذ يقاتل القوم قتالاً شديداً حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته . فلما كان ليلة الثلاثاء ، السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بات ابن الزبير يصلى طوال ليلته ثم جلس حتى أذن الفجر فصلى ثم حرض من معه على القتال وحثهم على الصبر فقاتلوا ثم جاءته آجرة[٢] فأصابته فى وجهه فارتعش لها ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه . ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان[٣] وبعث برأس ابن الزبير إليه ، وأمر بجثته فصلبت

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير :٤/ ٢٢-٢٣ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٣٠ .

(٢) آجرة: طبيخ الطين أى قطعة مجمدة من الطين تتخذ للبناء . لسان العرب لابن منظور : ٤/ ١١ .

(٣) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية ولد سنة ست وعشرين تملك بعد أبيه الشام ومصر ثم حارب ابن الزبير الخليفة وقتل أخاه مصعباً واستولى على العراق وجهز الحجاج لحرب ابن الزبير فقتله واجتمع له الممالك كان من رجال الدهر ودهاة الرجال . توفي سنة ست وثمانين عن نيف وستين سنة . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٤/ ٢٤٦-٢٤٩ .

على ثنية كدا عند الحجون[١] منكسة [٢].

وبلغ الخبر أمه أسماء فاسترجعت واحتسبت. ثم أرسل الحجاج إليها بأن تأتي لمقابلته فأبت ذلك بكل جرأة وشجاعة دون أن تهاب سطوته أو تخشى بطشه فبعث إليها مهدداً ومتوعداً فلم تعبأ، بتهديده ووعيده، ثم جاءها بنفسه وأخبرها بما صنع بابنها فردت عليه رداً مفحماً وأخبرته بأنه مهلك ثقيف الذي أخبر عنه رسول الله (ﷺ) فلم يرد عليها وانهزم أمام صمودها وجرأتها وأسرع بالإنصراف عنها لايلوى على شيء.

روى مسلم[٣] بإسناده عن أبي نوفل[٤] قال: «رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة[٥] قال: فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن[٦] هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا. أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا. أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير ثم نفذ[٧] عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله فأرسل إليه فأنزل عن جذعه فألقي في قبور اليهود ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ٣٣١ -٣٣٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤/ ٢٥-٢٦

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ٣٤٢، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٣٧٩.

(٣) في الصحيح. كتاب فضائل الصحابة باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها: ١٦/ ٩٨-٩٩. وانظر البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ٣٤١.

(٤) أبو نوفل بن أبي عقرب البكرى الكندى قيل اسمه مسلم بن أبي عقرب وقيل عمرو بن مسلم بن أبي عقرب. روى عن أبيه وجده وعائشة وأسماء بنتي أبى بكر الصديق وعمرو بن العاص. قال ابن معين ثقه، وذكره ابن حبان فى الثقات، تهذيب التهذيب: ١٢/ ٢٦٠.

(٥) عقبة المدينة: هى عقبة بمكة. شرح مسلم للنووى: ١٦/ ٩٨

(٦) قال النووي مذهب أهل الحق ان ابن الزبير كان مظلوماً وأن الحجاج ورفقته كانوا خوارج عليه. ومعنى قوله لقد كنت أنهاك عن هذا أى عن المنازعة الطويلة. شرح مسلم: ١٦/ ٩٩.

(٧) نفذ أي مضى ونصرف. لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٥١٦، شرح مسلم للنووي: ١٦/ ٩٩.

فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن عليك من يسحبك بقرونك[١]. قال: فأبت وقالت والله لاآتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني. قال: فقال: أروني سبتي[٢] فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف[٣] حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله ؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك بلغني أنك تقول له يا ابن ذات النطاقين أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله (ﷺ) وطعام أبي بكر من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه أما إن رسول الله (ﷺ) حدثنا أن في ثقيف كذاباً[٤] ومبيراً [٥] فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك[٦] إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها».

بهذا الموقف العظيم توجه أسماء كل إلى أم أن الأبن إذا ربي على الإيمان وحب الجهاد ثم مات على هذا الدرب وخسر دنياه الزائلة، فإن ذلك يعقبه صلاح آخرته الدائمة بإذن الله، وأن الخسارة الحقيقية هي السعي من أجل صلاح الدنيا فقط سعياً يثمر خسارة الآخرة. فإذا ما رسخت الأم هذه المعاني في نفوس الأبناء وربتهم عليها تكون قد أنشات جيلاً مؤمناً يثبت على دينه ويدافع عنه ويعلم عظم الأمانة التي يحملها فتهون

---

(١) يسحبك بقرونك: أى يجرك بضفائر شعرك . انظر لسان العرب لابن منظور : ١٣/ ٣٣٤ ، شرح مسلم للنووى: ١٦/ ٩٩ .

(٢) السبت: النعل التي لاشعر عليها . انظر النهاية لابن الأثير : ٢/ ٣٣٠ .

(٣) يتوذف: يسرع وقيل يتبختر . شرح مسلم للنووي : ١٦/ ٩٩ .

(٤) قال النووي: اتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبى عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف . شرح مسلم : ١٦/ ١٠٠ . والكذاب هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ، أسلم أبوه فى حياة النبى (ﷺ) ولم يره . أخته صفيه بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب كانت من الصالحات العابدات . أما المختار فإنه كان ناصبياً يبغض علياً وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسبه في السر ولم يكن صادقاً وعرف بالكذب . كان يزعم أن الوحي يأتيه يد على جبريل وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة . قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين وله من العمر سبع وستون سنة : انظر البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٢٨٩-٢٩٢ .

(٥) مبير : أي مهلك يسرف في إهلاك الناس : لسان العرب لابن منظور : ٤/ ٨٦ .

(٦) إخالك – بكسر الألف وهو الأفصح – أي أظنك . لسان العرب لابن منظور : ١١/ ٢٢٦ .

عليه المصائب والمحن في سبيل الله إعزاز دينه وصلاح آخرته .

وفي رواية للإمام أحمد[١] أن الحجاج بن يوسف دخل على أسماء بنت أبى بكر بعدما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال: إن ابنك ألحد في هذا البيت وأن الله عزوجل أذاقه من عذاب أليم وفعل به ما فعل. فقالت : كذبت كان براً بالوالدين صواماً قواماً والله لقد أخبرنا رسول الله (ﷺ) أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير» .

ومرت أسماء بابنها وهو مقطوع الرأس مصلوب على الثنية «فقالت للحجاج: أما آن للراكب أن ينزل؟ فقال: المنافق ؟ قالت: والله ما كان منافقاً ، كان صواماً قواماً براً قال: انصرفي ياعجوز فقد خرفت . قالت: لا - والله – ما خرفت منذ سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في ثقيف كذاب ومبير» [٢] .

هذه الأم الصابرة المحتسبة ، ذات القلب المؤمن بالله القوي على احتمال الشدائد تصاب بقتل ابنها ثم تعظم المصيبة بقطع رأسه ثم يشتد وقعها بصلبه منكساً يتفرج الناس عليه ، فلا تنهار ولا تجزع بل تخرج إليه وهو مصلوب وتدعو له ولا تقطر من عينها دمعة[٣] .

ويمر عليها عبد الله بن عمر مشفقاً عليها يطمأنها ويعزيها فتطمئنه برباطة جأشها وصبرها على أقدار الله .

---

(١) في المسند كتاب الأمارة والخلافة باب بعث عبد الملك بن مروان الحجاج إلى مكة لقتل ابن الزبير : ٢٣/ ١٩١ (من الفتح الرباني) ، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٩٦ . وقال في الهامش : إسناده قوي الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٢٥٤ . البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٤٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٩٤ وقال فى الهامش رجاله ثقات غير واحد لم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً . مجمع الزوائد كتاب المناقب : باب أسماء بنت أبي بكر : ٩/ ٢٦٠ . (مختصراً) وقال الهيثمي رواه الطبراني وفيه يحيى بن يعلى وهو ضعيف وجاء في هامش سير أعلام النبلاء : نسبه الهيثمي للطبراني وضعفه بيحيى بن يعلى فأخطأ لأن يحيى أبا المحياة ثقة من رجال مسلم : ٢/ ٢٩٤ ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٤٤ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٣٠ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٤٠ .

«قيل لابن عمر إن أسماء في ناحية المسجد - وذلك حين صلب ابن الزبير - فمال إليها فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري فقالت: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»[١].

ثم طلبت أسماء من الحجاج أن يدفن ابنها فأبى حتى كتب إلى عبد الملك في ذلك فكتب إليه أن يدفن، فدفن بعدما كفنته أمه وقد فقدت بصرها ثم ماتت بعده بمئة يوم وبلغت من العمر مئة سنة، ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل رضي الله عنها وأرضاها[٢].

تعقيب: مما تجدر الإشارة إليه أن ذكر النماذج السابقة لصبر المرأة المسلمة وتجلدها لا يعني إنتفاء شعورها بالحزن عند المصيبة أو البكاء عند وقوعها فإن الصبر على المصيبة لا ينافي في الحزن بسببها أو البكاء عند وقوعها فإن رسول الله (ﷺ) وهو المربي الأول والقدوة لكل مسلم فى الصبر والثبات قد بكى عندما استشهد عمه حمزة بن عبد المطلب ولما قدم المدينة بعد أحد وسمع نساء الأنصار يبكين، حزن أن يسمع أحداً يبكي على حمزة فبكت نساء الأنصار عليه ثم نهاهن عن البكاء بعد ذلك. وكان ذلك نهيا عن النياحة.

«عن أنس بن مالك قال: لما رجع رسول الله (ﷺ) من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال : لكن حمزة لا بواكي له فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة فنام رسول

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٩٤ -٢٩٥ وقال في الهامش: رجاله ثقات. وانظر البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٤٦ . قولها: «قد أهدى رأس يحيى تشير إلى ما كان من هيروذيان ابنة أخ هيرودس حاكم فلسطين حين أراد عمها أن يتزوجها وكان هذا الزواج محرماً وكان يحيى لايرضاه وكانت البنت وأمها ترضيانه فطلبت البنت برأس يحيي في طبق ففعل العم ذلك لها» والله أعلم. انظر قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٦٩

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ٣٤١-٣٤٦ ، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٩٥ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٠ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٢٣٠ . قيل أن أسماء عاشت بعد ابنها عشرين يوماً وقيل خمسة أيام وقيل عاشت مئة يوم وهو الأشهر، انظر البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٤٦ .

الله(ﷺ) ثم استيقظ وهن يبكين فقال: ياويحهن مازلن يبكين منذ اليوم فليبكين ولا يبكين على هالك بعد اليوم»[١] .

وفي رواية: «فأستيقظ رسول الله (ﷺ) فقال ويحهن ما انقلبن بعد؟ مروهن فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم»[٢] .

كما أن النبي (ﷺ) عندما مات ابنه إبراهيم جعلت عيناه تذرفان وعندما سئل وأنت يا رسول الله ؟ قال للسائل: «إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى[٣] فقال (ﷺ) إن العين لتدمع والقلب لا يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[٤] وقال (ﷺ): «إن الله لايعذب بدمع العين ولا بـحزن القلب ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم»[٥] .

وثبت أن النبي (ﷺ) حزن على قتل القراء[٦] يقول أنس: «فما رأيت رسول الله (ﷺ) حزن حزناً قط أشد منه»[٧] .

---

(١) مجمع الزوائد كتاب المغازي والسير باب مقتل حمزة رضي الله عنه : ٦/ ١٢٠ وقال الهيثمي رواه أبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الجنائز باب ما جاء في البكاء على الميت : ١/ ٥٠٧ وانظر السيرة لابن هشام : ٢/ ٩٩ ، وقال ابن هشام : نهى يومئذ عن النوح .

(٣) قال ابن حجر : قيل أى أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى وقيل أتبع الكلمة الأولى وهي رحمة بكلمة أخرى وهي قوله إن العين لتدمع . فتح البارى : ٣/ ١٧٣ .

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجنائز : با ب قول النبي (ﷺ) إنابك لمحزونون : ٣/ ١٧٢-١٧٣ (من فتح البارى) .

(٥) صحيح البخاري: كتاب الجنائز : باب البكاء عند المريض : ٣/ ١٧٥ (من فتح البارى) .

(٦) هم السبعون من الأنصار الذين بعثهم النبي (ﷺ) فى حاجة فعرض لهم جماعة من بنى سليم عند بئر معونة فقتلوهم غدراً . انظر صحيح البخاري . كتاب المغازي: باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة : ٧/ ٣٨٥ -٣٨٦ (من فتح الباري) .

(٧) صحيح البخاري . كتاب الجنائز : باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن : ٣/ ١٦٧ (من فتح البارى) .

كما حزن (ﷺ) على مقتل زيد بن حارثة [١] وجعفر ابن أبى طالب[٢] وعبد الله ابن رواحة[٣] عندما استشهدوا فى غزوة مؤتة [٤] .

تقول عائشة رضي الله عنها لما جاء النبي (ﷺ) قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن وأنا أنظر»[٥] .

قال ابن حجر[٦] : «قال الطيبي: كأنه كظم الحزن كظماً فظهر منه ما لابد للجبلة البشرية منه» . فالمرأة حين تفقد أحداً من أهلها شهيداً فتحزن وتبكي لا ينافي ذلك صبرها ؛ لأن الله لا يعذب على الحزن أو البكاء ، وفعل رسول الله (ﷺ) يدل على الجواز ، كما أنها إذا استقبلت الخبر بالرضا والتسليم لايعتبر ذلك استخفافاً بالمصيبة ؛ لأن الطبيعة البشرية لا تمنع الإنسان من أن يتجلد عند المصيبة فلا يظهر حزنه عليها ، فقد ثبت أن أم سليم عندما فقدت ابنها تجلدت فلم تظهر الحزن عليه ، وأقرها النبي (ﷺ) على ذلك .

عن أنس بن مالك قال: «اشتكى ابن لأبي طلحة قال: فمات وأبو طلحة خارج

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس الأنصارى الخزرجي . كان ممن شهد العقبة ، وبدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعده فإنه كان قد قتل قبله في غزوة مؤتة وكان فيها احد الأمراء وذلك سنة ثمان فى جمادى الأولى . انظر أسد الغبة لابن الأثير: ٣/ ١٣٠-١٣٤ ، الإصابة لابن حجر : ٢/ ٣٠٦-٣٠٧ .

(٤) هي سرية زيد بن حارثة فى نحو من ثلاثة الاف إلى أرض البلقاء من أرض الشام في جمادى الأولى سنة ثمان واستعمل عليهم رسول الله زيد بن حارثة وقال إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فاستشهدوا الثلاثة فاختلط المسلمون بالروم واشتد القتال ثم انصرف كل من الفريقين عن الأخر من غير هزيمة على أحدهما ورجع المسلمون إلى المدينة . انظر البداية والنهاية لاين كثير : ٤/ ٢٤١ -٢٤٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢/ ١٥٨-١٦١ .

(٥) صحيح البخاري . كتاب الجنائز : باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن : ٣/ ١٦٦ (من فتح الباري) .

(٦) فتح الباري: ٣/ ١٦٧ .

فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحته في جانب البيت . فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام ؟ قالت قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح وظن أبو طلحة أنها صادقة . قال . فبات . فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ، فصلى مع النبي (ﷺ) ثم أخبر النبي (ﷺ) بما كان منهما ، فقال رسول الله (ﷺ): لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما» [١] . قال سفيان[٢] فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن .

قال ابن حجر[٣]: « في قصة أم سليم جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها والتسلية عن المصائب . . . وكان الحامل لأم سليم على هذه المبالغة فى الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ورجاء إخلافه عليهما ما فات منهما وفيه بيان حال أم سليم من التجلد وجودة الرأي وقوة العزم» .

وحكى ابن حجر[٤] في الجمع بين فعل النبي (ﷺ) وتقريره فقال: «أن الإعتدال في الأحوال هو المسلك الأقوم فمن أصيب بمصيبة عظيمة لا يفرط فى الحزن حتى لايقع في المحذور من اللطم والشق والنوح وغيرها ولا يفرط في التجلد حتى يفضي إلى القسوة والإستخفاف بقدر المصاب فيقتدى به (ﷺ) في تلك الحالة بأن يجلس المصاب جلسة خفيفة بوقار وسكينة تظهر عليه مخايل الحزن ويؤذى بأن المصيبة عظيمة» .

وعلى ذلك فالصبر عند المصيبة أمر مطلوب والحزن بسببها لا ينافي الصبر بشرط الإلتزام بما أمر به الشرع من الثبات عند المفاجأة بالمصيبة لما روى أنس بن مالك قال مر النبي (ﷺ) بامرأة تبكي عند قبر فقال: اتقي الله واصبري قالت: إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه . فقيل لها: إنه النبي (ﷺ) فأتت النبي (ﷺ) فلم تجد عنده

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة : ٣/ ١٦٩ ، (من فتح الباري) .

(٢) هو سفيان بن عيينة .

(٣) فتح الباري : ٣/ ١٧١ .

(٤) فتح الباري : ٣/ ١٦٧ .

بوابين ، فقالت لم أعرفك . فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى» [١] .

قال ابن حجر [٢]: «المعنى إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع فذلك هو الصبر الكامل الذى يترتب عليه الأجر . وأصل الصدم ضرب الشيء الصلب بمثله فاستعير للمصيبة الواردة على القلب قال الخطابي: إن الصبر الذي يحمد علية صاحبه ماكان عند مفاجأة المصيبة – وحكى الخطابى – أن المرء لا يؤجر على المصيبة لأنها ليست من صنعه وإنما يؤجر على حسن ثبته وجميل صبره . كما يجب البعد عن النياحة لقول أم عطيـة رضي الله عنها: أخذ علينا النبي (ﷺ) عند البيعة إلا ننوح» [٣] . وكذا عـدم إحداد المرأة على الميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً لقول زينب بنت أبي سلمة [٤]: «دخلت على زينب بنت جحش [٥] حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست ، ثم قالت: مالى بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله (ﷺ) على المنبر يقول لا يحل لأمراة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاثة ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» [٦] .

ملخص المبحث:

١- شاركت المرأة المسلمة الرجل في شرف الجهاد وشهدت معه المعارك وبذلت كل

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز باب زيارة القبور : ٣/ ١٤٨ (من فتح الباري) .

(٢) فتح الباري : ٣/ ١٤٩-١٥٠ .

(٣) صحيح البخاري . كتاب الجنائز باب ما ينهى عن النوح والبكاء : ٣/ ١٧٦ (من فتح الباري) .

(٤) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد القرشية المخزومية ربيبة رسول الله أمها أم سلمة زوج النبي (ﷺ) كان اسمها برة فسماها رسول الله زينب . ولدتها أمها بأرض الحبشة . تزوجها عبد الله بن زمعة بن الأسود . وكانت من أفقه نساء زمانها . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٣١-١٣٢

(٥) زينب بنت جحش ، زوج النبي (ﷺ) أخت عبد الله بن جحش وهي أسدية من أسـد خزيمـة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي كانت قديمة الإسلام ومن المهـاجرات كانـت كـثيرة الـصدقة والخير وصلة الرحم كانت أول نساء رسول الله (ﷺ) لحوقاً به توفيت سنة عشرين ودفنـت بـالبقيع . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ١٢٥-١٢٧ .

(٦) صحيح البخاري . كتاب الجنائز : باب إحداد المرأة على غير زوجها : ٣/ ١٤٦ (من فتح الباري) .

ماتستطيع من أجل إعزاز دين الله ونشر دعوته .

٢- تعددت مهمات المرأة في الغزو فكان لها دوركبير في خدمة المجاهدين في السقى والمداواة وصنع الطعام ومناولة السهام وحمل الجرحى والقتلى ، ملتزمة في كل هذه الأعمال بالآداب الإسلامية والضوابط الشرعية

٣- كان خروج المرأة للجهاد بهدف مساعدة الجيش في المهام التي تناسب طبيعتها ولم يكن بهدف القتال لكن حين تجبرها المواقف على القتال فإنها لم تتأخر عن ذلك .

٤- إن ذكر صور البطولة المشرقة ، ومواقف الصمود الرائعة التي كانت للمرأة في ساحات الجهاد لا تعني المطالبة بمساواة المرأة للرجل في ذلك بل تقف المرأة عند الحدود الشرعية التي أوقفها عندها الإسلام

٥- ضربت المرأة المسلمة أروع الأمثلة في الصبر والثبات عند فقدها لأهلها الذين استشهدوا فى سبيل الله ، فكانت الأم التي تحث ابنها على الجهاد وتستبشر بنيله الشهادة ، وكانت الزوجة التي تستقبل خبر استشهاد زوجها بالرضا والتسليم ، وكانت الأخت التي ترى التمثيل بأخيها فلا تجزع ولا تنهار ، وكانت الإبنة التي تحمل والدها على البعير شهيداً بعد أن سرت بسلامة رسول الله (ﷺ) فكان إيمانها بالله وثقتها بما أعد الله للشهداء خير عاصم لها من الجزع والتسخط .

المبحث الثالث

تكريم المرأة وقت الجهاد

المطلب الأول: مكافأة المجاهدة:

من صور إهتمام الإسلام بتكريم المرأة وقت الجهاد أنه جعل للمرأة التي تخرج مجاهدة في سبيل الله نصيباً في الأموال التي يغنمها المسلمون من أعدائهم، ولم يخص الرجل وحده بالعطاء ويهمل جهود المرأة بل ساوى بينهما في أصل العطاء وفي هذا اعتراف بما تبذله المرأة من جهد في سبيل الله وشكر، لها على تضحيتها بالخروج إلى المعركة والقيام بخدمة المجاهدين، إلا أن ما يعطى للمرأة لا يبلغ سهم كسهم الرجل بل تعطى عطاء دون السهم .

والقول بأن المرأة لا يسهم لها في الجهاد وإنما تعطى عطاء يسمى الرضخ(١) هو قول جمهور العلماء (٢) .

قال النووي(٣): «بهذا قال أبو حنيفة والثوري والليث والشافعي وجماهير العلماء» . وقال الأوزاعي: «تستحق السهم إن كانت تقاتل أو تداوي الجرحى وقال مالك لا رضخ لها»(٤) .

والدليل على أن المرأة لا تستحق السهم مارواه مسلم(٥) والترمذي(٦) بإسناديهما في حديث سؤال نجدة الحروي لابن عباس وفيه: «هل كان رسول الله (ﷺ) يغزو بالنساء وهل كان يضرب لهن بسهم ... فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألني هل كان رسول

---

(١) الرضخ : هو العطية القليلة . النهاية لابن الأثير : ٢/ ٢٢٨ .

(٢) انظر حاشية ابن عابدين : ٤/ ١٤٧-١٤٨ ، الأم للشافعي: ٤/ ١٧٤ ، المغني لابن قدامة : ٨/ ٤١٠-٤١١ .

(٣) شرح مسلم : ١٢/ ١٩٠ ، وانظر بلغة السالك على أقرب المسالك : ١/ ٣٣٨ .

(٤) المرجع السابق . وانظر عون المعبود : ٧/ ٤٠٠

(٥) في الصحيح كتاب الجهاد والسير : باب النساء الغازيات : ١٢/ ١٩٠ (واللفظ له) .

(٦) في السنن أبواب السير : باب من يعطى من الفيء : ٥/ ١٦٧ (بنفس اللفظ) (من تحفة الأحوذي) .

الله(ﷺ) يغزو بالنساء وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة وأما بسهم فلم يضرب لهن» .

وفي رواية ثانية لمسلم[١]: «إنك كتبت تسألني عن المرأة والعبد يحضران المغنم هل يقسم لهما شيء وإنه ليس لهما شيء إلا أن يحذيا» .

وفي رواية ثالثة له[٢]: «وسألت عن المرأة والعبد هل كان لهما سهم معلوم إذا حضروا البأس فإنهم لم يكن لهم سهم معلوم إلا أن يحذيا من غنائم القوم» .

قال النووي[٣] قوله: «يحذين أى يعطين تلك العطية وتسمى الرضخ وفي هذا أن المرأة تستحق الرضخ ولا تستحق السهم» .

وجاء في تحفة الأحوذي[٤]: «الحديث دليل على أن النساء إذا حضرن القتال مع الرجال لايسهم لهن بل يعطين شيئاً من الغنيمة» .

وجاء في رواية أبي داود [٥] للحديث: «قد كن يحضرن الحرب مع رسول الله (ﷺ) فأما أن يضرب لهن بسهم فلا وقد كان يرضخ لهن» .

قال الخطابى[٦]: «ذهب أكثر الفقهاء إلى أن النساء والعبيد لا يسهم لهم وإنما يرضخ لهم» .

وقال البغوي[٧] : «والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن العبيد والصبيان والنسوان إذا حضروا القتال يرضخ لهم ولا يسهم لهم» .

---

(١) في الصحيح كتاب الجهاد والسير : باب النساء الغازيات : ١٢/ ١٩٢-١٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤

(٣) شرح مسلم : ١٢/ ١٩٠

(٤) تحفة الأحوذى : ٥/ ١٦٧ .

(٥) في السنن كتاب الجهاد : باب المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة : ٧/ ٤٠٠ .

(٦) عون المعبود : ٧/ ٤٠١

(٧) شرح السنة : ١١/ ١٠٤ .

قال ابن قدامة [١]: «يرضخ للمرأة والعبد ومعناه أنهم يعطون شيئاً من الغنيمة دون السهم ولا يسهم لهم سهم كامل ولا تقدير لما يعطونه بل ذلك إلى اجتهاد الإمام وهذا قول أكثر أهل العلم منهم سعيد بن المسيب ومالك والثوري والليث والشافعي وإسحاق وروى ذلك ابن عباس» .

وقال الشافعي [٢]: إذا شهد من ليس عليه فرض الجهاد القتال أحذى من الغنيمة كما كان رسول الله (ﷺ) يحذى للنساء ولا يبلغ بحذية واحد منهم سهماً ولا قريباً منه ويفضل بعضهم على بعض فى الحذية إن كان منهم أحد له غناء في القتال أو معونة للمسلمين المقاتلين ولا يبلغ بأكثرهم حذية سهم مقاتل» .

أما قول الأوزاعي أن المرأة تستحق السهم إن كانت تقاتل أو تداوى الجرحى فقد استدل بحديث حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه وفيه: «حتى إذا فتح الله عليه خيبر أسهم لنا كما أسهم للرجال ، قال فقلت لها: ياجدة وما كان ذلك ؟ قالت : تمراً [٣] » .

ورد العلماء على هذا القول من عدة وجوه :

١- أن حديث ابن عباس صحيح وصريح في أن المرأة لا يسهم لها قال النووي [٤]: «وقال الوزاعي تستحق السهم إن كانت تقاتل أو تداوي الجرحى وقال مالك لا رضخ لها وهذان المذهبان مردودان بهذا الحديث الصحيح الصريح (أي حديث ابن عباس)» .

٢- يحتمل أن المراد بحديث حشرج أنه أشرك النساء مع الرجال في العطاء لا أنه ساوى بينهم فيه .

قال ابن القيم [٥] «يحتمل قولها: «أسهم لنا كما أسهم للرجال» أنها تعني به أنه

---

(١) المغني : ٨/ ٤١٠-٤١١ .

(٢) الأم : ٤/ ١٧٤ .

(٣) سنن أبى داود كتاب الجهاد باب المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة : ٧/ ٤٠١ .

(٤) شرح مسلم : ١٢/ ١٩٠ .

(٥) انظر عون المعبود : ٧/ ٤٠٠ وانظر فتح القدير لابن الهمام : ٤/ ٣٢٧ .

أشرك بينهم في أصل العطاء لا في قدره فأرادت أنه أعطانا مثل ما أعطى الرجال لا أنه أعطاهن بقدرهم سواء» .

وقال ابن قدامة[١] فأما ما روي في إسهام النساء فيحتمل أن الراوي سمى الرضخ سهماً بدليل أن في حديث حشرج: «أنه جعل لهن نصيباً تمراً ولو كان سهماً ما اختص التمر ولأن خيبر قسمت على أهل الحديبية نفر معدودين في غير حديثها ولم يذكرن منهم ويحتمل أنه أسهم لهن مثل سهم الرجال من التمر خاصة أو من المتاع دون الأرض» .

٣ - أن الحديث الذى استدل به الأوزاعي ضعفه العلماء .

قال الخطابى[٢]: «إلا أن الأوزاعى قال يسهم لهن وأحسبه ذهب إلى هذا الحديث وإسناده ضعيف لا تقوم الحجة بمثله» .

وقال الشوكاني[٣] : «سكت عنه أبوداود وفي إسناده رجل مجهول وهو حشرج» .

وجاء في تحفة الأحوذي[٤]: «هذا مرسل والمرسل لا تقوم به الحجة على القول الراجح» .

يستنتج من النصوص السابقة ومن أقوال العلماء: أن المرأة إذا حضرت القتال لا يسهم لها سهم محدد كسهم الرجل وإنما تعطى عطاء دون السهم ولا حد لهذا العطاء وإنما يقدره الإمام حسب ما يراه مناسباً . وإذا قاتلت المرأة أو بذلت جهداً كبيراً جاز للأمام أن يزيد في عطيتها على أن لا تبلغ مقدار سهم الرجل . والله أعلم .

المطلب الثاني: الأهتمام بنساء المجاهدين :

اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بنساء المجاهدين اللاتي لم يخرجن للجهاد فأجلَّ قدرهن ورفع مكانتهن وأوصى بهن خيراً ، وما هذا الاهتمام بهن إلا لقيامهن بحفظ بيت المجاهد

---

(١) المغني : ٨/ ٤١١-٤١٢ .

(٢) عون المعبود : ٧/ ٤٠١ ، وانظر شرح السنة للبغوي : ١١/ ١٠٤ .

(٣) نيل الأوطار : ٧/ ٢٨٠ .

(٤) تحفة الأحوذي : ٥/ ١٦٨ .

بعد خروجه ، ولا شك أن هذا نوع من الجهاد . فإن من خلفت زوجها الغازي في أبنائه وأهله بخير وشاطرته هم الجهاد فهي مجاهدة تستحق التكريم وإن لم تخرج . وكان الاهتمام بهن من ناحيتين :

الأولى : التحذير من الإساءة إليهن .

الثانية : رعايتهن والبر بهن .

أولاً: التحذير من الإساءة إليهن: حذر الإسلام من الإساءة إلى النساء اللاتي خرج رجالهن للجهاد في سبيل الله أو التعرض لهن بمكروه وشدد في هذا الأمر بأن جعلهن محرمات على من قعد من الرجال كحرمة أمهاتهم وحذر من خيانة المجاهدين فيهن وتوعد من يخون المجاهد فى أهله فيتعرض لهن بسوء أشد الوعيد .

روى مسلم[١] والنسائي[٢] وأبو داود[٣] وأحمد[٤] والبيهقي[٥] بأسانيدهم عن بريدة قال رسول الله (ﷺ): «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ومامن رجل من القاعدين يخلف[٦] رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه[٧] فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم .

ففي الحديث تشديد وتغليظ في أمر حماية نساء المجاهدين ووعيد شديد لمن يسيء

---

(١) في الصحيح . كتاب الإمارة : باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن : ١٣/ ٤١-٤٢ . (واللفظ له) .

(٢) في السنن كتاب الجهاد باب حرمة نساء المجاهدين : ٦/ ٥٠-٥١ (بنحوه) .

(٣) في السنن كتاب الجهاد باب في حرمة نساء المجاهدين على القاعدين : ٧/ ١٧٢-١٧٣ (بنحوه) (من عون المعبود) .

(٤) في المسند كتاب الجهاد باب في حرمة نساء المجاهدين : ١٤/ ٢٥ (بإختلاف فى بعض الألفاظ) (من الفتح الرباني) .

(٥) في السنن كتاب السير باب ما جاء فى حرمة نساء المجاهدين : ٩/ ١٧٣ (بنحوه) .

(٦) يخلف : يقال خلفت الرجل فى أهله إذا أقمت بعده فيهم وقمت بما كان يفعله . النهاية لابن الأثير : ٢/ ٦٦ .

(٧) الخون : أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح : لسان العرب لابن منظور : ١٣/ ١٤٤ .

إليهن أو يتلمس عورراتهن مستغلاً غياب رجالهن في الجهاد . وبين الحديث سوء عاقبة من يخلف المجاهد في أهله بسوء بأنه يوقف له يوم القيامة فيأخذ المجاهد ما شاء من حسناته في ذلك اليوم العصيب الذي يفتقر المرء فيه للحسنات، لذلك قال النبي (ﷺ) «فما ظنكم» أي ماتظنون في رغبته في أخذ حسناته والاستكثار منها في ذلك المقام أن لا يبقي منها شيء إن أمكنه[١] أو إذا خير الغازي فما ظنكم بحسابه هل يأخذ الكل أو يترك شيئاً»[٢] . دل على ذلك رواية النسائي للحديث وفيها: «فيقال يا فلان هذا فلان فخذ من حسناته ما شئت ثم التفت النبي (ﷺ) إلى أصحابه فقال : ما ظنكم ترون يدع له من حسناته شيئاً» .

وإذا كان هذا حال من يخون خيانة واحدة فكيف حال من تعددت إساءته ؟ يقول النووي[٣]: «في قوله (ﷺ) حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم هذا في شيئين:

أحدهما: تحريم التعرض لهن بريبة من نظر محرم وخلوة وحديث محرم وغير ذلك .

والثاني: في برهن والإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي لايترتب عليها مفسدة ولا يتوصل بها إلى ريبة ونحوها .

وحذر رسول الله(ﷺ) أشد التحذير من الدخول على المرأة التي غاب عنها زوجها فقال: «مثل الذي جلس على فراش المغيبة[٤] مثل الذي نهشه أسود من أساود يوم القيامة» [٥] .

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي: ١٣/ ٤٢ .

(٢) حاشية السندى على سنن النسائي: ٦/ ٥٠-٥١ .

(٣) شرح مسلم : ١٣/ ٤١-٤٢ .

(٤) المغيبة هي التي غاب عنها زوجها وامرأة مغيب: غاب بعلها أو أحد من أهلها لسان العرب لابن منظور : ١/ ٦٥٤-٦٥٥ .

(٥) مجمع الزوائد كتاب الحدود والديات باب حرمة نساء المجاهدين : ٦/ ٢٥٨ وقال الهيثمي، رواه الطبراني ورجاله ثقات .

والمغيبة في الحديث هي التي غاب عنها زوجها أو أحد من أهلها في جهاد أو غيره .

ثانياً: رعايتهن والبر بـــهن: لم يقتصر تكريم الإسلام لنساء المجاهدين على التحذير من الإساءة إليهن بل حث على الإحسان إليهن وأمر بالبر بهن ورعايتهن أثناء غياب رجالهن . وأسرة المجاهد قد يطرأ عليها أثناء غيابه أمر يفتقر إلى معونة كمرض ونحوه فتحتاج إلى مساعدة من القاعدين فرغب الإسلام في سد حاجات أسرة المجاهد ورتب على ذلك عظيم الأجر بأن جعل من يحسن إلى أسرة المجاهد ويقوم مقامه في رعاية أسرته والاهتمام بشئون بيته بأن له من الأجر مثل ما للغازي في سبيل الله .

روى مسلم(١) والبخاري(٢) والنسائي(٣) والترمذي(٤) وأبو داود(٥) وأحمد(٦) بأسانيدهم عن زيد بن خالد الجهني(٧) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا» .

قال ابن حجر(٨): «معناه أنه مثله فى الأجر وإن لم يغز حقيقة» .

وقال النووي(٩) : «حصل الأجر لكل خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته» .

---

(١) في الصحيح كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله : ١٣/ ٤٠ (واللفظ له) .

(٢) في الصحيح : كتاب الجهاد باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير : ٦/ ٤٩ ، بـ ـره (من فتح الباري) .

(٣) في السنن كتاب الجهاد باب فضل من جهز غازياً : ٦/ ٤٦ (بنفس اللفظ)

(٤) في السنن أبواب فضائل الجهاد باب ماجاء فيمن جهز غازياً : ٥/ ٢٥٦ ، ٢٥٧ (بنفس اللفظ)

(٥) في السنن كتاب الجهاد باب ما يجزيء من الغزو : ٧/ ١٨٦ (بنفس اللفظ) . (من عون المعبود) .

(٦) في المسند كتاب الجهاد : باب فضل إعانة المجاهد وتجهيزه : ١٤/ ٢٣ (بنحوه) (من الفتح الرباني) .

(٧) زيد بن خالد الجهني ، سكن المدينة وشهد الحديبية مع رسول الله (ﷺ) وكان معه لواء جهينة يوم الفتح . توفي بالمدينة وقيل بمصر سنة ثمان وسبعين وقيل غير ذلك . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢/ ١٣٢-١٣٣ .

(٨) فتح البارى : ٦/ ٥٠ .

(٩) شرح مسلم : ١٣/ ٤٠ .

وجاء في تحفة الأحوذي[١] يقال خلفه فى أهله إذا قام مقامه في إصلاح حالهم ومحافظة أمرهم أى من تولى أمر الغازي وناب منابه في مراعاة أهله زمان غيبته شاركه في الثواب لأن فراغ الغازي له واشتغاله به بسبب قيامه بأمر عياله فكأنه مسبب عن فعله .

وقول النبي (ﷺ): «من جهز غازياً ومن خلف غازياً» لفظ عام يشمل الرجل والمرأة فليست فضيلة تجهيز الغازي أو الإحسان إلى أهله مقصورة على الرجل ، بل يمكن للمرأة أن تكون ممن يجهز الغازي أو يخلفه في أهله بخير فإن معني من جهز غازياً أي من هيأ أسباب سفره من شيء قليل أو كثير وفى مقدور المرأة أن تجهز الغازي بقليل أو كثير[٢] . فتفوز بالأجر العظيم ، بل إنها إن كان لديها ما تجهز به الغازي المحتاج ويفضل عن حاجتها وتمنعه عنه فإن ذلك يسبب محق بركة ما عندها . يؤيد ذلك ما رواه مسلم[٣] بسنده عن أنس بن مالك أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز . قال: ائت فلان فإنه قد كان تجهز فمرض فأتاه فقال إن رسول الله (ﷺ) يقرئك السلام ويقول أعطيني الذي تجهزت به قال يا فلانة أعطه الذي تجهزت به ولا تحبسي عنه شيئاً فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيبارك لك فيه» .

كما أن المرأة إذا قامت برعاية بيتها والاهتمام بشئون أولادها حال غياب زوجها الغازي كان لها ايضاً مثل أجر الغازي في سبيل الله . ولا شك أن المجاهد إذا خرج من بيته وهو يعلم أن هناك من يقوم برعاية أسرته حال غيابه فإن ذلك سيكون له أثره العظيم في تفرغه لأمر الجهاد وعدم إنشغاله بغيره .

والترغيب في الإحسان إلى النساء المجاهدين والأهتمام بهن لا يقتصر على حياة المجاهدين وغيابهم في سبيل الله بل يمتد هذا الصنيع النبيل على ما بعد وفاتهم وفي هذا تقدير لشهداء المسلمين واعتراف بما قدموه في سبيل الله وتكريم نسائهم وتعويض لهن عما فقدنه .

---

(١) تحفة الأحوذي: ٥/ ٢٥٦ .

(٢) انظر عمدة القارى للعيني: ١٤/ ١٣٧ .

(٣) في الصحيح كتاب الإمارة : باب فضل إعانة الغازي: ١٣/ ٣٩

والدليل على ذلك مارواه البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] بإسناديهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي (ﷺ) لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم[(٣)] إلا على أزواجه فقيل له ، فقال: إني أرحمها قتل أخوها[(٤)] معي[(٥)] » .

قال ابن المنير[(٦)] في إلاحسان إلى أهل الغازى: «إن ذلك أعم من أن يكون في حياته أو بعد موته والنبي (ﷺ) كان يجبر قلب أم سليم بزيارتها ويعلل ذلك بأن أخاها قتل معه ففيه أنه خلفه فى أهله بخير بعد وفاته وذلك من حسن عهد النبي (ﷺ)» .

وقال البدر العيني[(٧)] : «إن تجهيز الغازي ونظره فى أهله من غاية الإكرام للغازي وقد حث النبي (ﷺ) على ذلك حتى أنه أكرمه بعد موته حيث كان يدخل بيت أم سليم لأجل قتل أخيها وهو غاز فكأنه ينبه بهذا على أن إكرام أهل الغازي الميت مرغوب فيه مع الأجر فإذا كان في إكرام أهل الغازى الميت هكذا ففى إكرام الغازي الحي بطريق الأولى .

المطلب الثالث: جواز أمان المرأة :

رفع الإسلام من شأن المرأة وأحترم كلمتها فأقر أمانها[(٨)] الذي تعطيه لغير

---

(١) في الصحيح . كتاب الجهاد : باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير : ٦/ ٥٠ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٢) في الصحيح . كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم : باب فضائل أم سليم : ١٦/ ١٠ (بنحوه) .

(٣) ذكر ابن حجر في ذلك عدة أقوال : منها أنه لعله أراد على الدوام وإلا فقد كان يدخل على أم حرام ولعل أم سليم كانت شقيقة المقتول أو وجدت عليه أكثر من أم حرام ولا مانع من أن تكون الأختان فى بيت واحد كبير لكل منهما فيه معزل فنسب تارة إلى هذه وتارة إلى هذه انظر فتح البارى : ٦/ ٥١ .

(٤) هو حرام بن ملحان قتل يوم بئر معونة .

(٥) قوله «قتل معي» : اى مع عسكرى او على أمري وفي طاعتي لأن النبي (ﷺ) لم يشهد بئر معونة وإنما أمرهم بالذهاب إليها . انظر فتح الباري لابن حجر : ٦/ ٥١ ، عمدة القارىء للعيني : ١٤/ ١٣٨ .

(٦) فتح الباري : ٦/ ٥١ .

(٧) عمدة القاريء : ١٤/ ١٣٨ .

(٨) الأمن ضد الخوف وأمنته ضد أخفته . والمأمن : موضع الأمن .و الأَمِن المستجير ليأمن على نفسه .

المسلمين وقبل إجارتها لمن أجارت[(١)] من الحربيين، وفي هذا تكريم للمرأة ورفع لمكانتها في أن تعطى هذا الحق كما يعطاه الرجل وتمنح الأمن لمن استجار بها وتحافظ على حياته فلا يتعرض أحد له بمكروه .

وقد أجمع العلماء على صحة وقبول أمان المرأة[(٢)] .

والدليل على ذلك مارواه البخاري[(٣)] ومسلم[(٤)] ومالك[(٥)] وأبوداود[(٦)] والترمذي[(٧)] والبيهقي[(٨)] بأسانيدهم عن أم هانئ بنت أبي طالب[(٩)] : «قالت ذهبت إلى رسول الله (ﷺ) عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فسلمت عليه فقال: من هذه فقلت: أنا أم هانيء بنت أبي طالب فقال مرحباً بأم هانيء فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد فقلت: يا رسول الله زعم ابن أمي على أنه

لسان العرب لابن منظور : ١٣/ ٢١-٢٢ .

(١) الجار والمجير وهو الذي يمنعك ويجيرك وفي الحديث يجير عليهم أدناهم أى إذا أجار واحد من المسلمين حر أو عبد أو أمراة واحداً أو جماعة من الكفار وأمنهم جاز ذلك على جميع المسلمين لاينقض عليه جواره وأمانه لسان العرب لابن منظور : ٤/ ١٥٤-١٥٥ .

(٢) انظر فتح القدير لابن الهمام : ٤/ ٢٩٨-٢٩٩ مغني المحتاج بشرح المنهاج للنووي ٤/ ٢٣٧ بلغة السالك لأحمد الدردير : ١/ ٣٣٤ المغنى لابن قدامة : ٨/ ٣٦٩-٣٩٧

(٣) في الصحيح كتاب الجزية والموادعة: باب أمان النساء وجوارهن : ٦/ ٢٧٣ (واللفظ له) (من فتح البارى) .

(٤) في الصحيح كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة الضحى: ٥/ ٢٣١-٢٣٣ . (بنفس اللفظ) .

(٥) في الموطاء باب صلاة الضحى : ١/ ٣٠٥-٣٠٦(بشرح الزرقانى) .

(٦) في السنن كتاب الجهاد باب في أمان المرأة : ٧/ ٤٤٤ (مختصراً) (من عون المعبود)

(٧) في السنن أبواب السير: باب ما جاء في أمان المرأة والعبد : ٥/ ٢٠٢ (بنحوه مختصراً) (من تحفة الأحوذي) .

(٨) في السنن كتاب السير باب أمان المرأة : ٩/ ٩٤-٩٥ (بنفس اللفظ) .

(٩) أم هانيء بنت أبي طالب القرشية الهاشمية بنت عم النبي (ﷺ) وأخت علي بن أبي طالب أمها فاطمة بنت أسد واختلف في اسمها فقيل : هند وقيل : فاطمة ، كانت تحت هبيرة بن أبى وهب بن عمرو أسلمت عام الفتح روت عن النبي (ﷺ) أحاديث عاشت بعد خلافة علي . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٦/ ٤٠٤ ، الإصابة لابن حجر : ٤/ ٥٠٣ .

قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة [١] فقال رسول الله (ﷺ): قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء» .

قال البغوي[٢] : «فيه بيان أن أمان المرأة نافذ» .

وقال ابن عبد البر[٣]: «فيه جواز أمان المرأة وإن لم تكن تقاتل وبه قال الجمهور منهم الأئمة الأربعة» .

وقال النووي[٤]: «استدل بعض أصحابنا وجمهور العلماء بهذا الحديث على صحة أمان المرأة قالوا وتقدير الحديث: حكم الشرع صحة جوار من أجرت والنبي (ﷺ) لم ينكر عليها الأمان ولا بين فساده ولو كان فاسداً لبينه لئلا يغتر به» .

وقال الخطابي[٥]: «أجمع عامة أهل العلم أن أمان المرأة جائز» .

وروى البيهقي[٦] والحاكم [٧] بإسناديهما عن أم سلمة زوج النبي (ﷺ) أن زينب بنت رسول الله (ﷺ) أرسل إليها زوجها أبو العاص بن الربيع أن خذي لي أماناً من أبيك فخرجت فأطلعت رأسها من باب حجرتها والنبي (ﷺ) في صلاة الصبح يصلي بالناس فقالت أيها الناس أن زينب بنت رسول الله (ﷺ) وإني قد أجرت أبا العاص فلما فرغ النبي (ﷺ) من الصلاة قال: أيها الناس إني لا أعلم بهذا حتى سمعتموه ألا وإنه يجير على المسلمين أدناهم» .

---

(١) فلان بن هبيرة هو الحارث بن هشام المخزومي، وقال آخرون : هو عبد الله بن أبي ربيعة وروي أنها أجارتهما جميعاً انظر شرح مسلم للنووي: ٥/ ٢٣٢ .

(٢) شرح السنة : ١١/ ٩٠ .

(٣) شرح الزرقاني على موطأ مالك : ١/ ٣٠٦ .

(٤) شرح مسلم : ٥/ ٢٣٢ .

(٥) عون المعبود : ٧/ ٤٤٤ ، وانظر تحفة الأحوذي: ٥/ ٢٠٣ ، فتح الباري: ٦/ ٢٧٦ .

(٦) في السنن كتاب السير باب أمان المرأة : ٩/ ٩٥ (واللفظ له) .

(٧) في المستدرك كتاب معرفة الصحابة : ذكر زينب بنت رسول الله (بنفس اللفظ) وسكت عنه الحاكم والذهبي ورجاله ثقات انظر هامش سير أعلام النبلاء : ٢/ ٢٤٨ ، وانظر السيرة لابن هشام : ١/ ٦٥٧-٦٥٨ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨/ ٣٣ ، أسد الغابة لابن الأثير : ٥/ ١٨٥ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٣/ ٩٤ ، سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢/ ٢٤٨ ، .

وفي رواية أخرى للبيهقي [١]: «أن زينب رضي الله عنها قالت قلت للنبي (ﷺ): إن أبا العاص بن الربيع إن اقرب فابن عم وإن بعد فأبو ولد وإني قد أجرته فأجازه النبي (ﷺ)» .

روى البخاري [٢] والترمذي [٣] وأبوداود [٤] وابن ماجة [٥] بأسانيدهم عن علي بن أبي طالب عن النبي (ﷺ) قال ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم .

قال ابن حجر [٦] : «دخل في قوله أدناهم المرأة» .

وقال الترمذي [٧]: «ومعنى هذا عند أهل العلم أن من اعطى الأمان من المسلمين فهو جائز عن كلهم» .

وجاء في عون المعبود [٨] الذمة: الأمان والمعنى أن واحداً من المسلمين إذا أمن كافراً حرم على عامة المسلمين دمه ، وإن كان هذا المجير أدناهم مثل أن يكون عبداً أو إمرأة .

وروى أبو داود [٩] والبيهقي [١٠] بإسناديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن

---

(١) في السنن كتاب السير باب أمان المرأة : ٩/ ٩٥ . وقال ابن حجر : إسناده قوي . انظر الإصابة : ٤/ ١٢٢ .

(٢) في الصحيح كتاب الجزية والموادعة : باب إثم من عاهد ثم غدر : ٦/ ٢٨٠ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

(٣) في السنن أبواب السير : باب ما جاء في أمان المرأة والعبد : ٥/ ٢٠٣٢ (بنفس اللفظ) (عن عبد الله بن عمر) (من تحفة الأحوذي)

(٤) في السنن . كتاب الديات: باب أيقاد المسلم من الكافر: ١٢/ ٢٦٠-٢٦١ (بنحوه) (من عون المعبود) .

(٥) في السنن كتاب الديات باب المسلمون تتكافأ دماؤهم : ٢/ ٨٩٥ (بنحوه)(عن ابن عباس) .

(٦) فتح الباري : ٦/ ٢٧٤

(٧) سنن الترمذي : ٥/ ٢٠٣

(٨) عون المعبود : ١٢/ ٢٦١ .

(٩) في السنن . كتاب الجهاد : باب في أمان المرأة : ٧/ ٤٤٤ . (من عون المعبود) .

(١٠) في السنن : كتاب السير : باب أمان المرأة : ٩/ ٩٥ .

كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز .

وروى الترمذي[(١)] بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن المرأة لتأخذ للقوم يعني تجير على المسلمين» .

وقال ابن قدامة[(٢)] : «إن الأمان إذا أعطي أهل الحرب حرم قتلهم ومالهم والتعرض لهم ويصح من كل مسلم بالغ عاقل مختار ذكراً كان أو أنثى ، وبهذا قال الثوري والأوزاعي والشافعي وإسحق وابن القاسم وأكثر أهل العلم والمرأة فإن أمانها يصح في قولهم جميعاً» .

يتبين لنا من النصوص السابقة وأقوال العلماء فيها جواز أمان المرأة وقبول إجارتها لمن تجير فإذا أمنت المرأة أحداً من الكفار أو دخل منهم في جوارها فأجارته فإنه يحرم على كل مسلم أن يتعرض له بسوء في نفسه أو ماله أو يغدر به؟ وفي ذلك رفع لشأن المرأة وتكريم لها واحترام لكلمتها .

المطلب الرابع: إذن الأم في جهاد ابنها :

كرم الإسلام الوالدين وأمر بالبر بهما وفرض طاعتهما على الأبناء وخص الأم بمزيد من البر والطاعة ومع عظم منزلة الجهاد في الإسلام وجزيل ثوابه إلا أنه لم يرخص للمسلم أن يجاهد تطوعاً دون إذن والديه إذ البر بهما فرض عين بينما الجهاد فرض كفاية .

وقد وردت أحاديث كثيرة تبين وحوب إستئذان الأم والأب في الخروج للجهاد وأحاديث خصت الأم بالأستئذان وبينت أن البر بها يعدل الجهاد فى سبيل الله .

ومن الأحاديث التى تبين أن استئذان الوالدين في الجهاد ما يلي روى البخاري[(٣)]

---

(١) في السنن أبواب السير باب ما جاء فى أمان المرأة والعبد : ٥/ ٢٠٢ (من تحفة الأحوذي) .

(٢) المغني : ٨/ ٣٩٦-٣٩٧ .

(٣) في الصحيح كتاب الجهاد باب الجهاد بإذن الأبوين : ٦/ ١٤٠ (واللفظ له) (من فتح الباري) .

ومسلم[١] والنسائى[٢] والترمذى[٣] وأبوداود[٤] وأحمد[٥] والبيهقى[٦] بأسانيدهم عن عبد الله بن عمرو[٧] قال: «جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فستاذنه فى الجهاد فقال أحي والداك؟ قال : نعم قال ففيهما فجاهد» .

وروى أبو داود[٨] وابن ماجة[٩] والبيهقي[١٠] بأسانيدهم عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال: جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوى يبكيان قال: ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما» .

وروى مسلم[١١] بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «أقبل رجل إلى نبي الله (ﷺ) فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم بل كلاهما قال فتبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم . قال: فأرجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» .

---

(١) في الصحيح «كتاب البر والصلة» باب بر الوالدين : ١٦/ ١٠٣-١٠٤ (بنفس اللفظ) .

(٢) في السنن كتاب الجهاد باب الرخصة فى التخلف لمن له والدان : ٦/ ١٠ (بنفس اللفظ) .

(٣) في السنن أبواب السير باب ما جاء فيمن خرج إلى الغزو وترك أبويه: ٥/ ٣١٣-٣١٤ (بنفس اللفظ) (من تحفة الأحوذي) .

(٤) في السنن كتاب الجهاد باب الرجل يغزو وأبوه كارهان : ٧/ ٢٠٣-٢٠٤ (بإختلاف في اللفظ) (من عون المعبود) .

(٥) في المسند كتاب الجهاد باب من أراد الجهاد وله أبوان: ١٤/ ٤٠ (بزيادة يسيره) (من الفتح الرباني) .

(٦) في السنن كتاب السير باب الرجل يكون له أبوان مسلمان أو أحدهما فلا يغزو إلا بإذنه : ٩/ ٢٥ (بنفس اللفظ) .

(٧) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي : أسلم قبل أبيه وكان فاضلاً عالماً كان يكتب حديث رسول الله (ﷺ) شهد مع أبيه فتح الشام وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك وشهد صفين توفي سنة ثلاث وستين وقيل غير ذلك . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٣/ ٢٤٥-٢٤٧ .

(٨) في السنن كتاب الجهاد باب فى الرجل يغزو وأبواه كارهان : ٧/ ٢٠٣ ، وسكت عنه أبو داود (واللفظ له) (من عون المعبود) .

(٩) في السنن كتاب الجهاد باب الرجل يغزو وله أبوان : ٢/ ٩٣٠ (بإختلاف اللفظ) .

(١٠) في السنن كتاب السير باب الرجل يكون له أبوان مسلمان أو أحدهما فلا يغزو إلا بإذن أهله : ٩/ ٢٦ (بنفس اللفظ) .

(١١) في الصحيح كتاب: البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين : ١٦/ ١٠٤ .

وروى أبو داود[(١)] وأحمد[(٢)] بإسناديهما عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً هاجر إلى رسول الله (ﷺ) من اليمن فقال: هل لك أحد باليمن؟ فقال: أبواي ، فقال: أذنا لك؟ قال: لا: قال ارجع إليهما فأستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما» .

وبالإضافة إلى ما ورد في استئذان الأبوين في الجهاد وردت أحاديث خصت الأم بالاستئذان منهما : ما رواه النسائي[(٣)] وأحمد[(٤)] وابن ماجة [(٥)] والحاكم[(٦)] والبيهقي[(٧)] بأسانيدهم: «أن جاهمة بن العباس [(٨)]جاء إلى النبي (ﷺ) فقال يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت استشيرك فقال: هل لك من أم ؟ قال: نعم . قال فالزمها فإن الجنة تحت رجليها» .

وروى الطبراني[(٩)] بسنده عن أنس بن مالك قال: «أتى رجل رسول الله (ﷺ) قال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي ، قال: الله في

---

(١) في السنن كتاب الجهاد باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان : ٧/ ٢٠٤ ، (واللفظ له) (من عون المعبود) .

(٢) في المسند : كتاب الجهاد باب من أراد الجهاد وله أبوان : ١٤/ ٤٠ (بنحوه) (من الفتح الرباني) وقال الساعاتي: أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان وقال الهيثمي : رواه أحمد وإسناده حسن . انظر مجمع الزوائد : كتاب البر والصلة: باب ما جاء في البر وحق الوالدين : ٨/ ١٣٧ -١٣٨ .

(٣) في السنن كتاب الجهاد: باب الرخصة في التخلف لمن له والده : ٦/ ١١ . (واللفظ له) .

(٤) في المسند كتاب الجهاد: باب من أراد الجهاد وله أبوان : ١٤/ ٤٠ (بزيادة يسيرة) (من الفتح الرباني) .

(٥) في السنن كتاب الجهاد باب الرجل يغزو وله أبوان : ٢/ ٩٣٠ (مطولاً) .

(٦) في المستدرك : كتاب الجهاد باب إستئذان الأبوين عند الجهاد : ٢/ ١٠٤ (بنفس اللفظ) وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٧) في السنن كتاب السير باب الرجل يكون له أبوان مسلمان أو أحدهما فلا يغزو إلا بإذن أهله : ٩/ ٢٦ . (بزيادة يسيرة) .

(٨) جاهمة بن العباس بن مرادس السلمي أسلم وله صحبة انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١/ ٣١٥- الإصابة لابن حجر : ١/ ٣١٨ .

(٩) في مجمع الزوائد كتاب البر والصلة باب: ماجاء في البر والصلة وحق الوالدين : ٨/ ١٣٨ . وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير ميمون بن نجيح ووثقه ابن حبان .

برها فإذا فعلت ذلك كان لك أجر حاج ومعتمر ومجاهد فإذا رضيت عنك أمك فاتقه وبرها» .

وروى الطبراني[(١)] بسنده عن طلحة بن معاوية السلمي[(٢)] قال: اتيت النبي (ﷺ) فقلت يا رسول الله إنى أريد الجهاد فى سبيل الله قال: أمك حية ؟ قلت: نعم . قال النبى(ﷺ): ألزم رجلها فثم الجنة» .

دلت الأحاديث السابقة على وجوب استئذان الوالدين في الخروج للجهاد فإن لم يأذنا للإبن فليكن جهاده فيهما .

ومعنى الجهاد في الوالدين وقف النفس على طاعتهما وبذل المال وتعب البدن في رضاهما وفي ذلك دليل على عظم فضيلة برهما وأنه آكد من الجهاد .

قال ابن حجر[(٣)] فى قوله عليه السلام «ففيهما فجاهد»: «أي إن كان لك أبوان فابلغ جهدك فى برهما والإحسان إليهما فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو» .

والبر بالأم آكد من البر بالأب لذا نصت الأحاديث على وجوب استئذانها وإن لم تأذن فرعايتها وبرها وإكرامها يحقق للابن أجر الجهاد فى سبيل الله ويكون سبباً فى دخوله الجنة فمعنى قوله (ﷺ): «فإن الجنة تحت رجليها أى نصيبك منها لا يصل إليك إلا برضاها بحيث كأنه لها وهى قاعدة عليه فلا يصل إليه إلا من جهتها فإن الشيء إذا صار تحت رجل أحد فقد تمكن منه واستولى عليه بحيث لايصل إليه آخر إلا من جهته والله أعلم»[(٤)] .

---

(١) انظر في مجمع الزوائد : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في البر وحق الوالدين : ٨/١٣٨ وقال الهيثمى : رواه الطبراني عن ابن اسحاق وهو مدلس عن محمد بن طلحة ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) طلحة بن معاوية بن جاهمة السلمى لم يرد فى ترجمته سوى الحديث المذكور . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ٢/ ٤٧٣ .

(٣) فتح الباري: ١٠/ ٤٠٣ ، وانظر عمدة القارىء للعيني : ١٤/ ٢٥١ .

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي : ٦/ ١١ وانظر الفتح الرباني للساعاتي : ١٤/ ٤١ .

وإستئذان الوالدين فى الجهاد إنما هو فى جهاد التطوع ، أما إذا تعين الجهاد فلا إذن لهما ، كما أن الإستئذان المعتبر يكون للوالدين المسلمين دون الكافرين [١] .

قال ابن حجر[٢]: «قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين لأن برهما فرض عين والجهاد فرض كفاية فإذا تعين الجهاد فلا إذن» .

وقال البدر العيني[٣]: «قال أكثر أهل العلم منهم الأوزاعي والثوري ومالك والشافعي وأحمد أنه لا يخرج إلى الغزو إلا بإذن والديه مالم تقع ضرورة وقوة العدو فإذا كان كذلك تعين الفرض على الجميع وزال الإختيار ووجب الجهاد على الكل فلا حاجة إلى الإذن من والد وسيد وقال ابن حزم: إن كان أبواه يضيعان بخروجه ففرضه ساقط عنه إجماعاً وإلا فالجمهور يوافقه على الأستئذان وعند المنذرى هذا فى التطوع أما إذا وجب عليه فلا حاجة إلى إذنهما وإن منعاه عصاهما ، هذا إذا كانا مسلمين فإن كانا كافرين فلا سبيل لهما إلى منعه ولو نفلاً وطاعتهما حينئذ معصية» .

وقال البغوي[٤]: «هذا في جهاد التطوع . لا يخرج إلا بإذن الأبوين إذا كانا مسلمين فإن كان الجهاد فرضاً متعيناً فلا حاجة إلى إذنهما وإن منعاه عصاهما وخرج وإن كان الأبوان كافرين فيخرج دون إذنهما فرضاً كان الجهاد فرضاً أو تطوعاً» .

وقال الخطابي[٥]: «إن كان الخارج فيه متطوعاً فإن ذلك لا يجوز إلا بإذن الوالدين فأما إذا تعين عليه فرض الجهاد فلا حاجة إلى إذنهما هذا إذا كان مسلمين فإن كانا كافرين يخرج بدون إذنهما فرضاً كان الجهاد أو تطوعاً» .

---

(١) انظر حاشية ابن عابدين : ٤/ ١٢٤ -١٢٥ مواهب الجليل للحطاب : ٣/ ٣٥٠ . مغني المحتاج بشرح المنهاج للنووي : ٤/ ٢١٧ المغني لابن قدامة : ٨/ ٣٥٩-٣٦٠ .

(٢) فتح الباري : ٦/ ١٤٠-١٤١ .

(٣) عمدة القارىء : ١٤/ ٢٥٠ .

(٤) شرح السنة : ١٠/ ٣٧٨ .

(٥) عون المعبود : ٧/ ٢٠٣ .

وإذا كان الإسلام قد أجل المرأة وأعطاها الحق فى منع ابنها من الجهاد إكراماً لها وبراً بها فإن الأم المسلمة التى تعرف فضل الجهاد فى سبيل الله وما أعده الله للمجاهدين والشهداء ينبغي ألا تمنع ابنها من الخروج للجهاد إذا كان بضوابطه الشرعية المعتبرة وإذا كان لاتضيع بخروجه ولا تتضرر من غيابه وقد مر بنا نماذج للنساء المؤمنات ودورهن فى تشجيع أبنائهن على الجهاد فى سبيل الله فضلاً عن الإذن فيه .

فليكن لكل أم فيهن أسوة حسنة لاسيما ونحن نرى بعض الأمهات يأذن لأبنائهن بالسفر إلى البلاد البعيدة للترفيه والتنزه ولا يمانعن فى ذلك وإن طال غيابهم أما إذا كان السفر للجهاد فى سبيل الله والتضحية له بالنفس والمال انتاب الأم الخوف والهلع وناشدت الابن الله ألا يخرج وماذاك إلا لجهلها بمكانة الجهاد وثواب المجاهدين وحياة الشهداء ، وإذا سرى هذا الضعف في الإيمان والجهل بذروة سنام الإسلام بين الأمهات أدى إلى توهين العزائم في نفوس الأبناء وصرفهم عن درب الجهاد وفى هذا ما فيه من تضييع فرض الجهاد وما يتبعه من ذل المسلمين وهوانهم على أعدائهم .

ملخص المبحث:

١- تكافأ المرأة المسلمة إذا شهدت المعركة بما يراه الإمام مناسباً على أن لايبلغ عطاؤها قدر سهم الرجل

٢- اعتنى الإسلام بنساء المجاهدين فحذر من الإساءة إليهم ورغب فى إكرامهن وقضاء حوائجهن ورتب على ذلك جزيل الثواب بأن جعل لمن يقوم عليهن فيحسن القيام أجر الغازى فى سبيل الله

٣- احترم الإسلام كلمة المرأة فأقر أمانها ، وأجاز جوازها لمن أجارت

٤- رفع الإسلام مكانة الأم فحرم على الولد الخروج إلى الجهاد بدون إذنها وجعل البر بها وإكرامها جهاداً فى سبيل الله . والله أعلم

الخاتمـــة

أختم هذه الدراسة لدور المرأة فى الهجرة والجهاد بذكر مجمل ما ورد فيها مع ذكر أهم الدروس المستفادة وبيان واجب المرأة المسلمة اليوم

الفصل الأول: هجرة المرأة فى السنة .

١- قامت المرأة المسلمة بدور عظيم في تأييد الدعوة منذ ظهورها وبذلت كل جهدها لمؤازرة صاحبها ومناصرة أتباعه ولم تتأخر عن الرجل فى الإيمان والتأييد والنصرة وتعتبر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها رائدة النساء المسلمات في تأييد الدعوة وبذل النفس والنفيس في سبيل الله تعالى وفي سيرتها من الإيمان والعطاء والكفاح ما تفخر به كل مسلمة وما يعد مدرسة تعلم المرأة المسلمة أن التمسك بالدين ليس شعاراً يرفع بعيداً عن العمل والتضحية والفداء فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل وقيمة المرء بما يبذل لخدمة دينه .

٢- ليس الثبات على الإيمان حين الإبتلاء مقصوراً على الرجال وحدهم . بل أثبتت المرأة المسلمة منذ خالط الإيمان شغاف قلبها قدرتها على الصمود في وجه الباطل وقوتها في تحمل الشدائد مستهينة بألوان الأذى ومستعلية بإيمانها على قوى الكفر والشرك . فأعطت بذلك درساً لكل مسلمة تبتلى بالأذى في دينها بأن تصبر وتثبت ولا تعبأ بالتهديد، ولا تضعف بالتعذيب، ولا تهن، ولا تحزن فإن العاقبة للمتقين ، وإن الله ناصر من نصره واستمسك بدينه ، وخاذل من خذل دينه وآذى أولياءه ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ . وبذلك تعلم المرأة المسلمة التى تتعرض للسخرية والانتقاص بسبب استقامتها أن الجهل يبلغ بأهله أن يعيروا الصالح بصلاحه ويتهكموا بمواقفه الإيمانية التي يعدها العقلاء مفخرة له ووسام شرف يعتز به وأن هذا اللون من الإيذاء يقع في كل زمان ومكان إلا أنه لا يضعف أهل الإيمان ولا يوهن من عزائمهم بل يشحذ هممهم لمزيد من العمل الصالح حامدين الله تعالى الذى اصطفاهم بالهداية والصلاح متعزين بمن سلك

هذا الطريق من قبلهم ممن أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

٣- لم تكن المرأة المسلمة أقل حرصاً من الرجل على هجرة الوطن الذى يفتن فيه المؤمن عن دينه ويمنع من عبادة ربه بل كان لها من التضحية بالأهل والوطن والرغبة الصادقة فى الفرار بالدين ما يدل على صدق استجابتها لله ولرسوله وإيثارها عند الله تعالى على رغائب النفس وملذات الدنيا ولم تكن هجرتها عملاً مصحوباً بالضجر أو التأفف أو الإكراه بل كانت عن إيمان وطواعية ورغبة جادة فى البعد عن بلد الكفر كما كانت تفخر وتعتز بما تلقاه فى سبيل الله من مشقة وعناء ولم تقتصر مشاركة المرأة في الهجرة على قيامها بالهجرة فقط وإنما بذلت جهوداً كبيرة فى مساعدة من يريد الهجرة حتى تتم له هجرته في استقبال وإيواء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم .

٤- شهود المرأة المسلمة المواقف العظيمة التى فيها تعاقد وتحالف على نصرة الإسلام ومؤازرة المسلمين وإعطاء العهود والمواثيق على الالتزام بالسمع والطاعة لولي الأمر وبذل الجهود فى الدعوة إلى الله وفي المشاركة في بناء المجتمع المسلم . وفي هذا بيان للمكانة العظيمة التي أعطاها الإسلام للمرأة وإبراز لدورها الهام وأثرها العام في المجتمع ، ورد على الذين يحتقرون جهودها ويقللون من قدرها ويهملون مشاركتها في الأمور العامة التى تعود بالنفع على المسلمين . مع مراعاة أن مشاركة المرأة البناءة في المجتمع إنما تكون بالضوابط الشرعية فلا تشارك إلا بما أباحته لها الشريعة وبما يناسب فطرتها ويتفق مع أنوثتها ويحفظ كرامتها . فلا يجوز أن تحمل النصوص مالا تحتمل بأن يستدل بمشاركة المرأة فى البيعة على باطل كتلك الدعوات الهدامة التي انطلقت تدعو إلى تحرير المرأة وإلى مشاركتها في الحياة السياسية ومساواتها مع الرجل في الولايات العامة بحجة أنها شاركت في البيعة ، وللأسف فقد أقيمت من أجل ترويج هذه الدعوات المكاتب والجمعيات والمجالس

والمنظمات وعقدت من أجل تحقيقها المؤتمرات واللقاءات فى بلاد المسلمين وتم فيها التلبيس على المرأة المسلمة بأن في ذلك تثبيت لحقوقها وإزالة للظلم عنها ، بل وتم في تلك اللقاءات تكريم النساء المشاركات في ذلك وعرض تجاربهن في الحصول على تلك الحقوق لتشجيع بقية النساء على المشاركة والتأثير على السياسات لتدعم المطالبة بتلك الحقوق المزعومة ولاشك أنها دعوات هدامة تهدف إلى تغريب المرأة المسلمة ، وإفساد أخلاقها وإشاعة الفتن والفحشاء في المجتمع سواء أكان مصدر تلك الدعوات العدو الكافر أم المستغربين من أبناء الأمة وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة »(١) .

٥- ترجح بالدليل دخول النساء في شرط صلح الحديبية الذي ينص على رد من أسلم من الكفار إليهم ثم نقض الله الشرط في النساء وأنزل آية الممتحنة تمنع رد المهاجرات إلى أوليائهن الكفار .

٦- اقترن قبول المهاجرات بعد صلح الحديبية بالتحليف على سبب الهجرة وبالمبايعة على ألا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين فى معروف . وفي هذا التحليف والمبايعة تأكيد على أهمية دور المرأة في بناء المجتمع المسلم وأن صلاحها صلاح له ؛ لأنها الموجه الأول للأبناء والراعي الملازم لهم وحين ينشأ الأبناء في أكناف الصالحات القانتات الحافظات لحدود الله يقوى الجيل المسلم ويتحصن ضد كل تيارات الفساد ويكون أهلاً لرفع رآية الإيمان وتحقيق النصر للإسلام والمسلمين .

٧- إذا انقطعت الهجرة المكانية من بلد إلى بلد - بأن تكون المرأة في بلد - مسلم فإن هجرة ما نهى الله عنه باقية لا تنقطع . وحقيقة الهجرة تحصل لكل من هجر ما نهى الله عنه وترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان والمرأة مطالبة

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الفتن: باب (بدون ترجمة): ١٣/ ٥٣ (من فتح الباري) .

بهجرة ما نهى الله عنه فرسول الله ﷺ يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[١] ، وقد خوطب المهاجرون بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه[٢] . وإذا كانت الغاية التى هاجرت من أجلها المسلمات الأوائل هى تحقيق مرضاة الله والقيام بعبادته فإن هذه الغاية لا تزال مطلوبة من المرأة اليوم وإن لم ترتبط بترك المكان وتستلزم مغادرة الوطن ، فالعبودية التى خلقت من أجلها المرأة لا تتحقق إلا بهجرة كل قول أو فعل يبعد المرأة عن هدي ربها ويصدها عن القيام بعبوديتها لله وحده لا شريك له ، وهجرة كل فكر دخيل يهدف إلى تغريب المرأة المسلمة وإبعادها عن دينها هجرة حتمية وباقية بقاء المرأة .

٨- إن ثبات المرأة المسلمة على دينها واستقامتها على شرع ربها خاصة وقت شيوع الفتن واشتداد الغفلة وغلبة الشهوات يعدل هجرة إلى النبى ﷺ فرسول الله يقول: «العبادة في الهرج[٣] كهجرة إلي»[٤] ، فالعبادة الخالصة لله وفق ما شرعه رسول الله ﷺ تساوي في الأجر هجرة إلى النبي ﷺ لأن الإعتصام بالعبادة ولزومها والزيادة فيها يقرب العبد من ربه فيقذف الله النور فى قلبه وسمعه وبصره فيرى الأمور بعين بصيرته ويقضى بالحكمة حين يواجه المحن والشدائد ويقوم بواجبه في نصرة الدين صابراً محتسباً متاسياً بالنبي ﷺ . والمرأة حين تحقق العبادة بمفهومها الشامل وهي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فكأنما هاجرت إلى النبي ﷺ لتشبهها بحال من هاجرن فى الإستقامة والثبات وحفظ حدود الله وتعظيم أوامره واجتناب نواهيه ونصرة دينه .

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده: ١/ ٥٣ (من الفتح) .

(٢) انظر فتح الباري: ١/ ٥٤ .

(٣) المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس . انظر شرح مسلم للنووي: ١٨/ ٨٨ ، النهاية لابن الأثير: ٥/ ٢٥٧ .

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب فضل العبادة في الهرج: ١٨/ ٨٨ .

وللمرأة المسلمة في تمسكها بدينها وحرصها على مرضاة ربها وهجر ما يبغضه أسوة حسنة فى خديجة بنت خويلد التى آثرت ما عند الله تعالى وبذلت نفسها ومالها لدعوة الله حتى بشرها رسول الله (ﷺ) ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وفي فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) التي استقامت على شرع الله وبذلت جهدها في الدفاع عن الدعوة حتى أصبحت سيدة نساء العالمين، وفي سمية التي ثبتت على دينها وتحملت العذاب حتى كان أول شهيدة في الإسلام، وفي رقية بنت رسول الله (ﷺ) التي هاجرت من بيت أبويها حتى شهد لها رسول الله (ﷺ) ولزوجها بالأولوية في الهجرة إلى الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام، وفي أم سلمة التي عاشت أيام المحنة القاسية حين فرق بينها وبين أبنها وزوجها فصبرت حتى تمت لها الهجرة، فحازت على الشرف العظيم إذ أصبحت أحدى أمهات المؤمنين، وفي غيرهن من النساء الخالدات اللاتى استقمن على شرع الله في حياتهن فكن النماذج المحتذاة لكل من ترغب فيما عند الله وتطمع في إعادة الماضي المشرف للمرأة المسلمة «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون».

الفصل الثاني: جهاد المرأة في السنة :

٩- دل الكتاب والسنة على إعفاء المرأة من وجوب القتال في غير الضرورة .

١٠- لا يجوز تجنيد المرأة وإجبارها على حمل السلاح والمشاركة في القتال، لأنها ليست أهلاً لذلك ولا قدرة لها على القيام به، لأن ما يستلزمه الجهاد من قوة في الجسم وكمال في العقل يتنافى مع ما جبلت عليه المرأة من ضعف في البنية ورقة في العاطفة وخور وجبن، ولأن تجنيدها يتنافى مع ما فرض عليها من الستر ومجانبة الرجال ويصرفها عما كلفت به من القرار في البيت والقيام بوظيفتها الأساسية في الحياة .

١١- دلت السنة النبوية على جواز خروج المرأة للجهاد تطوعاً للقيام بخدمة المجاهدين في الأمور التي تتفق مع طبيعتها كالسقي والمداواة ونحوهما، حيث خرجت النساء

المسلمات مع رسول الله (ﷺ) في غزواته وأقرهن على ذلك، وخرجن بعد وفاته في عهد الخلفاء الراشدين ولم يمنعن من ذلك كما ثبت مباشرة المرأة للقتال عند الضرورة. أما خروج المرأة اليوم إلى الجهاد لخدمة المجاهدين في تمريض ونحوه فهو أمر قد يكون فيه من المنع والخطورة مالم يكن في الزمن الماضى وذلك لأن طبيعة الحروب اليوم تختلف إختلافاً بيناً عما كانت عليه في الماضي حيث تتميز اليوم بضخامة الجيوش وقوتها وتنوع أسلحتها وخطورتها وسرعة تدميرها، كما أن الجيوش اليوم تصحب معها فريقاً طبياً متكاملاً مزوداً بكل اللوازم الطبية الكاملة ويشرف عليها فريق متخصص في هذا المجال، إضافة إلى وجود طائرات خاصة بنقل المصابين إلى المستشفيات بسرعة هائلة ويرافق هذا الإستعداد الطبي الإستعداد الغذائى المتكامل، فإسناد هذه المهام إلى المرأة ونحوها أو مشاركتها فيها أمر لا يحقق الفائدة المرجوة من خروجها بل سيتملك المرأة العجز والخوف ويستولى عليها الجبن والذعر في موقف تتزلزل فيه الأقدام وتبلغ القلوب الحناجر. كما أنها ستكون عبئاً على المجاهدين حيث لابد من توفير الحماية الكاملة لها هذا فى حالة مشاركة المرأة في ساحة القتال أما إذا خرجت المرأة المسلمة إلى الجهاد ومعها محرمها بشروط الجهاد وضوابطه المعتبرة وكانت في مكان أمن بعيداً عن ساحة المعركة وعن الإختلاط بالرجال واستطاعت أن تقوم بخدمة المجاهدين بأي جهد تبذله كصنع الطعام أو خياطة الثياب أو رعاية أسر المجاهدين وغير ذلك من الخدمات التي ينتفع بها المجاهدون في أنفسهم وأهليهم فهذا أمر مشروع دلت السنة على جوازه وهى مأجورة عليه إن شاء الله .

١٢- نص الفقهاء على أن الأولى عند خروج النساء للجهاد ألا يخرج إلا الكبيرات في السن اللاتي ينتفع بهن ولا يخشى عليهن ما يخشى على الشواب كما أن الجيش الذي تخرج معه المرأة ينبغي أن يكون جيشاً عظيماً قادراً على حمايتها والدفاع عنها .

١٣- لايجوز للمرأة أن تخرج للجهاد تطوعاً إلا بإذن زوجها وغير المتزوجة بإذن والديها ؛ لأن كلاً من حقوق الزوج وبر الوالدين واجب ولا يقدم التطوع على الواجب ، كما لا يجوز خروج المرأة للجهاد بدون محرم وبدون التزام تام بالحجاب الشرعي .

١٤- إذا هجم العدو على بلد ولم يكن في الرجال ما يكفي لصده واستنفر الإمام النساء وجب على المرأة المشاركة في الدفاع بما تستطيع .

١٥- كان للمرأة المسلمة في الصدر الأول مواقف إيمانية عظيمة في حث أفراد أسرتها على الجهاد وترغيبهم في الشهادة وتحسينها لهم ثم كانت عند سماعها خبر استشهادهم قوية الإيمان ثابتة الجنان محتسبة الأجر عند الله مستبشرة بما أعده الله للمجاهدين والشهداء

١٦- بالغ الإسلام في الاهتمام بالمرأة وقت الجهاد وكرمها فأعطى المرأة المجاهدة نصيباً من الغنيمة وأمر برعاية نساء المجاهدين وتوعد من يخون المجاهدين فيهن وقبل أمان المرأة وأجار من أجارت سواء أشهدت القتال أم لا ، ورفع قدر الأم فأعطاها الحق في أن تأذن لابنها في الجهاد أو تمنعه منه .

١٧- لم يحرم الإسلام المرأة من أجر الجهاد فى سبيل الله ولكنه جعل جهادها الواجب عليها هو الحج والعمرة واعتبر أداءها لهاتين الفريضتين جهاداً في سبيل الله ؛ لما فيهما من جهاد للنفس ومشقة على البدن وهي وإن كانت في ذلك مع الرجل سواء إلا أن من رحمة الإسلام بالمرأة وتكريمه لها سمى حجها جهاداً وفى هذا تطييب لخاطرهاوبشارة لها بأن في الحج والعمر ة من الجر والثواب ما يعوضها عن أجر الجهاد في سبيل الله . وفي أداء الحج والعمرة تكفير للذنوب ورفع للدرجات وبركة فى الرزق فرسول الله (ﷺ) يقول: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[1] ، وفي تكرار المرأة للحج والعمرة فرص

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العمرة: باب وجوب العمرة وفضلها: ٣/ ٥٩٧ (من فتح الباري) .

عظيمة لتكفير السيئات والحصول على الثواب ونيل مرضاة الله تعالى .

١٨- إن جهاد المرأة الذى لا ينقطع هو قيامها بمسؤليتها فى بيتها وإعفاء الإسلام للمرأة من الخروج للجهاد ليس فيه احتقار لجهودها أو طعن في أهليتها بل هو تكريم لها ومراعاة لتكوينها حيث هُيأت للقيام بمهام سامية وجليلة لا تقل قدراً وجهداً عما كلف به الرجل من مهام فإدارة البيت ورعاية الزوج وتربية الأبناء ليست مهمة هينة حقيرة بل هي رسالة عظمى لها أثرها في صلاح الأمة وبناء مجدها . فحين تربي المرأة الأجيال تربية إيمانية وتعد الأبناء لعظائم الأمور وتمد المجتمع بالعلماء العاملين والمجاهدين الصادقين فإنها تسهم فى بناء مجتمع مسلم يعرف رسالته في الحياة وحين تهمل أو تقصر في أداء واجبها يظهر أثر ذلك في المجتمع انحرافاً في سلوك أبنائه وضعفاً في هممهم ووهناً فى عزائمهم ولن تبني أمة مجداً أو تحقق نصراً بنساء جاهلات ورجال تربوا في أحضانهن . وقد بين رسول الله (ﷺ) أن قيام المرأة بمسؤليتها في بيتها يعدل الجهاد في سبيل الله فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أتت النساء رسول الله (ﷺ) فقلن يارسول الله ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله فمالنا عمل ندرك به عمل الجهاد فى سبيل الله؟ فقال مهنة إحداكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله»(١) .

١٩- إن بر المرأة بوالديها وقيامها بحقوقهما كاملة يعد باباً عظيماً من أبواب الجهاد وقد قدمه النبي (ﷺ) على الجهاد في سبيل الله وقد تقدمت الأحاديث الدالة على ذلك ، وعلى أن بر الأم خاصة وحسن صحبتها ولزوم خدمتها يعدل أجر الجهاد في سبيل الله فلتتقي الله المرأة المسلمة هذا الباب ولتسأل الله التوفيق إليه والثبات عليه .

٢٠- إن المتأمل في جهاد النبي (ﷺ) لنصرة دين الله يجد أنه لم يبدأ من ساحة المعركة

---

(١) مجمع الزوائد . كتاب النكاح: باب ثواب المرأة على طاعتها لزوجها: ٤/ ٣٠٤ ، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى والبزار وفيه روح بن المسيب وثقه ابن معين والبزار وضعفه ابن حبان .

وإنما بدأ ببذل الجهود في التربية والإصلاح فعلم أصحابه، ورباهم، وآخى بينهم حتى قامت دولة الإسلام قوية فتية يهابها الأعداء ثم قاتل بها بعد ذلك، وأقام شرع الله في الناس. فالجهاد في الإسلام ليس عملاً عشوائياً يقوم به أفراد أو جماعات بناء على اجتهادات بشرية أو معتقدات خاطئة أو شبه واهية بل هو عبادة لها شروطها وضوابطها وأوقاتها، وليس كل من تاقت نفسه للجهاد قام بتنفيذه وفق تصوراته الخاصة بدون تحقق شروطه وضوابطه فلا جهاد في الإسلام إلا بإذن الإمام وتحت راية مسلمة قوية مهابة وبسمع وطاعة لولي الأمر ولزوم لجماعة المسلمين وغير ذلك من الشروط والضوابط التي تكفل سلامة المجتمع المسلم من الفوضى وسفك الدماء وظهور الفتن وتسلط الأعداء. لذلك فإن من تشتاق من المسلمات إلى الجهاد وتتوق نفسها إليه وقد حيل بينها وبينه لأسباب كثيرة فإن أمامها ميادين جهاد متعددة هي أولى وأحق ببذل الجهد فيها، فإن الأمة اليوم أكثر ما تكون تشتتاً وفرقه ولا زالت تحبو في طريق إعادة مجدها وهي بحاجة إلى كل جهد يقوي شوكتها ويشد عضدها وقد أخبرنا الله تعالى أن النصر على الأعداء والتمكين فى الأرض لا يتحقق إلا بالإيمان والعمل الصالح وما نصر الله نبيه محمداً (ﷺ) وأصحابه إلا حين أخذوا دين الله بقوة فعظموا شرائعه وامتثلوا أوامره جملة وتفصيلاً قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . ولن ترجع لهذه الأمة القيادة والسيادة والقوة والهيبة إلا إذا حقق أفرادها الإيمان بالله واستقاموا على والعمل الصالح. وإن أمام المرأة المسلمة من ميادين العمل الصالح الذى يتفق مع طبيعتها ويحقق الخير والفائدة لمجتمعها والنصر والتمكين لأمتها الشيء الكثير. فليست المواقف الإيمانية مقصورة على ساحة القتال، فالمرأة حين تفقه دينها وتطبقه بجوانبة المختلفة فتعرف واجبها تجاه ربها ونبيها ووالديها وزوجها وأولادها وتعطي كل ذى حق حقه فهى مجاهدة في

سبيل الله ، وحين تسهم في الدعوة إلى الله في مجتمعها فتعلم بنات جنسها دين الله وتغرس العقيدة الصافية على منهج السلف الصالح فى النفوس فهى مجاهدة في سبيل الله وحين تشارك فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتربية الأجيال على الإيمان ومكارم الأخلاق فهى مجاهدة في سبيل الله ، وحين توظف مالها ولسانها وقلمها في نشر الحق والذب عنه فهى مجاهدة في سبيل الله ، وحين ترعى أسر المجاهدين والشهداء فتحسن إليهم وتكفل أبناءهم وتسهم في توعيتهم بفضل الجهادِ وثواب الشهداء فهى مجاهدة في سبيل الله وحين تجهز الغزاة وتدعم الغزاة المجاهدين فهي مجاهدة في سبيل الله . فكل ما ذكر وغيره من ميادين الجهاد ومن التجارة التي لن تبور قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ . إنها التجارة الرابحة مع رب العالمين رأس مالها بذل النفس والمال وربحها فى الدنيا نصر وتمكين ورفع للدين وفي الأخرة جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . وما على المرأة فى كل ذلك إلا أن تخلص النية وتواصل السير وتجد في العطاء ، فهي على ثغرة من ثغور الإسلام أينما كانت فلتتق الله أن يؤتى الإسلام من قبلها . والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولا يكلف نفساً إلا وسعها .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمداً وعلى أهله وصحبه وسلم واستغفر الله العظيم الذى لا أله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

[١] التفسير :

١- أحكام القرآن . أبو بكر أحمد الرازى الجصاص . بيروت : دار الفكر .

٢- أحكام القرآن . أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي طبعة جديدة محققه . بيروت: دار المعرفة .

٣- أحكام القرآن . أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي . جمع: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقى النيسابورى . عرف الكتاب وكتب مقدمته: محمد زاهد الكوثرى . كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق . بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٠ هـ .

٤- البحر المحيط . أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ، وبهامشه النهر الماد من البحر المحيط لأبى حيان ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتاج الدين أبى محمد النحوي . الرياض: مكتبة النصر الحديثة .

٥- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . أبو السعود محمد بن محمد العمادى . بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٦- تفسير القرآن العظيم . عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي بيروت : دار المعرفة ١٣٨٨هـ .

٧- التفسير الكبير . فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر القرشى الطبرستاني: الطبعة الثالثة . بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٨- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار . محمد رشيد رضا . الطبعة الثانية بيروت: دار المعرفة .

٩- جامع البيان في تفسير القرآن . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وبهامشه تفسير

غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري . الطبعة الثانية . بيروت: دار المعرفة .

١٠- الجامع لأحكام القرآن . أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي . القاهرة: دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ .

١١- روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبو الفضل شهاب الدين محمد الألوسي البغدادي ، طبعة جديدة مصححة . بيروت: دار الفكر ١٤٠٣ .

١٢- زاد المسير في علم التفسير أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشى البغدادي . الطبعة الأولى . بيروت: المكتب الإسلامى .

١٣- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية أبو سليمان بن عمر الشافعى الشهير بالجمل . دار الفكر .

١٤- في ظلال القرآن . سيد قطب . الطبعة التاسعة . دار الشروق .

١٥- لباب التأويل في معانى التنزيل . علاء الدين الشهير بالخازن وبهامشه معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوي . دار الفكر ١٣٩٩ .

[٢] علوم القرآن :

١٦- الإتقان في علوم القرآن . جلال الدين السيوطي . وبهامشه اعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني . بيروت: دار الفكر ١٣٩٩ .

١٧- أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ . تصنيف أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدى النيسابوري ، تأليف أبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر . بيروت: عالم الكتب .

١٨- الصحيح المسند من أسباب النزول مقبل بن هادي الوادعي . الرياض . مكتبة المعارف ١٤٠٠ .

١٩- لباب النقول في أسباب النزول . جلال الدين السيوطى . الطبعة الثالثة . بيروت: دار إحياء علوم الدين ١٤٠٠ .

[٣] السنة :

٢٠- زاد المعاد فى هدى خير العباد . ابن قيم الجوزية . حقق نصوصه وخرج أحاديث وعلق عليه: شعيب الأرنوؤط . عبد القادر الأرنؤوط . الطبعة الثالثة . بيروت: مؤسسة الرسالة .

٢١- سنن أبي داود . أبوداود السجستانى . (بشرح عون المعبود) الطبعة الثالثة . بيروت: دار الفكر .

٢٢- سنن ابن ماجة . الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني ابن ماجة حقق نصوصة ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقى . دار الفكر .

٢٣- سنن الترمذي . وهو الجامع الصحيح للأمام أبى عيسى الترمذي (بشرح تحفة الأحوذي) الطبعة الثالثة . دار الفكر .

٢٤- سنن الدرامي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدرامي بيروت : دار الكتب العلمية .

٢٥- السنن الكبرى . أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقي وفي ذيله الجوهر النقي لعلاء الدين بن علي بن عثمان المارديني . دار الفكر .

٢٦- سنن النسائي . أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (بشرح السيوطى) . بيروت: دار الفكر .

٢٧- صحيح البخاري . أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (بشرح فتح البارى) دار المعرفة .

٢٨- صحيح مسلم . أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (بشرح النووي) بيروت : دار إحياء التراث العربي .

٢٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . نور الدين على بن أبي بكر الهيثمى بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر . الطبعة الثالثة بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٢ .

٣٠- المستدرك على الصحيحين في الحديث أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري . بيروت: دار الفكر ١٣٩٨ .

٣١- مسند أحمد بن حنبل . أحمد بن حنبل الشيباني (مع الفتح الرباني) الطبعة الثانية . بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٣٢- المصنف أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني ومعه كتاب الجامع للإمام معمر ابن راشد الأزدي رواية الإمام عبد الرازق الصنعاني . تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي . الطبعة الثانية . بيروت: المكتب الإسلامي .

٣٣- مؤطا للإمام مالك بن أنس (بشرح الزرقاني) بيروت دار المعرفة: ١٤٠١ .

[٤] شروح السنة :

٣٤- إرشاد الساري، شرح صحيح البخاري . شهاب الدين أحمد بن محمد الشهير بالقسطلاني . الطبعة السادسة دار الفكر . المطبعة الكبري الأميرية ببولاق .

٣٥- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي . أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن المباركفوري أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف . الطبعة الثالثة . دار الفكر ١٣٩٩ .

٣٦- تلخيص المستدرك . شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي على هامش المستدرك . بيروت : دار الفكر ١٣٩٨ .

٣٧- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام محمد بن إسماعيل الكحلانى الصنعاني على متن بلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني . بيروت: دار الفكر

٣٨- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك بن أنس بيروت: دار المعرفة ١٤٠١

٣٩- شرح السنة . أبو أحمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى حققه وأخرج احاديثه : شعيب الأرنؤوط . الطبعة الأولى . المكتب الإسلامي .

٤٠- شرح السيوطي لسنن النسائي. جلال الدين السيوطي مع حاشية السندى بيروت: دار الفكر .

٤١- شرح النووي على صحيح مسلم. محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى . بيروت : دار إحياء التراث العربي .

٤٢- عمدة القارىء شرح صحيح البخاري. بدر الدين أبو محمد محمود العيني. دار الفكر .

٤٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية. ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. الطبعة الثالثة . بيروت: دار الفكر .

٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن على بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاده عبد الباقي قام بإخراجه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة .

٤٥- الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني. كلاهما لأحمد عبد الرحمن البناء الشهير بالساعاتى الطبعة الثانية. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٤٦- الكوكب الدراري شرح صحيح البخاري. شمس الدين محمد بن يوسف الكرمانى. طبع بالمطبعة البهية المصرية ١٣٥٦هـ .

٤٧- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق. محمد ناصر الدين الألبانى. دمشق: المكتب الإسلامي.

٤٨- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار محمد بن علي بن محمد الشوكاني. بيروت : دار القلم .

[٥] السيرة النبوية :

٤٩- إمتاع الأسماع تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي . مراجعة وتقديم: محمد جميل غازى الطبعة الأولى . القاهرة: دار الأنصار ١٤٠١ هـ .

٥٠- البداية والنهاية . أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي الطبعة الأولى ، بيروت: مكتبة المعارف . ١٩٦٦م .

٥١- تاريخ الطبري . تاريخ الرسل والملوك . أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثانية مصر: دار المعارف .

٥٢- دلائل النبوة أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقى . تقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان . الطبعة الأولى . القاهرة . دار النصر للطباعة .

٥٣- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي . قدم له وعلق عليه وضبطه: طه عبد الرؤف سعد . طبعة جديدة . بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ .

٥٤- السيرة النبوية . محمد بن عبد الملك بن هشام حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السقا ، إبراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبي ، مؤسسة علوم القرآن .

٥٥- الطبقات الكبرى . محمد بن سعد بن منيع البصري . بيروت: دار صادر .

٥٦- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير أبو الفتح محمد بن محمد المعروف بابن سيد الناس .تحقيق: لجنة إحياء التراث العربى . الطبعة الثالثة ، بيروت: دار الأفاق الجديد . ١٤٠٢هـ .

٥٧- الكامل في التاريخ . أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء الطبعة الرابعة . بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٣هـ .

٥٨- المغازي محمد بن عمر الواقدي . تحقيق: مارسدن جونس . بيروت ، عالم الكتب .

[٦] الفقــه :

٥٩- الإقناع في فقه أحمد بن حنبل أبو النجا الحجاوى المقدسي . تصحيح: محمد السبكى . بيروت: دار المعرفة .

٦٠- الأم . أبو عبد الله بن إدريس الشافعى . الطبعة الأولى . بيروت . دار الفكر .

٦١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع . علاء الدين أبو بكر الكاساني . الطبعة الثانية . بيروت: دار الفكر .

٦٢- بلغة السالك لأقرب المسالك . أحمد الصاوي ، على الشرح الصغير لأحمد الدردير بهامشه شرح القطب الشهيد للدردير المذكور . بيروت: دار الفكر .

٦٣- حاشية رد المحتار . محمد أمين الشهير بابن عابدين على الدر المختار تنوير الأبصار في فقه دذهب الإمام أبى حنيفة . الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٦٤- شرح فتح القدير . كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفى . على الهداية شرح بداية المبتدى تأليف: برهان الدين علي بن أبى بكر المرغيناني وبهامشه شرح العناية على الهداية لأكمل الدين محمد بن محمود البابرتي . الطبعة الأولى . المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق بمصر سنة ١٣١٦هـ .

٦٥- شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى . منصور البهوتي . بيروت: عالم الكتب .

٦٦- الفقه الإسلامى وأدلته . وهبة الزحيلي . الطبعة الأولى . بيروت ، دار الفكر ١٤٠٤هـ .

٦٧- المجموع . محيي الدين أبو زكريا النووي ، شرح مهذب الشيرازي . بيروت: دار الفكر .

٦٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. طبع بالمكتب التعليمي السعودي بالمغرب .

٦٩- المغني. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي. تصحيح: محمد خليل هراس. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

٧٠- المغني الشرح الكبير. لموفق الدين ابن قدامة وشمس الدين ابن قدامة على مختصر الخرقي. طبعة جديدة. بيروت، دار الكتاب العربى، ١٤٠٣هـ .

٧١- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ معانى المنهاج، شرح محمد الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين، للإمام أبي زكريا بن شرف النووي، دار الفكر .

٧٢- المقدمات أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد . طبعة جديدة . بيروت دار صادر .

٧٣- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالحطاب. الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر ١٣٩٨هـ.

[٧] أصول الفقه :

٧٤- أصول الفقه الإسلامي. زكى الدين شعبان . الطبعة الثالثة، بيروت: دار القلم. ١٣٩٤هـ.

٧٥- أصول الفقه. عباس متولى حمادة، الطبعة الثانية. مصر مطبعة دار التاليف . ١٣٨٨هـ.

٨ – التراجم :

٧٦- الإستيعاب في أسماء الأصحاب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي. مطبوع على هامش الإصابة لابن حجر. الطبعة الأولى دار العلوم الحديثة. ١٣٢٨هـ .

٧٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد

الجزري . دار الفكر .

٧٨- الإصابة في تميز الصحابة. شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر . الطبعة الأولى دار العلوم الحديثة ١٣٢٨هـ.

٧٩- تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلانى . الطبعة الأولى . بيروت دار صادر .

٨٠- جمهرة أنساب العرب محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسى. راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣ هـ.

٨١- السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري. القاهرة : مطبعة الحلبى ١٤٠٢ .

٨٢- سير اعلام النبلاء. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.

[٨] معاجم القرآن الكريم :

٨٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين . نشره الدكتور : أ . ى . ونستك . مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦م.

٨٤- هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن. أشرف على تنسيقه وتدقيقه وإخراجه محمد الصالح البنداق . الطبعة الثانية بيروت : دار الآفاق الجديدة .

[٩] معالم اللغـــة :

٨٥- كتاب التعريفات. الشريف على بن محمد الجرجاني. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

٨٦- الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهرى تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الثانية. بيروت: دار العلم للملايين .

٨٧- لسان العرب . أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور . بيروت دار صادر .

٨٨- النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى محمود الطناحي. المكتبة الإسلامية.

[١٠] عاجم جغرافية:

٨٩- معجم البلدان. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي بيروت: دار صادر .

٩٠- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. عاتق بن غيث البلادي، الطبعة الأولى. دار مكة للنشر والتوزيع . ١٤٠٢هـ .

[١١] الكتب العامة:

٩١- بيعة النساء للنبي (ﷺ) . محمد قطب . مكتبة القرآن .

٩٢- التاريخ الإسلامي. محمود شاكر (الجزء الثانى: السيرة) الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي.

٩٣- دراسة في السيرة. عماد الدين خليل. الطبعة السادسة. بيروت مؤسسة الرسالة .

٩٤- الجهاد . الحافظ عبد الله بن المبارك. تحقيق: نزيه حماد . جدة: دار العلم .

٩٥- الجهاد سبيلنا . عبد الباقي رمضون. الطبعة الأولى. تبوك: مطابع الشمال .

٩٦- الجهاد في الإسلام. صالح اللحيدان. الرياض: دار اللواء للنشر . ١٣٩٧هـ.

٩٧- الجهاد في الإسلام محمد شديد الطبعة الخامسة، بيروت: مؤسسة الرسالة .

٩٨- الجهاد في سبيل الله عبد الله أحمد القادري. الطبعة الأولى. جدة: دار المنارة.

٩٩- الجهاد ميادينه وأساليبه. محمد نعيم ياسين. الطبعة الثالثة. الأردن: دار الفرقان.

١٠٠- الجهاد والفدائية في الإسلام. حسن أيوب. الطبعة الثانية بيروت. دار الندوة الجديدة .

١٠١- حقيقة الجهاد فيى الإسلام . محمد نعيم ياسين . الطبعة الأولى . دار الأرقم .

١٠٢- حياة الصحابة . محمد يوسف الكاندهلوي . حققه: نايف العباس محمد على دوله . الطبعة الرابعة . دمشق : دار القلم، ١٤٠٤هـ .

١٠٣- السياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعية . أحمد بن تيمية . الطبعة الثانية . القاهرة: المطبعة السلفية .

١٠٤- العبودية . شيخ الإسلام ابن تيمية . طبعة دار المدنى للطباعة .

١٠٥- الطب ورائداته المسلمات . عبد الله عبد الرازق مسعود السعيد . الطبعة الأولى . الأردن : مكتبة المنار . ١٤٠٥هـ .

١٠٦- فقه السيرة . محمد الغزالى . خرج أحاديثه . محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الثانية . دمشق : دار القلم .

١٠٧- المشوق في الجهاد . عدنان الرومى، على الهزاع . مراجعة: عقيل النشمى . الكويت: مكتبة المنار الإسلامية . ١٤٠٥هـ .

١٠٨- الهجرة حدث غير مجرى التاريخ . شوقي أبو خليل . الطبعة الثانية . دمشق: دار الفكر .

١٠٩- الهجرة النبوية . محمد بن عبد القادر أبو فارس . الطبعة الأولى عمان: دار الفرقان . ١٤٠٢هـ .

الفهرس

المقدمة ٣

أسباب اختيار الموضوع ٤

خطة البحث ٤

منهج البحث ٦

الفصل الأول: هجرة المرأة في السنة ٧

المبحث الأول: دور المرأة قبل الهجرة ٩

المطلب الأول: تأييد المرأة للدعوة ٩

- أعظم امرأة أيدت الدعوة ١٠

- الزوج المثالية ١٠

- الصديقة المواسية ١٧

- استمرار تأييد المرأة للدعوة ٣١

المطلب الثاني: دور المرأة في الجهر بالدعوة ٣٤

المطلب الثالث: ثبات المرأة على الدعوة ٣٩

المبحث الثاني: دور المرأة في الهجرة إلى الحبشة ٤٩

المطلب الأول: تعريف الهجرة وحكمها ٤٩

حكم هجرة المرأة ٥٧

المطلب الثاني: الإذن بالهجرة إلى الحبشة ٥٨

المطلب الثالث: مشاركة المرأة في الهجرة الأولى ٦٠

- المهاجرات إلى الحبشة الهجرة الأولى ٦١

المطلب الرابع : مشاركة المرأة في الهجرة الثانية ٦٦

- المهاجرات إلى الحبشة الهجرة الثانية ٦٧

المطلب الخامس: أحوال المهاجرين في الحبشة ٧٤
المبحث الثالث: دور المرأة في الهجرة إلى المدينة ٧٩
المطلب الثاني: مشاركة المرأة في بيعة العقبة الثانية ٨٢
المطلب الثالث: دور المرأة في هجرة رسول الله ﷺ ٨٩
المطلب الرابع: مشاركة المرأة في الهجرة إلى المدينة ٩٣
المبحث الرابع: أثر صلح الحديبية في هجرة المرأة ١٠٦
المطلب الأول: نبذة عن الصلح ١٠٦
المطلب الثاني: الأقوال في دخول النساء في الصلح ١١٤
المطلب الثالث: هجرة المرأة بعد الصلح ١٢٧
المطلب الرابع: امتحان المهاجرات ١٣٥
المطلب الخامس: أبرز المهاجرات بعد الصلح ١٤٢
الفصل الثاني: جهاد المرأة في السنة ١٤٧
المبحث الأول: مشروعية الجهاد وحكمته ١٤٨
المطلب الأول: تعريف الجهاد ١٤٨
المطلب الثاني: مشروعية الجهاد في سبيل الله وفضله ١٥١
أولاً : مشروعية الجهاد ١٥١
ثانياً : فضل الجهاد ١٥٧
المطلب الثالث: حكم الجهاد في سبيل الله ١٦٥
- الحالات التي يتعين فيها الجهاد ١٧١
المطلب الرابع: حكم جهاد المرأة ١٧٢
المسألة الأولى: عدم وجوب الجهاد على المرأة ١٧٢
- حكمة عدم وجوب الجهات على النساء ١٧٨

المسألة الثانية: جواز خروج المرأة للجهاد ١٧٩

- استئذان المرأة زوجها في الخروج للجهاد ١٨٩

- عدم خروج المرأة للجهاد بدون محرم ١٩٠

المسألة الثالثة : جهاد المرأة في حالة التغير ١٩١

المبحث الثاني : دور المرأة في الجهاد ١٩٦

المطلب الأول: خدمة المرأة للمجاهدين ١٩٦

- السقي ١٩٧

- صنع الطعام ٢٠٦

- مناولة السهام ٢٠٦

- حمل القتلى والجرحى ٢٠٨

المطلب الثاني: مباشرة المرأة للقتال ٢٠٩

- قتال المرأة في عهد النبي ﷺ ٢٠٩

- قتال المرأة بعد وفاة النبي ﷺ ٢٢٤

المطلب الثالث: صبر المرأة على فقد الأهل في الجهاد ٢٣٢

- صبر المرأة في عهد النبي ﷺ ٢٣٥

- الصبر على فقد الأخ ٢٣٧

- الصبر على فقد الزوج والأدب ٢٣٩

- صبر المرأة بعد عهد النبي ٢٤١

المبحث الثالث: تكريم المرأة وقت الجهاد ٢٥٤

المطلب الأول: مكافأة المجاهدة ٢٥٤

المطلب الثاني: الاهتمام بنساء المجاهدين ٢٥٧

أولاً : التحذير من الإساءة إليهن ٢٥٨

ثانياً: رعايتهن والبر بهن ٢٦٠
المطلب الثالث: جواز أمان المرأة ٢٦٢
المطلب الرابع : إذن الأم في جهاد ابنها ٢٦٦
- الخاتمة ٢٧٢
- فهرس المصادر والمراجع ٢٨٢
- فهرس الموضوعات ٢٩٣